

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

**سورة المرأة في الشعر الاندلسي
"في عزبي الـلـوـائـفـ وـبـنـي الـأـدـمـ"**

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية

"تخصص" أدب ونقد "

إعداد الطالبة: عائشة إبراهيم موسى سلامه محسن

إشراف الأستاذ الدكتور: فاروق الطيب

١٤٢٩-١٤٢٨ هـ

٢٠٠٨-٢٠٠٧ مـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا"

سورة النساء آية ١١٣:

الإمام

إلى روح والدتي الطاهرة التي رحلت فجأة، وحالته
غير بيبي دون وداعها الأخير.

والى والدي متعمد الله بصحته، وأمده في عمره الذي
أحدبني فأحسن تأديبي.

والى اینکاری " خلیل و محنین و ریه ".

والى زوجي الذي قد لاي كل ما يستطيع من حمل
ومساعدة.

والى أخواتي فاطمة ونادية وفاطمة

إِلَيْهِمْ جُمِيعاً أَهْدِي حَمْلَيْ هَذَا.

الباحثة

حائشہ ابراءہمیہ موسیٰ سلامہ مدسن

الشـرـر والـقـدـير

لا يسعني بعد أن من الله على يأكمال دراستي هذه إلا أن أقدم بواهر الشكر والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور فاروق الطيب الذي تفضل بالإشراف على أطروحتي هذه جزاء الله عني خير الجزاء، كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عطا المنان (المشرف المقابع) والأستاذ الدكتور بشير عباس والأستاذ الدكتور بله نعو الله. كما وأشكر كل من قدم لي المساعدة في إتمام دراستي هذه.

المـاـحـثـة

مـائـشـة إـبرـاهـيم مـوسـى سـلـامـة مـحسـن

صورة المرأة في الشعر الأندلسي

المقدمة:

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره بأنه مجتمع يكاد يكون كله شعراء. وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده، وقد استطاعت المرأة الأندلسية، في عصر الطوائف والمرابطين، أن تظفر بحظ كبيرة من النشاط العلمي والأدبي. ولم تعد قرطبة وحدها قبلة الأنوار، يؤمها الشعراء والأدباء من شتى الأنهاء، بل نكاثرت المراكز الأدبية، كما تكثر المادحون ومحبو الأدب، وأصبح التنافس شديداً بين الممالك والبلدان، لما يتميز به ملوك الطوائف من شاعرية وحس نفدي.

وكان للمرأة الأندلسية نصيب وافر في مضمون الشعر، جعلها تبرز قريباتها من نساء المشرق وتتفوق في بعض الأحيان على الرجال. وقد كان عددهم من الوفرة بحيث شكل ملماً بارزاً من ملامح الشعر الأندلسي، وكان فنهن يدفع الدارس إلى الوقوف متأنلاً مستبيناً ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع والإبداع.

وفي فترات من الحياة الأندلسية المتقلبة سياسياً وثقافياً، كان للمرأة صورة تتقاولت بين الحسية والرمزية، غير أن الغالب الأعم وصفاً جسدياً لا يتجاوزه إلى مشاعر بشرية جديرة بسر أغوارها، والتلذذ بالحديث عن المشاعر والمحبة والنوى والقرب وغيرها من المعاني الحسية الرائعة الجميلة. لكن تلك الصورة الغالبة للشعر الأندلسي في المرأة قد سما به بعض من شعراء الأندلس مثل ابن زيدون في قصائده الرائعة التي كان جلها في ولادة بنت المستكفي. أما العالمة حزم فقد أورد في كتابه (طوق الحمام) شيئاً عن المرأة لم يتجاوز فيه المشاعر إلى الجسد حيث قال¹:

وددت بأن القلب شق بمديه
وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
 فأصبحت فيه لا تحلين غيره
 إلى مقضي يوم القيمة والحضر
 سكنت شغاف القلب في ظلم القبر
 تعيشين فيه ما حيت فإن أمت

فهذا الفيض في المشاعر الصافية، وهذا التدفق العاطفي الهادر نادر في الشعر العربي

¹ - ابن حزم ، طوق الحمام ، الموسوعة الشعرية ، ص ١٥٤ .

وبخاصة الأندلسي. غير أن هذا النموذج المثالي لصورة المرأة قليل في الشعر الأندلسي، إذا ما قورن بصورة المرأة في بعدها الجسدي، وهو الاتجاه الغالب. ولعل أبرز مظاهر هذه الحسية يتجلّى في وصف جمالها الجسدي، والنظر إليه عضواً عضواً، من قمة الرأس إلى أخمص القدم. وبمقدار توافق تلك الأعضاء للذوق العام بمقدار ما تحظى بإعجاب الشاعر والرجل عموماً. وهو ذوق يعتمد على مقياس جمالي يكاد يكون ثابتاً منذ عهد امرئ القيس: أي المرأة البيضاء البشرة، ذات القد المياس، والخدود الحمراء والشعر الأسود المسترسل، والعيون النجل، والرقيقة الخصر، والضخمة الأرداف.. إلى آخر النقش كقول أبي القاسم المنبيسي^١ :

وعجزاء لفاء وفق الهوى تحيّرت فيها وفي أمرها

غلامية ليس في جسمها مكان رقيق سوى خصرها

ويتكرر هذا النموذج لجمال المرأة ويستمر إلى عهود متأخرة، فللحازم القرطاجي قصيدة مطولة تتبع فيها هذه الصفات الجمالية في المرأة عضواً عضواً. إن مثل هذه النظرة إلى الجمال عضواً عضواً لا تنتهي بالحسية فقط بل هي صور تجزئية للجمال، سطحية وخارجية، لا تكاد تتجاوز سطح الجسد إلى ما وراءه من كيان إنساني وأحساس بشري، فمثلاً المرأة عند ابن حمديس هي المرأة الغانية، التي تسرب الألباب، قوامها كالغضن وأرداها كالنقا وثغرها كالآفاح وهي كالمهأة حين ترنو في نقابها. وكالظبية في التفاتتها وجمال عنقها، رضابها كالطل، كالروضة تعشق نشرا، الخ.. كما في قصيدة له^٢ :

ليس للتأبِّع عنها منْ متابِّ
لأبي منْ أقبلتُ في صورةِ
ليتها تَتجوَّل في خلقها
كلُّ حُسْنٍ كاملٌ في بَعَابِ
فالقوامُ الغُصْنُ والرُّدُفُ النَّقا
والآفَاحُ الثَّغُرُ والطلُّ الرُّضَابِ
ظَبِيَّةٌ في العَقدِ إِمَّا التَّفَتَتْ
ومهأةٌ حين ترنو في النقابِ

إنها امرأة لا يصرح الشاعر باسمها، امرأة استوفت كل شروط الجمال، ونحن أمام صورة لدمية جميلة، لكن لا ملامح تحدد شخصيتها أو أحاسيس تتم عن دواخلها.. غير أن ابن حمديس كثيراً ما اتخذ من جمال المرأة رمزاً لحنينه وأشواقه، وبخاصة في المقدمات الغزلية لأمداحه في أواخر حياته، حيث تصبح المرأة مرتبطة بتجربة الغربية

^١ - ابن سعيد المغربي، المغرب في حل المغارب، ص ٤٧٧ .
^٢ - انظر ديوان ابن حمديس ، الموسوعة الشعرية ، ص ١٧٥ .

التي عانها منذ أن خرج من وطنه صقلية، وحيث يصير حب المرأة جزءاً من حبه للوطن ومن الحنين العارم إليه كما في هذا البيت يصف حنينه إلى فتاة صغيرة السن ويشبهه بحنينه إلى وطنه.

رشاً أحنَّ إِلَى هواه كأنَّهُ
وَطْنٌ وُلِدْتُ بِأَرْضِهِ وَنَشَيْتُ^١

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في بيان صورة المرأة وملامحها في الشعر الأندلسي وذلك من خلال إبراز الصورة المادية والمعنوية لها ، ثم بيان صورة المرأة في الأغراض الشعرية آنذاك ، وكذلك بيان خصائص الشعر الذي قيل في المرأة والذي قالته كذلك .

أهمية البحث :

تأتي أهمية هذا البحث في إبراز صورة المرأة في الأدب الأندلسي، وبخاصة في عصر الطوائف والمرابطين وفي ظل بنی الأحمر، ذلك أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة وافية مستقلة، فهو والحالة هذه يفيد الباحثين في الأدب الأندلسي ، وكذلك طلاب العلم ، كما أنه يبين الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وأوروبا .

حدود البحث :

تتمثل حدود الدراسة في بيان الشعر الخاص بالمرأة في بلاد الأندلس طوال فترة الحكم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في عصر الطوائف وفي ظل بنی الأحمر.

منهج البحث:

ستقوم الباحثة باتباع المنهج الوصفي التحليلي .

^١ - ديوان ابن حمدين ، الموسوعة الشعرية ، ص ٢٠ .

الفصل الأول

الأندلس عبر التاريخ

المبحث الأول

الأندلس في ظل الحكم الإسلامي

تمهيد :

يعد تاريخ أسبانيا العربية تراثاً حضارياً رائعاً، إذ إن تاريخ هذه المنطقة من أبرز المحطات في التاريخ العربي الإسلامي وأكثرها أهمية وإثارة، فيها من التألق والسطوع، كما فيها من التعثر والأساءة، فهذه المملكة القوطية القديمة التي اجتاحتها العرب، فتحولت إلى ولاية أموية في مطلع القرن الثامن الميلادي قدر لها أن تأخذ هوية منفردة واتجاهها خاصاً بحيث إن ارتباطها بالسلطة المركزية كان واهياً منذ بداية تكونها العربي، وذلك نتيجة عوامل جغرافية وسياسية، ليست مرتبطة بقرارات تصدر عن الخلافة، كما كان يجري في معظم الولايات.

وإذا نظرنا إلى حالة أسبانيا قبل الفتح الإسلامي فإننا نجد أنها كانت تحت حكم القوط الغربيين حيث بدأ احتلالهم لها في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد طردهم للوندال "Vandals" إحدى القبائل العربية الجermanية المتبريرة الذين اتجهوا بعد ذلك إلى احتلال الشمال الأفريقي وطردوا منها على يد الرومان ^٤٥٣٤م وقد احتل الوندال أبارية منذ القرن الثالث الميلادي وحتى الخامس ^١.

وكان حكم القوط لأسبانيا حكماً سلطانياً، لسوء سياستهم هذه ترددت حالة أسبانيا وساعمت حياة الناس وانتشرت الفوضى وعم الفساد كافة أرجاء الدولة الأسبانية، وقد كان قطاع كبير من أبناء الشعب الأسباني يشتغلون لحساب الطبقة الحاكمة المترفة، إضافة إلى وجود صراع قوي بين الطبقات والحاكمين، وفيما بين الحاكمين أنفسهم، والشعب الأسباني كغيره من شعوب أوروبا يخيم على تركيبته السكانية النظام الطبقي، فلا يحظى بالعيش الهنيء إلا طبقة معينة حصلت

^١ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢-٤ وانظر كتاب دولة الإسلام في الأندلس لحمد عبدالله عنان ج ١ ، ص ٢٧ - ٢٩ .

على امتيازات عديدة، والأسرة الحاكمة بيدها كل شيء دون سواها من الشعب الذي يلاقي الإهمال والظلم .

وخلاصة القول فإن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي كانت تشوّه الأضطراب والفساد الاجتماعي والتآخر الاقتصادي وعدم الاستقرار نتيجة السياسة الظالمه ونظام المجتمع السائد . ولما كانت الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية تؤثر تأثيراً واضحاً على اتجاهات الناس على اختلاف أجناسهم وأعرافهم وتقاليفهم فإني أجد لزاماً على أن أتطرق للحديث عن تلك الأحوال وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول

عهد الولاة وعهد الفتح

م ٩٥-٧١٤ / هـ ١٣٨-٧٥٥

بدأ هذا العهد في الأندلس بالقائد الفاتح طارق بن زياد ثم بموسى بن نصير ثم بعد العزيز بن موسى بن نصير، وآخر ولادة هذا العصر هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي تغلب عليه عبد الرحمن بن معاوية المرواري والمُعْرُوف بالداخل، وأقام إماراة قرطبة المستقلة، تلك الإمارة التي كان لها شأن كبير وخطير في تاريخ الأندلس.

وتعاقب الولاة على الأندلس، فمنهم من كان يعينه الخليفة، ومنهم من كان يعينهم عامل أفريقيا، وفتحت في ذلك العصر بلاد جديدة "كيرشلونه" و "فشتالة" وأغار العرب على شواطئ الرون فبلغوا ليون، واستمروا في التقدم في قلب فرنسا حتى كادوا يحتلوا مدينة "تور" "وبواتيه"، لو لم يلتهم شارل مارتل بجموع الفرنجة في سهول "ابواتيه" ويردهم على أعقابهم، وقتل في تلك المعركة قائدهم عبد الرحمن الغافقي هـ ١١٤ - م ٧٣٢^١.

وبعد موقعة بلاط الشهداء هذه التي استشهد فيها عبد الرحمن الغافقي ظلت جيوش المسلمين تتقدم من فتح إلى فتح، ولو استمر الزحف الإسلامي لوقعت أوروبا في أيديهم وانتشر الإسلام.

^١ انظر بطرس البستاني ، ادباء العرب في الأندلس ، ط٦ ، بيروت ، لبنان ص ١٥ ، ١٩٦٨ ، وعبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط١ ، بيروت ، دار القلم ، ص ١٣١ ، ١٩٧٦ م.

ولم يحاول العرب الاستيلاء على بلاد الإفرنج بعد هذه الموقعة بل أخذوا يتراجعون إلى بلاد الأندلس، حتى إنه لم يبق لهم فيما وراء جبال "البرانس" إلا مقاطعة سبتمانيا. ولم يقتصر عهد الولاة على الحروب بين المسلمين والنصارى في أوروبا، بل إنه حدث شقاق كبير وعظيم بين المسلمين أنفسهم، وقامت الفتنة، وانتشر الشر بين الأحزاب، ذلك أنه "لما تسامع العرب بفتح الأندلس، وذكر لهم ما فيها من خصب وغنى أقبلوا عليها، وفي مقدمتهم الشاميون واستوطنوها وكان فيهم العدنانية من مضر وربيعه كأبناء قريش من فهر وأمية وهاشم ومخزوم، وكأبناء غطفان وتميم وكنانة وقيس وتغلب وبكر وأسد، وفيهم اليمانية من كهلان والأزد ومدحج وسواهم وكانوا أكثر عدداً من العدنانيين، فانتقلت معهم العصبية القبلية، والمنازعات الحزبية بين القحطانية والعدنانية أو القيسية واليمنية".^١

المطلب الثاني

عصر الدولة الأموية (المروانية)

١٣٨-٦٢٩ هـ / م

كان عبد الرحمن بن معاوية من القلة الأموية الذين نجوا من مذابح العباسيين التي قادها آنذاك السفاح، فر عبد الرحمن بن معاوية مستخفياً حتى وصل إلى المغرب فلجاً إلى أخواله البرابرة منبني نفرة بالقرب من سنته، فأكرموا وفادته، ثم لحق به مولاه بدر، فبعثه بكتاب إلى موالي المروانية في الأندلس الذين كانوا من حيث العدد بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً فسهلاوا له دخول البلاد ووطأوا له عرش قرطبة.

وبنظره تاريخية سريعة في أسباب نجاح ابن معاوية، يمكننا القول بأن هنالك عدة أسباب كانت وراء نجاح ابن معاوية في دخوله للأندلس: منها حماية البرير له وذلك لأنهم أخواله وكذلك مشايعة ومساعدة موالي المروانية له لأنه مرواني، ومن أسباب نجاحه كذلك ضعف الدعوة العباسية في الأندلس، لأن المضرية كانت في كثرتها شامية أممية فمن الطبيعي أن تكون

^١ - انظر بطرس البستاني ، مصدر سابق ، ص ١٦ ، وعبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ٢ ، بيروت دار النهضة العربية ، ص ٤٧٦ ، ١٩٧٦

موالية لعبد الرحمن بن معاوية، ومقابل ذلك كله عجز الصُّمِيل والقيسية عن الرد والوقف أمام المضرية، أما اليمانية فإنها كانت تتنمى زوال سلطانهم، فتقربت إلى عبد الرحمن تشد أزره^١. واستطاع عبد الرحمن بن معاوية استغلال الصراع القبلي الذي أضعف قدرات المجتمع الأندلسي فاحتل مدن وقرى الأندلس مدينة تلو المدينة حتى دخل قرطبة فأقام فيها بعد أن انتصر على الصُّمِيل ويوسف الفهري، ودانت بذلك له الأندلس، فأصبح أميرها، ولقب بالداخل لدخوله إليها، ولقبه أبو جعفر المنصور بصغر قريش، وكانت الخطبة لبني العباس فقطعها عنهم ودعى له على المنابر، وبني المسجد الجامع في قرطبة^٢.

وبدخول عبد الرحمن الأندلس استطاع أن يؤسس دولة أموية جديدة فتية جعلها ملذاً آمناً لبني أمية الذين. وقد واجهت الدولة الأموية أحداثاً خارجية وأخرى داخلية ألت بظلالها على أمن واستقرار البلاد ومن بين تلك الأحداث الخارجية " هجوم شارلمان والنورمان على الأندلس . أما الأحداث الداخلية فتتمثل في محاولة دولة الخلافة العباسية إعادة الأندلس إلى حاضنة الخلافة، كما حصل من العلاء بن المغيث الجذامي ١٤٧ هـ إذ جاء من شمال إفريقيا إلى الأندلس داعياً للخلافة العباسية فرفع الرأيات السود – رأيات بني العباس – فاجتمع حوله خلق كثير فقاتلته عبد الرحمن بن معاوية في قرية من قرى أشبيلية تعرف (بالكرم) حتى هزمه الإمام وقتلته^٣ .

وفي عام ١٦١ هـ دخل إلى الأندلس من الشمال الأفريقي عبد الرحمن بن حبيب الفهري، المعروف بالصقلي ولم يكن من الصقالبة ولا صلة له بهم لكنه سمي بذلك لشبهه الشكلي بهم^٤ . وحل بمرسية " تدمير " وتراسل مع سليمان بن يقطان الأعرابي ولم يتفقا وجرى بينهما قتال هزم فيه الصقلي الذي قضى عليه فيما بعد وانتهى أمره^٥ . ثم بعد ذلك كانت موقعة (هيج) الربض سنة ٢٠٢ هـ / ٨٠٨ م. وكانت في الربض الجنوبي من قرطبة المسماة

^١ - بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ط٦ ، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٨ م ص ١٨ ، والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ١٩٤ وما بعدها .

^٢ - نفس المرجع ، ص ١٩ .

^٣ - عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ، ، ص ٢٢١ .

^٤ - محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٩٠ .

^٥ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ج ٦ ، ص ٥٤ .

ربض شقنة على الضفة الأخرى من الوادي الكبير، أيام الحكم الأول (١٨٠ هـ - ٢٠٦ هـ) (٧٩٦ م - ٨٢٢ م) وقضى الحكم الربضي عليها بقصوة وعنف^١.

المبحث الثاني
عهد الخلافة والطوائف
المطلب الأول
عهد الخلافة بقرطبة
٣١٦ - ٩٢٩ - ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م

بعد موت الأمير عبدالله بن محمد الأول آخر الأمراء ظفر حفيده عبد الرحمن بن محمد (الناصر) بالإمارة دون أعمامه وأعمام أبيه، وكانوا أحق منه بالإمارة شرعاً ولكنهم تركوها له زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار ومكاره، وكان الظن أنها ستزول حتماً، فزهد فيها من هم أحق بها من البيت الأموي.

ولقد تعلقت آمال الناس بهذا الشاب اليتيم عبد الرحمن بن محمد الذي يتقد شباباً وعزماً، "ويحرق شوقاً لتوطيد دولة الإسلام في الأندلس، وهكذا تهيأت لهذا الفتى الإمارة من حيث لا يدرى وأصبح أمير قرطبة بلا منازع، في الوقت الذي كانت الأندلس فيه جمرة تحتدم وناراً تضطرم"^٢.

وفي بداية عهد الأمير كانت أرض الأندلس تعج بالثائرين مضطربة بنيران المغلبيين، فوجه جل اهتمامه إلى إطفاء هذه النيران وإخضاع أهل العصيان، فكانت سياسته تهدف إلى تركيز السلطة بيده، وتوطيد الأندلس كما كانت عليه إبان عهدبني أميه الأقوباء.

وإذاء هذه الأوضاع المتردية كان لزاماً عليه أن يصطنع لنفسه سياسة تقوم على الترهيب والترغيب، فشرع في تنفيذ سياساته في عزم وإصرار، "فانفذ الكتب إلى العمال في جميع كور الأندلس بطلب الطاعة والاستسلام، فكان أول من استجاب له سعيد بن السليم عامل

^١ - ابن الآبار ، الحالة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ج ١ ص ٤٤ .

^٢ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

حصن "مارتس" من كورة "جيانت" ثم أرسل الأمير عبد الرحمن أمناءه إلى البلاد لأخذ البيعة فبعث إلى الثغرين الأدنى والأقصى الفقيه أبا مروان عبدالله بن يحيى ومحمد بن عبدالله بن نصر وإلى كور الغرب حفص بن عبد الرحمن وأحمد بن عبد الملك ، وكان أول من بايع الأمير من أصحاب الأطراف محمد بن عبد الرحمن التجيبي أمير سرقسطة ، وتابعت البيعة والاستسلام لعبد الرحمن من جميع مدن الأندلس ^١. وما أن استقر الأمر حتى اتجه الأمير عبد الله إلى إخضاع العصاة الذين تمردوا على الدولة منذ أمد بعيد ، فاستطاع بحسن سياسته القضاء عليها ، ومن هؤلاء العصاة الذي استمر مدة طويلة في مد وجزر عمر بن حفصون ، الذي اتخذ مركزه في جبل "ببشتير" قرب مدينة فالقه في جنوب الأندلس ^٢.

و لما لم يجد النجاح تنصر ظناً منه أن ذلك يجلب له التأييد، فكان العكس واستطاع الناصر القضاء على عصيانه نهائياً خلال سنتي حكمه الأولى. و هكذا استطاع عبد الرحمن الناصر أن يقضي على أعداء الوحدة في داخل إسبانيا، فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه، وأصبحوا يؤلفون قوة كبرى كان لها أكبر الأثر في بث الرعب والهلع في نفوس نصارى إسبانيا المسيحية.

ومن خلال قراءة حقب التاريخ الأندلسي نجد أن الأندلس قد تعرضت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لأخطار كثيرة كادت تطيح بملك المسلمين ومن تلك الأخطار خطر النورمنديين الذين اعتدوا الاعتداء على سواحل الأندلس، وهذا مما جعل أمير قرطبة يتتبه إلى ضرورة اصطناع سياسة بحرية فأنشأ عبد الرحمن دار الصناعة بإشبيليه، واستعان برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم، وتأهب لاستقبال النورمنديين بالآلات والنفط، وعمل على إنشاء أسطول قوي يدفع عن الأندلس الأخطار الناشئة من غارات المجوس والغزو الفاطمي على السواء.

وأما الخطر الثاني الذي كاد يهدد دولة بنى أميه في الأندلس فهو خطر الفاطميين المقيمين ببلاد المغرب، الذين كانوا يهدفون منذ تأسيسهم لدولتهم إلى غزو الأندلس لجعل المغرب الإسلامي كله خاضعاً للتشييع الفاطمي.

^١ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

^٢ - محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج ٢ ص ٣٨٠ .

المطلب الثاني

عهد الطوائف

٥٣٦-٤٠٠ هـ / ١٠١٩ - ١٤١ م

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس بعد انتهاء ملك الأمويين فيها بخلع هشام الثالث ٤٢٢هـ / ١٠٣١م، الواقع أن عصر ملوك الطوائف قد بدأ قبل هذا التاريخ بنحو عشرين سنة وعلى التحديد بعد ذهاب دولة المنصور بن أبي عامر وقيام الصراع بين أمراء المرورانيين على الخلافة. " وكان من نتائج هذا الصراع الذي زاد من ضعف الدولة وقلل من هيئتها في الداخل والخارج، أن أغري الطامعين فيها وجرأهم عليها، من ثم أخذ يغتنم هذه الفرصة المتاحة كل من يأنس في نفسه القدرة من رؤساء الطوائف من العرب والموالي، فيستقل بإمارته ويسميه دولة ينصب نفسه ملكاً عليها ويتخذ من أهم مدينة فيها عاصمة له " ^١.

وهكذا سادت الأندرس بعد سقوط الخلافة حالة من الارتباك والحيرة تبيّنت خيوطها السوداء بقيام دول متعددة فيه عرفت بدول الطوائف تفاوتت في المساحة والقوة كما تفاوتت أعمارها وتوزعت الأندرس وحكم كل منها - في الأغلب - أسرة ما يتوارثها أبناءها، يستعينون بغيرهم أحياناً، أو يكون هناك مجلس شورى لكل حاكم وزراؤه وكتابه وقضاته وقواده ورجال مملكته وعصبه، ولم تقم هذه الدوليات في وقت واحد، كما وأن نهايات التي استمر منها على يد المرابطين كانت متفاوتة وإن تقاربـت .

وهكذا فان ممالك الطوائف قد حكمها ملوك من أخلاق العرب والبربر والموالي استقلوا بولايات الأندرس المختلفة، منذ سقوط الخلافة الأموية في قرطبة ثم راحوا يتذارعون الأمر فيما بينهم، فلما أحاطت المخاطر بملكهم التمسوا النصيحة عن كبيرهم المعتمد بن عباد ملك الشبيبية، وكان يهم بطلب معونة المرابطين، فحضروه من ذلك قائلين " السيفان لا يجتمعان في غمد واحد " فأجابهم بكلمته المشهورة " رعي الغنم خير من رعي الخنازير " فاقطعوا برأيه، وكتب ابن عباد إلى الأمير يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين الفتية بالمغرب يسأله العون والنجدة

^١ - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندرس ، ص ٩٢ ، وانظر أدباء العرب للبستانى ، ص ٢٣ ، وكتاب التاريخ الأندلسى لعبد الرحمن الحجي ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

^٢ - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندرس ، ص ٩٢ .

فرسان ما لبى النداء^١. وقد عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لنصرة الإسلام فيها والتقى بجيش الفونسو السادس قرب مدينة بطليوس وهزمها في معركة "الزلقة" ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م. ثم عاد يوسف إلى المغرب بعدما زال الخطر عن الأندلس تاركاً وراءه قطعة من جيشه تحت تصرف ملوك الطوائف لحماية الثغور، ولكن سرعان ما نسى ملوك الطوائف خطر العدو وعادوا إلى سيرتهم الأولى، واستأنفوا حياة اللهو والمجون والتناحر فيما بينهم^٢.

ورأى أهل الأندلس ما آل إليه حالهم وحال ملوكهم من الضعف والتردي فاستصرخوا يوسف ثانية فأجابهم، ولكن في هذه المرة بدأ يوسف في خلع ملوك الطوائف الواحد إثر الآخر ولم تأت سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م حتى تمت للمرابطين السيطرة على الأندلس وضموهם لدولتهم وبذلك أصبح القطران: المغرب والأندلس دولة واحدة قوية عاصمتها مراكش.

^١ عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص ٩٩ .

^٢ نفس المرجع .

المبحث الثالث

دولة المرابطين و الموحدين في الأندلس

المطلب الأول

دولة المرابطين

٤٩٥ - ٥٥٥ هـ / ١١٠١ - ١١٦٠ م

نشأت دولة المرابطين في المغرب، ويعود الفضل في وجودها إلى يحيى بن إبراهيم الكرالي، أحد زعماء قبائل صنهاجة التي كانت تسكن صحراء شنجيط "موريتانيا حاليا" وقد مرت دولة المرابطين في نشأتها بأطوار عديدة واستمرت في النهوض حتى سيطرت بقيادة يوسف بن تاشفين على المغاربة الأقصى والأوسط، وعلى بلاد السودان إلى نهر النيجر، وسموا بالمرابطين لأن أحدهم يحيى بن إبراهيم أسلم فجأة بفقيه اسمه عبد الله بن يس ليعلم قبيلته القرآن وأحكام الدين، ثم مات يحيى ففرق الناس عن الفقيه، ثم جمع ذلك الفقيه فئة من الناس حوله فابتنت لهم رباطاً — مكان ينفردوا به للعبادة — فسموا بالمرابطين.

وأما عن الأساس الذي قامت عليه دعوتها فهو العلم مع الاهتمام بعلوم الدين، وأما عن طابعها الخاص فهو الزهد والتشفف، وأما الدستور الذي سارت عليه منذ نشأتها، فهو العمل على إصلاح الفساد وتطيير المجتمع من عوامل الشر، ونشر الفضائل الدينية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية^١.

وفي الوقت الذي بلغت فيه دولة المرابطين بالمغرب ذروة قوتها على يد مؤسسها يوسف بن تاشفين، كانت الأندلس على الجانب الآخر تعاني من ضغط الغزو المسيحي من الشمال، ومن ملوكها الذين أسرفوا على أنفسهم في المجون واللهو، وفي معاداة بعضهم بعضاً إلى الحد الذي أطمع أعداء البلاد فيها^٢. ولما استصرخ أهل الأندلس بالأمير يوسف لبى نداء الأخوة الإسلامية وعبر إليهم بجيش المرابطين، وأنقذهم من عدوهم مرتين: الأولى ٤٧٩ هـ

^١ - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص ١٠٥ ، وانظر أدباء العرب لطرس البستانى ، ص ٢٧ وما بعدها ، والتاريخ الأندلسي لعبد الله حجي ، ص ٤٣٨ .

^٢ - نفس المرجع، ص ٤٣٨ .

١٠٨٦م، والثانية في سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م وفي هذه المرة قضى على ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى ملكه. وبعد وفاة يوسف بن تاشفين ٥٠٠هـ / ١١٠٦م قام بأمر دولة المرابطين من بعده ابنه علي بن يوسف، وتلقب أيضاً بأمير المسلمين وجرى على سنن أبيه في الغزو والجهاد. " وقد كان علي بن يوسف ورعاً زاهداً، وقد بالغ في إكرام العلماء والفقهاء فعظم شأنهم عنده، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولا نقلبه، وظهر ذلك عليه"^١. ولكن إقباله على الدين وعلومه جعله ينصرف عن شؤون الدولة ويترافق في إدارتها فاختل حالها، وقد المرابطون من الناحية الحربية صفاتهم التي جعلت منهم جنوداً محاربين، وتراجعت جيوشهم أمام جيوش القشتاليين والبرتغاليين والأرغونيين كما أصابهم انهيار خلقي نتيجة لاستغراقهم في الترف وبذلك انحطت هممهم، فثار عليهم أهل الأندلس وطردوا عمالهم.

المطلب الثاني دولة الموحدين

١٢٦٨-٥٢٤هـ / ١١٢٩-٦٦٧م

قامت دولة الموحدين في أعقاب دولة المرابطين، وكلتاهما دولة أفريقية قبليّة دينية، ويرجع الفضل في ظهور دولة الموحدين إلى رجل في إحدى قبائل المصادة ينتسب إلى أهل البيت ويدعى محمد بن تومرت " وأول ما عرف عنه أنه خرج من افريقية سنة ٥٠١هـ في طلب العلم، فدخل الأندلس ثم رحل إلى المشرق فحج ولقي الأئمة وأفاد الكثير من علمهم ، كما لقى الإمام الغزالى في آخريات أيامه وتأثر بأفكاره "^٢.

ومنذ أن عاد ابن تومرت إلى الشمال الأفريقي بدأ يدعو الناس إلى التمسك بالدين وتطبيق تعاليم الإسلام ونبذ كل من يخالف تعاليمه، وقد تبعه عبد المؤمن بن علي الكومي بنواحي تلمسان - الجزائر - حتى صار من رجاله المعتمدين." وقد نشأت دولة الموحدين في المغرب بعد أن امتلكت مكانة الدولة المرابطية وكانت الدولة الموحدية ثمرة الدعوة التي بدأها

^١ - انظر عبد العزيز عتيق ، الأدب في الأندلس ، ج ٧ ، ص ٢٣٧ .

^٢ - نفس المرجع، ص ١١١ .

ابن تومرت في إقليم السوس ٥١٥ هـ أو قبلها^١. وقد وقعت الحرب بينه وبين المرابطين فلما توفي ابن تومرت ٥٢٤ هـ، أوصى بالأمر بعده لعبد المؤمن، الذي أنفق سنوات في حرب المرابطين ، " وقد دخل الموحدون مدينة فاس ٥٤٠ هـ ومدينة مراكش في السنة التالية حيث اتخذوها أيضاً عاصمة لهم"^٢ . وقد ورث الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ووصلت دولتهم مستوى عالياً من القوة، وشيدت للفضائل صروحاً وأسهمت في الاستمرار بالعلم والمعرفة وحمت كيان الإسلام في الأندلس.

المطلب الثالث

دولة بنو الأحمر

١٤٩٢-٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ - ٨٩٨ م

ترك الموحدون الأندلس فكثراً بعد ذلك الصراع على السلطة بين المسلمين وصاحب خروج الموحدين من الأندلس أن تعرضت الإمارات والمدن الإسلامية لزحف سريع لم يتوقف إلا ليستعد لجولة أخرى، " وفي خلال سنوات قليلة اكتسح المسيحيون أكثر البقاع الإسلامية فاحتل فرديناد الثالث ملك قشتالة وجایم الأول ملك أرچوان مدن بلنسية وقرطبة ومرسية ٦٣٦ هـ ومدينة اشبيلية ٦٤٦ هـ وأصبح ملك المسلمين محصوراً في مدينة غرناطة^٣.

وهكذا أصبحت الأندلس تموج بالفتن وتتنازعها الأهواء من كل صوب وجانب، وفي تلك الأثناء ظهر بنو الأحمر وهو آخر ملوك العرب في الأندلس ومن أياديهم استولى النصارى على جميع ما بقى للMuslimين فيها من بلاد. " وأصل بنو الأحمر كما يذكر المقربي من " أرجونة " حصن من حصون قرطبة، ولهم فيها سلف من أبناء الجندي، يعرفون ببني نصر وينتبون إلى

^١ - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان " تاريخ اسبانيا الاسلامية" في بيروت ١٩٥٦، جـ ٢، ص ١٠٦، وانظر وفيات الأعيان لإبن خلkan، جـ ٥، ص ٥٣.

^٢ - أبو علي حسن بن علي بن عبد الملك ابن القطنان، نظم الجمان ، تحقيق محم على مكي. جـ ٦، ص ١٢٦، وانظر العبر في خبر من غير للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد جـ ٤ ص ٥٧.

^٣ - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط ١ ، بولاق ، ١٨٧ م ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

سعد بن عبادة سيد الخزرج ^١. وقد نجح محمد بن يوسف بن نصر ملك أرچونة ٦٣٥ هـ في أن يضم إلى مملكته خمس مدن هي: بسطة ووادي آتش، وشريش، ومالقة وجيان ٦٣٦ هـ استولى على مدينة غرناطة، وجعلها حاضرة لدولته، "وهكذا أقام بنو الأحمر مملكة غرناطة، بين مظاهر الاضطراب والمطامع التي كانت تجتاز ما بقي من ملك المسلمين في شبه جزيرة الأندلس، ومع ذلك قدر لها أن تدوم نحو قرنين ونصف القرن من الزمان ^٢.

ويعد عصر بنى الأحمر من أسوأ العصور الإسلامية في الأندلس وخاصة من الناحية السياسية، إذ كثرت في ذلك العصر الثورات والفتن والانقلابات والصراع بين أبناء الدين الواحد وأبناء القومية الواحدة، ومع ذلك نجد من ملوك المغرب من قام بإنجذبة ومساعدة المسلمين في الأندلس، ومنهم من قعد عن هذه النجدة، وكذلك ظهر في هذا العصر سلاطين أقوىاء من بنى الأحمر وقفوا في وجه العدو وقهروه وآخرون ضعفاء تخاذلوا أمامه ودخلوا في طاعته وتذلوا له عن بعض أملاكهم.

^١ - أحمد بن حامد المقرى ، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون ط ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، حـ ٤٢١ ، ١

^٢ - نفس المصدر ، ٤٢٥ وما بعدها ، وانظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ، ص ١٢٠ ، وانظر أدباء العرب لبطرس البستاني ، ، ص ٣١-٣٢ ، والتاريخ الأندلسي لعبد الرحمن الحجي ، ، ص ٥١١ وما بعدها .

المبحث الرابع

الحياة الاجتماعية في الأندلس

في ظل الحكم الإسلامي

بعد أن تم فتح الأندلس واستقرت الأمور فيها بدأت الوفود من مختلف أصقاع العالم تتوافد إلى تلك البلاد الجميلة، وقد شهدت الأندلس في العصر الإسلامي تنوعاً في العناصر التي ضمتها أسبانيا الأندلسية من الجنس والعقيدة والثقافة، فكان من ضمن عناصر المجتمع الأندلسي العرب الفاتحون "البلاديون" والعرب الوافدون "الداخلون" وجماعة الأسبان المسالمة أي الذين دخلوا في الإسلام والعجم الذميين أو المستعربين، وهم الذين بقوا على دينهم في ظل الحكم الإسلامي، ثم طائفة المولدين وهو نتاج التزاوج بين رجال العرب ونساء الأسبان، ثم البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد أو الذين هاجروا من بلاد المغرب^١، ثم طائفة اليهود وفيما يلي لمحات موجزة عن هذه العناصر :

المطلب الأول

البربر

أختلف المؤرخون في أصل نسب هؤلاء الأقوام، فذكر ابن حزم الأندلسي أقوالاً مختلفة في نسبهم فيقول: " قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادعى طوائف منهم أنهم من اليمن ينتسبون إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان^٢. وقد أشار العمري إلى هذا الاختلاف بقوله: " وأما البربر فقد اختلف فيما بينهم اختلافاً كثيراً فقيل أنهم من ولد قيس عيلان وصنهاجة من البربر يزعمون أنهم من ولد افريقيش بن صيفي الحميري^٣ .

^١ - انظر المقرى ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٣

^٢ - ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ط ٢ ، مصر ، دار المعرف ، ص ٤٦١

^٣ - شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، وصف أفريقيا والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة ، تونس ، نشر حسن حسني ، جـ ١٤ ، ص ٢٢٣

وقد رجح ابن زيدان أنهم من ولد كنعان، وأنه لما قتل ملتهم جالوت الفلسطيني وتفرقوا بنو كنعان قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر^١. وقد تعرض ابن خلدون إلى هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه العبر وأشار إلى زعم بعض المؤرخين في إرجاع نسب العرب قائلاً: " نسبة - الذين يعملون في علم الأنساب - البربر يزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواته يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كنده من السكاك، ومثل زناته تزعم نسابوهم أنهم من العمالقة فروا أمامبني إسرائيل، وربما يزعمون في هؤلاء كلهم نسباتهم أنهم من حمير"^٢.

المطلب الثاني العرب

العرب هم العنصر الثاني من سكان المغرب الأقصى الذي شارك البربر في الإقامة بالمنطقة، ولم تكن صلة المغرب الأقصى بالعرب كموطن لهم قاصرًا على القرنين الخامس والسادس من الهجرة، بل إن ذلك كان منذ أمد بعيد أي منذ أن وصل موسى بن نصیر أرض المغرب الأقصى غازياً في أواخر ٨٦ هـ وأخضع المنطقة للسلطة المركزية في دمشق، وفي سبيل نشر الإسلام فإن موسى بن نصیر ترك مجموعة من العرب تعلم سكان البلاد قواعد الدين الإسلامي وتنشر تعاليمه بينهم^٣.

وبإقامة العرب هناك بدأ مجتمع المغرب الأقصى يختلط بعناصر جديدة من العرب التي أقامت في تلك البلاد، وصار المغرب الأقصى موطنًا لكل من يحب الإقامة في ربوعه من العرب، ولما قامت دولة الأدارسة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م شجع أئمتها العرب على الإقامة بالمنطقة، واتخذوا منهم الوزراء والكتاب فضلاً عن إنشاء عاصمتهم فاس لتضم المهاجرين العرب الذي قدموها على المنطقة. ولقد دخل العرب الأندلس على موجات متتابعة، بالإضافة إلى من هاجر إليها من أهل الشام وغيرهم من العرب على أثر انتصار طارق بن زياد على القوط في موقعة

^١ - عبد الرحمن ابن زيدان ، أتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكتاس ، ط ١ الرباط / ١٩٢٩ / جـ ١ ، ٦٢

^٢ - انظر ابن خلدون ، العبر ، ، جـ ٦ ، ص ٩٧

^٣ - ابن خلدون ، كتاب العبر ، مصدر سابق ، جـ ، ص ١١٠ .

وادي لكة، وبعد أن استقرت أقدام المسلمين في الأندلس وتم فتحها على يدي موسى بن نصير وولده عبد العزيز^١. وكان أول طلائع الداخلين إلى الأندلس موسى بن نصير وكان ذلك في رجب ٩٣ هـ، وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر^٢، وأغلبهم من قريش ووجوه الناس.

ولقد كان لمجيء العرب إلى الأندلس واقامتهم فيها واحتلاطهم بالسكان تأثير كبير في الحياة الأندلسية وفي شتى المجالات الإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فعلى الصعيد الإداري استعان بهم الخليفة عبد المؤمن في التأثير على غيرهم من الموجودين في اختيار ابنه محمد ولیاً للعهد، وقد سبق ذلك محاولات الخليفة عقد وصل مودة بين ابنه محمد المرشح لولاية العهد وبين زعماء القبائل العربية، حين قام بإرسال الخطابات إليهم يخبرهم فيها، أن من أسر من أبنائهم ونسائهم تحت الرعاية والصون، وعندما تثبت زعماء العرب من ذلك شعرووا بالمودة والتقدير لابن الخليفة^٣.

وأما دورهم من الناحية العسكرية فقد اشتركوا في جند المرابطين برغبة الجهاد في الأندلس، فلما قامت دولة الموحدين صاروا يشكلون عنصراً هاماً من عناصر الجيش الموحدي، وذلك نتيجة حرص الخليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده ضمهم للجيش. وأما على الصعيد الاقتصادي فيقول بعض المؤرخين أن دورهم كان مدمرًا للحياة الاقتصادية، فقد أحدثت القبائل العربية في أفريقيا أحداثاً دمرت الناحية الاقتصادية نتيجة تخريب المدن وحرق المزارع في هجمات متلاحقة أتلت التقدم العمراني الذي كانت تتعم به إفريقيا، فيقول ابن خلدون: واضطرب أمر إفريقيا وخرب عمرانها وفسدت سابلتها^٤. ومن عناصر المجتمع الأندلسي كذلك الموالي والمسالمة والمولودون وأهل الذمة.

^١ - أحمد بن محمد المقرى، نفح الطيب، مصدر سابق، ص ٢٧١.

^٢ - عبد الرحمن عبد الحكم، فتح إفريقيا والأندلس، الجزائر، ١٩٤٧، ص ٩٦.

^٣ - ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، القاهرة طبعة بولاق، ١٨٧٣م، ج ٩، ص ٤١.

^٤ - مبارك محمد الميللي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزائر المطبعة الجزائرية، ١٣٥٠هـ، ج ٢، ص ١٢٠ وانظر ابن خلدون، العبرة مصدر سابق، ج ٦، ص ١٦.

المطلب الثالث

الحياة الاقتصادية والثقافية

في المجتمع الأندلسي

أولاً : الحياة الاقتصادية

شهدت الأندلس أيام الحكم الإسلامي فترة من الازدهار الاقتصادي، حيث حرص الأمراء والخلفاء آنذاك على النهوض بالمنطقة في شتى المجالات زراعية كانت أم صناعية أو تجارية، وعم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد نتيجة لتلك المساحات الزراعية الكبيرة التي كانت تجبي فيها الأموال. فعلى الصعيد الزراعي كانت زراعة الأندلس تقريرياً زراعة بقلية، وكان ذلك كل ما يمكن عمله في الهضبة الوسطى، وأما في الجنوب، حيث توجد اليوم مقاطعة "اندلسيا" فقد كان الري ممكناً، وهذا الأمر لم يكن من ابتكار العرب بل يبدو أنهم طوروه وأدخلوا عليه تقنيات مطورة أتتتهم من المشرق.

وإذا ما بحثنا في أحوال القرن السادس نجد أن الحياة البلدية قد تختلف كثيراً في ظل القوط، وظهرت طبقة من أصحاب الأقطاعات الواسعة الذين استأثروا بالقسط الأوفر من السلطة والنفوذ في البلاد، ودام الأمر هكذا إلى حين قدوم العرب الذين جاؤوا ومعهم خبرتهم الواسعة التي عرفوها في المشرق في مجال الإدارة البلدية، فقدموا خبرتهم إلى المجتمع الأندلسي الذي أدى إلى قلب جزئي للحياة البلدية السائدة آنذاك فبعثت تلك الخبرة الحياة بشكل تدريجي إلى هذا القطاع الإداري.

وبالرغم من قلة خبرة العرب في مجال العمل المؤسسي الديمقراطي، إلا أنه كان لديهم شعوراً أصيلاً بالمواطنة فقد كان النظام مفروضاً بشكل تام، وكان ثمة موظفون يراقبون الأسواق وينعون الغش، كما نشأت نقابات للحرفيين وكانت منظمة بشكل دقيق، وكان هناك خانات توفر الإقامة المناسبة للتجار المتنقلين وبضائعهم " وهكذا وجد أساس راسخ أو أسباب اقتصادية لنمو المدن ولم يكن المسلمون بحال من الأحوال غافلين عما توفره المدن من فرص لرعاية الأدب والموسيقى وغيرها من النشاطات الفنية والفكرية " ^١ .

^١ - مونتغمرى وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المعري، ط١، القاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤، ص ٦٢

وأما من حيث النشاط التجاري فقد كان متقدماً نوعاً ما ذلك لما يتمتع به التجار المسلمين من خلق رفيع في مجال التعامل مع الآخرين، وقد كان النشاط التجاري هو المصدر الأساسي لازدهار الأندلس. "إذ لم يكتف التجار باستخدام طرق شبه جزيرة إيبيريا البرية ودخول فرنسا – التي كانت تمر عبرها تجارة الرقيق ضخمة – إذ يكاد من المؤكد أنهم نموا إلى حد كبير العلاقات التي كانت لسقوط شمال إفريقيا، غير أن الأهمية الدقيقة لعلاقات الأندلس بشمال إفريقيا لم تزل غير واضحة تماماً وتستحق مزيداً من الدرس،" ولقد تسبب خطر الغزارة البحريين الأرمانيين ببناء أسطول بحري، فازدهرت نتيجة لذلك تجارة بحرية ربطت الأندلس مباشرة بتونس ومصر وشاركت فيها أيضاً سفن من هذين القطرين^١.

وأما على الصعيد الصناعي فقد كانت الصناعة المحلية تلبى حاجات السكان المحليين بصورة رئيسة، إلا أن ازدياد السكان ونمو التجارة أديا أيضاً إلى نشوء سوق للأدوات الكمالية في الأندلس والخارج، ولقد استخدمت المهارات والأساليب الموروثة ونميت مهارات وأساليب جديدة، واشتهرت الأندلس بأقمشتها الجميلة والفراء والأدوات الخزفية.

ثانياً : الحياة الثقافية

السمة المميزة للعصر الأول من تاريخ المسلمين في الأندلس أنه لم يكن عصر علم، وإنما كان عصر فتح وغزو، وصراع سياسي بين العصبيات القبلية من أجل الحكم، وهذا الوضع ألقى بظلاله على الحياة الفكرية والثقافية فلم يتح هذا الوضع للعلم ما تتطلبه طبيعته من الهدوء المشبع على الاشتغال به، وعندما استقرت أحوال الأندلس نسبياً بقيادة إمارة قرطبة، بدأ المسلمون يفكرون في العلم ويعنون به^٢.

ولقد انصبت اهتمامات أمراء قرطبة وخلفائهم على علوم الأوائل المتمثلة في المنطق والفالك والتجميم، والفلسفة والعلوم العربية المتمثلة في علوم القرآن والفقه، وعلم اللغة والنحو والأدب. وكان نصيب الاهتمام بعلوم الأوائل لا يذكر بالمقارنة مع العلوم العربية على الرغم من التشجيع الذي أولاها عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ) والحسار الذي رفعه عنها عبد

^١ - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المعري، ط١، القاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤، ص ٦٢.

^٢ - نفس المرجع ، ص ٦٣ .

الرحمـنـ الثـالـثـ (٣٥٠-٣٦٦ـ هـ). والدورـ الـكـبـيرـ الـذـيـ لـعـبـهـ الـحـكـمـ الـمـسـتـصـرـ (٣٥٠-٣٦٦ـ هـ)ـ أـيـامـ وـالـدـهـ وـفـيـ فـتـرـةـ حـكـمـهـ فـيـ نـشـرـهـاـ وـبـرـرـ الدـكـتـورـ /ـ مـحـمـدـ سـعـيدـ مـحـمـدـ ذـلـكـ إـلـىـ عـدـمـ رـضـاـ الفـقـهـاءـ عـنـ هـذـهـ الـعـلـومـ،ـ وـاسـطـاعـ هـؤـلـاءـ أـنـ يـؤـثـرـواـ فـيـ وـلـاةـ الـأـمـرـ الـذـينـ أـذـعـنـواـ لـرـأـيـهـمـ،ـ فـعـلـىـ صـعـيدـ الـفـلـسـفـةـ الـبـاطـنـيـةـ نـجـدـ أـنـهـ ظـهـرـتـ عـلـىـ يـدـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـرـةـ الـجـبـيـ الـقـرـطـبـيـ الـمـكـنـيـ بـأـبـيـ عـبـدـ اللهـ وـالـمـولـودـ فـيـ قـرـطـبـةـ.

وـلـاقـتـ الـفـلـسـفـةـ وـعـلـمـ الـفـالـكـ وـتـجـيمـ مـحـارـبـةـ مـنـ الـمـنـصـورـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ كـذـلـكـ،ـ فـأـحـرـقـ كـتـبـهـ وـأـنـفـهـ،ـ بـلـ اـضـطـهـدـ الـعـلـمـاءـ الـذـينـ يـشـكـ فـيـ أـنـهـ يـشـتـغـلـونـ بـهـاـ فـمـنـهـمـ مـنـ لـحـقـتـهـ مـحـنـةـ شـدـيـدةـ،ـ وـفـيـ صـدـارـتـهـمـ أـبـوـ عـشـانـ بـنـ فـتـحـونـ بـنـ مـكـرـمـ الـمـعـرـوفـ بـالـحـمـارـ السـرـقـسـطـيـ الـذـيـ كـانـ مـتـحـقـقـاـ بـعـلـمـ الـهـنـدـسـةـ وـالـمـنـطـقـ وـالـمـوـسـيـقـ مـتـصـرـفـاـ فـيـ سـائـرـ عـلـومـ الـفـلـسـفـةـ،ـ وـلـهـ رـسـالـةـ حـسـنـةـ فـيـ المـدـخـلـ إـلـىـ عـلـومـهـاـ سـماـهـاـ:ـ "ـشـجـرـةـ الـحـكـمـةـ"ـ ،ـ وـقـدـ دـخـلـ السـجـنـ أـيـامـ الـمـنـصـورـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ ،ـ وـبـعـدـ خـروـجـهـ غـادـرـ الـأـنـدـلـسـ إـلـىـ صـفـلـيـةـ ،ـ أـمـاـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ جـمـعـةـ فـقـدـ قـطـعـ الـمـنـصـورـ لـسـانـهـ ثـمـ قـتـلـهـ وـصـلـبـهـ فـخـرـسـتـ أـلـسـنـتـهـ جـمـيـعـاـ لـذـلـكـ^١ـ .ـ

وـأـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ مـوـقـعـ الشـعـرـاءـ مـنـ أـلـئـكـ الـذـينـ اـشـتـغـلـوـاـ بـعـلـومـ الـأـوـاـلـ فـلـمـ يـتـقـبـلـواـ ذـلـكـ،ـ وـحـارـبـوـاـ بـشـعـرـهـمـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ لـأـنـ السـلـطـةـ لـمـ تـتـبـنـاهـ،ـ وـهـؤـلـاءـ يـتـكـبـسـوـنـ بـشـعـرـهـمـ فـمـنـ الـطـبـيـعـيـ أـلـاـ يـقـبـلـوـاـ أـنـ يـسـيـرـوـاـ فـيـ هـذـاـ الطـرـيـقـ،ـ وـمـنـ هـؤـلـاءـ الشـعـرـاءـ الـذـينـ رـفـضـوـاـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ الـفـكـرـيـ مـنـذـ بـدـاـيـةـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ:ـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ رـبـهـ،ـ وـسـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ الـمـرـادـيـ وـغـيـرـهـ .ـ

وـأـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ فـقـدـ لـاقـتـ روـاجـاـ كـبـيـراـ فـيـ قـرـطـبـةـ كـلـوـمـ الـقـرـآنـ وـالـفـقـهـ وـالـلـغـةـ وـالـأـدـبـ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ بـفـضـلـ رـحـلـةـ عـدـدـ مـنـ الـقـرـطـبـيـنـ إـلـىـ الـمـشـرـقـ،ـ وـتـتـلـمـذـهـمـ عـلـىـ كـبـارـ الـعـلـمـاءـ فـيـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـقـدـوـمـ عـدـدـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـشـارـقـةـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ،ـ فـنـشـطـتـ بـذـلـكـ الـحـرـكـةـ الـعـلـمـيـةـ عـنـ طـرـيـقـ الـمـجـالـسـ الـكـثـيـرـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـعـقـدـ لـتـدـرـيـسـ هـذـهـ الـعـلـومـ.ـ فـفـيـ مـجـالـ الـفـقـهـ غـداـ الـمـذـهـبـ الـمـالـكـيـ أـكـثـرـ الـمـذاـهـبـ اـنـتـشـارـاـ لـأـنـهـ الـمـذـهـبـ الرـسـمـيـ لـلـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ،ـ وـذـلـكـ أـيـامـ الـأـمـيـرـ الـحـكـمـ بـنـ هـشـامـ،ـ وـسـبـبـ روـاجـهـ جـهـودـ بـعـضـ الـأـنـدـلـسـيـنـ الـذـينـ هـاجـرـوـاـ إـلـىـ الـمـشـرـقـ وـالتـقـواـ بـمـالـكـ

^١ - انظر أبو العباس أحمد المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط ٣ ، ليبيا ، الدار العربية للتحاب ، تحقيق ج ، س كولان ، ١٩٨٣ ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ وانظر صاعد بن أحمد الأندلسي ، طبقات الأمم ، طبعات بيروت ، دار الطليعة تحقيق حياة علوان ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٨ .

وسمعوا منه وعندما رجعوا إلى بلادهم، وصفوا فضله وسعة علمه وجلال قدره^١. وظهر إلى جانب المذهب المالكي تيار فكري آخر هو المذهب الظاهري الذي قاده ابن حزم في قرطبة واعتنقه عدد من القرطبيين وازدهرت كذلك علوم اللغة والنحو. وازداد نشاط الحركة اللغوية بقدوم أبي علي القالي إلى قرطبة سنة ٣٣٠ هـ أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث ووجد القالي حركة لغوية ونحوية في قرطبة إذ لم تكن خالية من هذا النشاط فحرك القالي نشاط هذين العلمين بسبب تكوينه اللغوي والنحوي على أكبر علماء العربية في المشرق أمثال الأخفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ هـ، وابن السراج المتوفى ٣١٦ هـ وابن الباري المتوفى ٣٢٨ هـ وغيرهم من علماء النحو واللغة.

^١ - انظر أحمد بن محمد المقرى ، فتح الطيب ، مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣

الفصل الثاني

اتجاهات الشعر الأندلسي وأغراضه

المبحث الأول

اتجاهات الشعر الأندلسي

ما يلفت النظر شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي، إذ لم يكن الشعر وفقاً على الشعراء المحترفين، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء وال فلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم، فالمجتمع الأندلسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وأدابها، ثم طبيعة الأندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال، كل ذلك جعل المجتمع يتنفس الشعر طبعاً وكأنما تحول معظم أهله إلى شعراء. ولقد اتجه الشعر في الأندلس إلى ثلاثة اتجاهات: الاتجاه المحافظ والاتجاه المحدث والاتجاه المحافظ الجديد وفيما يلي عرض موجز لتلك الاتجاهات .

المطلب الأول

الاتجاه

المحافظ والمحدث

أولاً: الاتجاه المحافظ

يهتم هذا الاتجاه بالموضوعات التقليدية ويتبع منهج القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي، حيث تحوي ألفاظه جزالة وعبارات لا تخلو من خشونة، أما بحوره فطويلة وقوافيه غنائية، ويحتذى هذا الاتجاه نماذج المشرق.

أما الغزل فكان يعبر عن الحب الصادق، فلا مجال إلا لفارس عاشق أو عاشق فارس يذكر بعنترة بن شداد، " ولعل أهل الأندلس كانوا يمتلكون عالم الآباء والأجداد، حيث الصحراe والكتبان والواحات وهم في عالم يبعد عن ذلك العالم، وكأنهم يستثمرون العالم الممالي " ^١ . وبالرغم من ذلك كان لهذا الاتجاه سماته الخاصة في الشعر الأندلسي، وقد جعلت

^١ - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٩٤، بتصريف .

تلك السمات لهذا الشعر ذاتية مستقلة وطبعت الملامح الأولى للشعر الأندلسي وميزته عن الشعر المشرقي، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه عبد الرحمن الداخل وأبو المخسي والحكم بن هشام وعباس بن ناصح وغيرهم من شعراء الفترة الباكرة.

ثانياً : الاتجاه المحدث

وهو الاتجاه الذي حمل لواءه بالشرق مسلم بن الوليد وأبو العتاهية وغيرهما، من دعاة التجديد، الذين ثاروا على الاتجاه المحافظ وطروقاً موضوعات جديدة بأسلوب متعدد، خالفو فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة، وعرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد عباس بن ناصح، حيث نقله من المشرق، وتمثل الاتجاه المحدث في الأندلس باهتمامه بأغراض لم تكن قائمة بذاتها في القصيدة من قبل، فظهرت القصائد بأسلوب قصصي لا يخلو من روح الدعاية والسخرية^١ ، أما صوره فتتألف من عناصر حضرية في لغة يسيرة الألفاظ وإيقاع يميل إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من أشهر رواد هذا الاتجاه.

المطلب الثاني الاتجاه المحافظ الجديد

ظهر هذا الاتجاه في المشرق بسبب تطرف الاتجاه المحدث ومن ثم هو محاولة لإعادة الشعر العربي إلى طبيعته وموروثه دون جمود أو بداوة، وقد عمد هذا الاتجاه إلى الإفادة من رقي العقل العربي بما بلغته الثقافة العربية الإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة.

وكان هذا الاتجاه محافظاً في منهج بناء القصيدة ولغتها وموسيقائها وقيمها وأخلاقها وروحها، ولكنه مجدد في المضمون وفي معاني الشعر وصوره وأسلوبه. ويمثل أبو تمام والبحري والمتibi دعائماً لهذا الاتجاه في المشرق، وقد عرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد

^١ - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٩٦ وم بعدها، بتصرف .

نفر من الأندلسيين رحلوا للمشرق وعادوا للأندلس بأشعار البحترى وأبى تمام، وكانت فترة الخلافة في ذروة نضجها، إذ كان المجتمع الأندلسي في هذه الفترة قد تجاوز الانبهار بالمستحدثات الحضارية التي بهرت شعراً القرن الثاني وأصبح أكثر استقراراً وتعقلاً. ومن أعلام هذا الاتجاه ابن عبد ربه وابن هانئ والرمادي وغيرهم. وقد عالج شعراً الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، فقد عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيرات الاجتماعية في الأندلس.

ويعد الغزل من أهم أغراض التي عالجها الشعر الأندلسي، وأوضح سماته تلك الرقة في العواطف المعبر عنها في رقة البيان، وكان للحياة الأندلسية دور إيجابي في طبيعة شعر الغزل، فهو غزل حسّي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيناً بأوصاف المحبوب من البيئة حوله، وبالرغم من ذلك فهناك من اتخذوا الغزل العفيف مذهبًا لهم مثل ابن فرج الجياني الذي يقول:

وَمَا الشَّيْطَانُ فِيهِ سَا بِالْمَطَاعِ	وَطَائِعَةُ الْوَصَالِ عَفَقَتْ عَنْهَا
دِيَاجِيُ اللَّيلِ سَافِرَةُ الْقَنَاعِ	بَدَتْ فِي الْلَّيلِ سَافِرَةُ بَسَاتِ
إِلَى فَتَنِ الْقُلُوبِ بِهِ سَادُوا عِ	وَمَا مِنْ لَحْظَهُ إِلَّا وَفِيهِ سَادُوا عِ
لَأْجَرِيُ فِي الْعَفَافِ عَلَى طَبَاعِي ^١	فَمُلْكَتِ النَّهَى جَمْحَاتُ شَوْقِي

وأجمل ما في الغزل الأندلسي بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير، خاصة حين يبكي الشاعر ويحن في إيقاع غير متلكف، ويمثل ابن زيدون قمة هذا الاتجاه خاصة في قصائده إلى ولادة بنت المستكفي. ومن أشهر شعراً الغزل في الأندلس ابن زيدون وابن سهل وابن شهيد، وإن كان كل الشعراً قد أدلوا بذلوهم في شعر الغزل.

" أما شعر المدح فكان موجهاً إلى الأمراء والخلفاء والحكام، وكان يتتناول جانبين من حياتهم، أولهما الصفات التي يخلعها الشاعر على مددوه من شجاعة ووفاء وكرم، وثانيهما انتصارات المدوح التي هي نصر وعز ل الإسلام والمسلمين ثم وصف لمعاركهم الحربية" .^٢

^١ - جذوة المقتبس، ص ٩٧ .

^٢ - انظر اتجاهات الشعر الأندلسية ، ص ١٦٤ .

ويتراوح أسلوب المدح بين الجزالة والسهولة، والفخامة والرقابة، وفقاً لطبيعة المعاني المعبر عنها، ولكنه بوجه عام يميل إلى التأنيق في العبارة والصياغة، وقد تختلف طريقة بناء قصائد المدح بين شاعر وآخر، فبعضها كان ينهج نهج الأقدمين، فيبدأ بمقدمة طلالية ونسيب ووصف للرحلة ثم يتخلص إلى المدح، بينما نجد منهم من يعمد إلى موضوعه مباشرة دون مقدمات.

ويقدم صنف ثالث بين يدي ممدوحه شيئاً من الغزل أو وصف الطبيعة أو الشكوى والعتاب، وعقب ذلك ينتقل إلى المدح. ومن أشهر شعراء الأندلس في هذا الغرض ابن حمديس وابن هانئ وابن زيدون وابن دراج القسطلي ، ولا نجد من الشعراء المحترفين شاعراً لم يعالج هذا الغرض. أما شعر الرثاء في الأندلس في معناه التقليدي فلم يكن من الأغراض الرائجة وظل يحذو حذو نماذج الشعر المشرقي حين يستهلّ قصيدته بذكر الفواجع ووصف المصيبة التي حلّت بموت الفقيد وعادة تستهل القصيدة بالحكم وتختتم بالعظات والعبر .

أما رثاء المدن والممالك، فهو الغرض الأندلسي الذي نبعت سماته وأفكاره من طبيعة الاضطراب السياسي في الأندلس. " كما طوع شعراء الأندلس الفلسفة للشعر والشعر الفلسفية، فصوروا الخواطر النفسية والتأملات الفكرية مما يُعد مجال إبداع في هذا اللون من الشعر " ^١ . أما شعر الزهد والتقطيف والمداائح النبوية، فقد تقوّقوا فيه على شعراء المشرق من حيث غزارة الإنتاج وتوليد المعاني ورسم الصور المؤثرة القوية، ويلفت النظر أن عدداً من شعراء الأندلس أدركوا التوبة بعد طول حياة لا هية فوجهوا طاقتهم الشعرية في آخر أيامهم إلى طلب مغفرة الله ومرضاته وإلى ذم حياة الله والمجون والدعوة إلى الزهد والتقطيف، ومن أشهرهم في هذا المقام ابن عبد ربه وابن حمديس والغازال .

" وكان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل شعر الطبيعة من أميز أغراض الشعر الأندلسي، وتمثل طبيعة الأندلس الرائعة الملهم الأول لشعرائها " ^٢ ، ويعد معظم شعراء الأندلس من شعراء الطبيعة، وكل منهم أدى بذله في هذا المجال إما متغرياً بجمال طبيعة الأندلس أو واصفاً لمجالس الأنس والطرب، أو واصفاً القصور والحدائق التي شيدت بين أحضان الطبيعة،

^١ - د. نافع محمود ، اتجاهات الشعر الأندلسي ، ص ١٣٠ وما بعدها ، بتصرف .
^٢ - نفس المرجع .

ولذلك كان كل شعراء الأندلس ممن وصفوا الطبيعة. ويُعدُّ الشاعر ابن خفاجة الأندلسي المقدَّم بين هؤلاء الشعراء إذ وقف نفسه وشعره على التغني بالطبيعة لا يتجاوزها وجعل أغراض شعره الأخرى تدور حولها. وهناك من الكتاب من يقسم اتجاهات الشعر الأندلسي على نحو غير هذا فيرى أن اتجاهات الشعر الأندلسي تحصر في الاتجاهات الآتية:

١- الاتجاه الاجتماعي "العلائقى".

٢- الإعلامي .

٣- الاتجاه الذاتي. وفيما يلي لمحَّة موجزة عن ذلك:

المطلب الثالث

الاتجاهات الحديثة

في الشعر الأندلسي

١- الاتجاه الاجتماعي (العلائقى)

ينطق الشاعر في الاتجاه الإعلامي بلسان الجماعة، وأما في الاتجاه العلائقى فان الشاعر يبرز ويبين موقف الخاص وعلاقته بالآخرين،"لذلك جاء الاتجاه العلائقى في الشعر الأندلسي نتيجة طبيعية لتأثير الشعراء بالعلاقات الإنسانية المختلفة في المجتمع^١. فنقوم فلسفة هذا الاتجاه على كشف العلاقات الاجتماعية المختلفة وذلك من خلال فنون الشعر المختلفة كال مدح الذي يعتمد على المنفعة والهجاء وستشير الباحثة إلى هذين الغرضين في المبحث الثاني من الفصل الثاني وفيما يلي بيان لغرضي الرثاء والمراسلات في هذا الاتجاه.

١- الرثاء

الرثاء فن قديم قدم الشعر العربي عرفه شعراء الجاهلية والإسلام على مر العصور، إلا أن شعراء الأندلس توسعوا في هذا الفن، وبالرغم من أن رثاء شعراء الأندلس لا يختلف في معانٍ وأساليبه عن رثاء المشارقة إلا انه يتميز عنهم بالإكثار من التفعع والتهليل والأحزان^٢،

^١- نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٦٤ وما بعدها، بتصرف .

^٢- نفس المرجع ، ص ١٧٥ .

وقد يكون السبب في ذلك واقعهم وظروفهم الاجتماعية، وشعورهم بالغربة والوحدة في الجزيرة الأوروبية النائية وتعمق هذا الشعور أكثر بعد سقوط كثير من مواقعم بيد الأعداء." ومن الأشعار التي تحمل في طياتها صور الحزن والحسنة ما قاله الشاعر عبد الله بن بكر الكلاعي عندما قال يرثى الأمير عبد الرحمن بن الحكم إذ يصرح بان الموت قدر كل إنسان وهو لا يفرق بين ضعيف وقوى وبين بسيط وأمير وهذه صورة تتفق مع فلسفة الموت"^١ فيقول:

عجائب تبرهن ظارهما بدافع بالعز تسوارهما يسوس البلاد وأقطارها وعرف الأمور وإنكارها أكف الرجال ومن زارها ^٢	ألا إن في الدهر لمبصريين تسور المانيا فما من عزيز وكان بالأمس سراج العلا على حين حكم رب الدهور فلله ما استودعت في التخييل
---	---

فهذه الأبيات جاءت لتبيّن مدى انتشار ظاهرة التقليد وذلك بإتباع أسلوب الشرح بلغة سهلة توضح مكانة المرثي الاجتماعية، وفي الوقت نفسه جاءت دعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميدة وفضائلها، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله سعيد بن جودي وهو يرثي أحد أصحابه من زعماء العرب ويكثر من التفجع والتحسر عليه ويكشف عن مكانة المرثي الاجتماعية فيقول:

مع الحسن المأمول إذ ضمته القبور وقد كان سهل الأرض يخشاه والوعز بل الجود والإقدام والباس والصبر ويذر الدُّجى يبكيه والأنجم الزهر ^٣	أمستنصرًا بالصبر قد دفن الصبر فيأ عجبًا للقبر منه يضم نبه وما مات ذاك الماجد القرم وحده فشمسم الضحى ترجو لفقدان نوره
---	---

وفي هذه الأبيات يظهر الأسلوب الاستفهامي إضافة إلى أسلوب التعجب، فالشاعر يتعجب من القبر كيف يضم من دانت له الأرض والوعز، وهذا يكشف عن العلاقة التي كانت تربط الشاعر بصديقه فجاء حزنه تلقائياً ينبع من عاطفة شعورية صادقة. ومن جمال قول الشاعر أنه قد بدأ شعره بتساؤل وحيرة (أمستنصرًا...؟) ثم يتدرج إلى ذكر هول المصائب فيذكر مآثر المرثي

^١ - انظر اجاهات الشعر الاندلسي للدكتور نافع محمود ، ص ١٧٥ ، بتصرف.

^٢ - انظر المقتبس ، ص ٩٨ .

^٣ - ابو عبدالله محمد بن الآبار، الحللة السيراء، ج ١، ص ١٥٦ .

وفضائله ويصور الحزن و هو المصاب بأسلوب فني جميل حيث استعمل الأدوات البلاغية من نداء و مخاطبة و تشبيه واستعارة إلى جانب تكرار التجانس و التطابق لأحداث الإيقاع التغيم الصوتي الحزين، والأبيات بعد ذلك تقليدية واضحة من حيث اختيار الألفاظ و ائتلاف المعاني أو من حيث الابتداء أو العرض والانتهاء. " ولم تقتصر مراثي الأندلسيين على الأمراء و القادة إنما امتدت إلى الأقارب، ومثل هذه المراثي ترك المجال واسعاً لإظهار ذاتية الشاعر، ولعل من أبرز ما يميز هذا اللون من الرثاء هو صفاء العاطفة وصدقها و حرارة الانفعال و عمق التوجع " ومن الأمثلة على ذلك مراثية ابن عبد ربه التي قالها عندما خطفت يد المنون ابنه :

والنص حزين وهو يستثير الدمع بل انه يؤثر في نفس القارئ فيجعله يعيش الفجيعة ويشارك الشاعر في أحزانه، والشاعر يبدأ مخاطبة المرثي والمخاطبة بحد ذاتها مناجاة تقصّح عن مدى مرارة فقد ووفاء الأب لابنه حتى بعد الموت.

ولعل جمال المطابقة بين (بلى العظام) و(تجدد الأسى)، تكشف عن مدى الحزن الذي اعتبر الشاعر نتيجة فقده لابنه ثم نلتقي بهذا النداء (باغائياً) الذي فقد صداه مع أن الشاعر يعلم بغيابه ثم انه في بيته الأخير كان رائعاً عندما عكس عمق حزنه بأسلوب استفهامي يلوح فيه التحسر والتوجع. وعلى هذا النحو سار الأندلسيون في الشعر الحزين مكثرين من الوداع والتحسر على موتاهم وتبقى تلك المعانٍ المؤلمة إنسانية عامة يشترك فيها الناس جميعاً.

٢ - المراحلات الشعرية :

شاع في الأندلس شعر المراسلات وهو نوع من الترف الأدبي أوجت به البيئة الأندلسية وكثير فيها كثرة بالغة، " وقد انتظمت المراسلات أغراضاً متعددة منها الدعوة إلى مجالس الأنس والطرب وتشمل ما قالوه مع الإهداء والاستهداء وما صاغوه رسائل ضمنوها العتاب والهجاء وما شابه ذلك من المعانٍ" .^٣

^١ - انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ، ص ١٧٩ ، بتصرف .

^٢ - أبو منصور عبد الملك الشعالي، يتيمة الدهر، تتح محمد محبي الدين عبد الجميد، ج ٢، ص ٧٦.

^٣ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ، ص ١٧٩ ، بتصرف .

وترجع أهمية هذه المراسلات إلى مالها من دلالة فنية يمتاز بها أسلوبها من الوضوح والرقة وبعدها عن الكلف والتزوير العاطفي. ومن الأمثلة على هذه المراسلات مراسلة كتبها الشاعر محمد بن أبي عبده إلى صديقه الشاعر احمد بن عبد ربه يستدعيه فيها ليأنس بالطرب فيقول :

فقد قضت خواتتها نزاعا
إذا سكبت لها طارت شاعا

أعدها في تصايبها جزاعا
قلوب يستخف بها التصافي

فأجابه احمد بن عبد ربه بقوله :

حقيقة أن يصاخ لك استماعا
متى تكشف قناعك للتصافي
متى يمشي الصديق إلى فترا
فجدة عهد لهوك حين يبنى
وأن يعصي العذول وأن تطاعا
فقد ناديت من كشف القناعا
مشيت إليه من كرم ذراعا
ولا تذهب بشاشته ضياعا

ويبدو أن المراسلات كانت أمرا شائعا في كل المناسبات لدرجة أن الشاعر إذا أعجب بشيء هم مسرعا وكتب لصديقه وفيما يلي أبيات جميله بعثها القاسم بن الأمير محمد إلى صديقه الشاعر محمد بن عبد العزيز العتببي، ويبدو من أبيات الأمير أنه كان يمشي في بستان رائق المنظر فقال:

شماء قد عليت من كل بنيان

إن اصطبخت مداما فوق مشرفة

فأجابه العتببي بقوله:

أهدت لها طيبها جنات رضوان
حفت ببدر دجى من آل مروان
وجوده المرتجي من دونه دان

في جنتة بازاء النجم ساميـة
وأوجه كنجوم الليل زاهـرة
أعلا قريش محلـا في أرومـة

١ - أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، ص ١٠٠ .

٢ - نفس المصدر ، ص ١٠٠ .

٣ - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي، ط١ ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠ ص ١٨١ .

من المكارم مالم تحوكفان
 جودا بجود وإحسانا بإحسان
 وجودة العيش ما كرالجدیدان^١
غمرا النوال له كفان قد حوتا
 اعز أشيه أباء له سلفوا
 فاشرب على جدة الدنيا وزهرتها

فالمراسلات الشعرية بمفهوم الشعراء الأندلسيين – كانت تمثل قيمة أدبية حضارية، تؤدي خدمة اجتماعية بجانب قدرتها على إقامة علاقات إنسانية، لأنها لغة تفاهم تتبادل بواسطتها العواطف والانفعالات الشعرية.

ثانياً - الاتجاه الإعلامي:

يقصد بهذا الاتجاه التفاعل مع أحداث المجتمع تأثراً وتأثيراً بصدق وقوة، وقد شغلت الأحداث الاجتماعية أذهان الشعراء، فاتخذوا من شعرهم وسيلة فعالة لتصوير المجتمع وما يدور فيه من أحداث اجتماعية تصويراً فنياً. وقد تفرع عن هذا الاتجاه موقف شعرية متعددة منها:

١ - الشعر (الحربى)

ركز هذا النمط من الشعر الأندلسي على الاهتمام بكل ما يخص الوطن" فجاءت أفكاره ومعانيه تدعوا إلى حماية الوطن وبث الروح المعنوية بين صفوف المقاتلين بالإضافة إلى محاولته حث المسلمين للتصدي لكل الهجمات التي كانت تشنها القوات الغازية للأراضي الأندلسية".^٢

ويبدو أن الشعر قد رافق جيوش المسلمين وواكبت قوافيه شعراً لهم وكان الأمراء يدفعون الشعراء إلى قول الشعر الحماسي وبلغ الأمر بالمنذر بن محمد انه كان يستمع إلى الشعراء ينشدونه غازياً وراجعاً. وقد عاش الشعر في هذه الفترة مع الحياة الحربية وغداً ظلاً لها فاخبرنا عن تلك الجيوش التي تموج في الفيافي كاضطراب أمواج البحر الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبى حيث يرسم لنا تلك الصورة بقوله.

كموج البحر يضطرب اضطراباً
 إليه كل من سكن التراباً^٣
وكم جيش تجييش به الفيافي
 كان الصور ضمت نفختاه

^١ - انظر المقتبس، مصدر سابق، ص ٢٠١.

^٢ - انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص ١٤٨ . بتصريف .

^٣ - عبدالله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تتح إحسان عباس، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦م، ص ٢١٣ .

والصورة هنا تقليدية لا تختلف عن الصور القديمة والملاحظ أن الشعر جاء بألاظ لغة الشعر القديم (الفيافي ، كموح البحر ، اضطراب) وساعد مجيئها في (بحر الوافر) على التركيز على الموسيقى التي تهز النفس فتقرع النفوس الخامدة ، فتحضها على اليقظة والتبصر بما يدور حولها . ومن الشعر الحربي ما قاله عباس بن فرناس الذي تحدث عن وقعة وادي سليط وهي من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون فأنسد يقول :

لهم الفلا عن القنابل ملة ف
بروفا تراءى في الجهام وتنستخ في
قراءيريم قد عجزن عن القذف
حجى ملك فجده شمائله ع ف
إذا وصف الأملأك جل عن الوصف
وقد نقض الإصناب عقد عرى السجف
كما اجتمع الجعلان للبغرفي وقف
فولوا على اعتقاد مهزومة كشف
شواهين جادت للغرانيق بالنسف

إلى الجبل المشحون صقا على صفا
أرى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
وألفا وألفا بعد ألف إلى ألف
فاغرق فيه أو تدادا من جرف^١

ومن مختلف الأصوات مؤتلف الزحاف
إذا أومضت فيه الصوارم خلتـا
كان ذرى الأعلام في سيلانـه
وان طحنت أركانـه كان قطبـها
سمى خاتـام الأنبياء محمدـ
 فمن أجلـه يوم الثلاثاء غـدوة
دعـاهم صـريطاـ الحـرين فـاجـتمـعواـه
فـما كان إـلاـ أن رـماـهم بـبعـضـهـا
كان مـسـاعـيـرـ المـواـليـ عـلـيـهـ^٢

بنفسـيـ تـتـانـيرـ الـوغـىـ حـينـ صـنـفتـ
يـقولـ ابنـ يـليـوسـ لـموـسىـ وـقـدـ وـنـىـ
قـتـلـناـهـمـ أـلـفـاـ وـأـلـفـاـ وـمـثـلـهـ
سوـيـ منـ طـواـهـ النـهـزـيـ فـمـسـتـلـجـهـ

فمن خلال هذا النص يتضح لنا مدى اهتمام الشاعر بشئون قومه ووطنه وكل ما يدور حوله من أحداث ، " فهو إلى جانب فزعه من هول المعركة وما صاحبها من صور مؤلمة مخيفة أراد أن يبرز شجاعة قومه وقدرتهم على تحطيم المعاقل وتدمير المقاتلين " . ومن الشعراء الذين وصفوا نفس المعركة الشاعر محمد بن عبد العزيز إذ وصف شجاعة العرب المسلمين وقدرتهم في تحطيم المعاقل والحسون فيقول :

^١ - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسـيـ ، العـقـدـ الفـرـيدـ ، تـحـ أـحمدـ أـمـينـ ، الـقـاهـرـةـ ، لـجـنةـ التـأـلـيفـ وـالـتـرـجمـةـ ، ١٩٤٠ـ مـ ، جـ ٤ـ ، صـ ٤٩٥ـ .

^٢ - انظر اتجاهات الشعر الأندلسـيـ للـدـكـتـورـ نـافـعـ مـحـمـودـ صـ ١٤٨ـ . بـتـصـرـفـ .

واستنطق السمر العوالى تنطق	سائل عن الشغر الصوارم تصدق
مثلا بكل مغرب ومشرق	تركك وقائع في الشغور وقد غدت
١ تركتهم مثل الرماد الأزرق	جادت عليهم حرية بصواعق

والملاحظ في هذه الأبيات أنها لم تتجاوز كونها نظماً في لغة قديمة فصيحة واضحة المعاني يلطفها نسق موسيقي معين وقد جاءت لتخبرنا بشجاعة العرب المسلمين وإقدامهم في المعارك وتخاذل أعدائهم أمامهم وببدأ الشاعر أبياته بأسلوب الطلب ليؤكد شجاعة قومه وتمرسهم في القتال.

ومن خلال النظر في الاتجاه الإعلامي في الشعر الأندلسي نجد أن من سماته أنه يقدم بأسلوب واضح معين يقصد منه تعميق القيم التي تبعث بالقوم الروح الحماسية والقتالية كما تبعث بهم روح اليقظة. ومن سمات هذا الاتجاه كذلك، أن يطالب الشعراء بأن يكون شعرهم معبرا عن وجادن الجماعة بحيث تتحمل مسؤوليتها في الدفاع عن حرمة الأرض التي يعيشون فيها وواصفا ما يدور في المواقع والمعارك ومن ذلك ما قاله ابن عبد ربه :

فهذه الأبيات تصف لنا معركة دارت رحاها بين العرب والأسبان، فالشاعر يصف المعركة وأدواتها ولقاء أبطالها، فجاء الوصف في صورة فنية بينت شدة وهول الحرب ومخاطرها لذاك عبر الشاعر في بيته الثاني عن مخاطر الحرب والخوف منها، وفي بيته الثالث بين مدى شجاعة العرب وجبن العجم وعبر ذلك في قوله فللسنها عجم وأفعالها عرب.

^١ - ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تصحيح وطبع رينجرت دوزي، ليدن، ١٨٣٩، ج ٢، ص ١١٣ .

^٢ - انظر العقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

يعبر الاتجاه الإعلامي عن كل ما يدور في الحياة الاجتماعية، ويعكس جوانبها المختلفة، فهو يؤثر فيها ويتأثر بها، والشاعر كغيره من أبناء المجتمع فهو مطالب بالالتزام بقيم وعادات قومه، لأنه متوجه ومعبر عن أزمة ضميرهم فهو ترجمان لأفكارهم وتقاليد them وقيمهم يستوعبها هو أولاً، ثم يمثلها في ذاته ويخرجها بصيغ فنية ذات معان وأفكار تهدف إلى تأصيل القيم المعنوية في الجماعة، وبث روح التكثل والحماسة والتعصب فيهم. فالشعر في بلاد الأندلس كان متৎساً للتعبير عن التعصب الذي أصاب القوم، فالقسيسي يفتخر بقيسيته ويدعو إلى الانتقام من الكلبي والكلبي يناضل من أجل كلبيته ويدعو إلى الثأر من أعدائه ويبدو أن كل فريق قد أوقع بالعبث والمغالطة والخيالات الفاسدة كما نلمحها في قول أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي:

أفأتم بني مروان قيسا دماءنا
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط
وقيناكم حر القنا بن حورنا^١
وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل
ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وليس لكم خيل سوانا ولا رجل

فهذا النص الشعري يبين مدى اعتزاز الشاعر بكلبيته، ومدى حقده على أعدائه من القسيسين، فهو في هذه الأبيات يدعوبني أمية لنصرة قومه ويطالبهم بالعدل في موافقهم فيذكرهم بموضعه مرج راهط، التي كان لقومه الفضل الكبير في مساندةبني أمية ونصرتهم فيها.

ويستدل من هذه الأبيات أن العداء بين القسيسية والكلبية (اليمنية) لم يكن أمراً جديداً بالأندلس وإنما هو عداء قديم انتقل إلى الأندلس مع العرب الذين رحلوا إليها. ولم يذكر التاريخ عن الصراع القبلي هذا إلا ما جاء في أبيات لأبي الخطار، وأبيات أخرى وجهها إلى جواس بن القعطل الكلبي يطمئنه إلى أنه ثأر له وشفى النفس من المضربين (القسيسين) فيقول:

^١ - انظر كتاب في نقد الشعر ، ص ١١٤ .

سعينت به سعي امرئ غير غافل
جذوع نخيل صرعت بالمسايل
بكفي وما استثنى منها أنا ملي^١

فليت ابن جواس يخبر أنسني
قتلت به تسعين تحسب أنهم
فلو كانت الموتى تباع اشتريته

فهذه الأبيات تبين أن الشاعر قد أخذ على عاتقه حماية قومه بل انه أوقف حياته لهم، فهو فارس بينهم يحميهم ويثار لهم مما يدل على شجاعته وفروسيته، وقد استخدم ضمير الفاعل (الناء) في (سعين، قتلت، اشتريت، استثنى) للدلالة على قوته وشجاعته، ولعل المبالغة نلمحها واضحة اشد الوضوح في البيت الثالث من القصيدة. ومقابل ذلك نسمع قيسياً متعصباً هو الصميم بن حاتم في معرض رده على الطائين بفخر وحماسة فيقول:

لا إن مالي عند طى وديعة
ولا بد يوم أن ترد الودائع^٢
فإن سكتوا اثنت على الودائع^٣
سلوا يمنا عن فعل رمحي ومفصلي

فهذه الأبيات تدل على انتقام الشاعر إلى القبيلة من خلال توعده لأعدائه الطائين الذين استولوا على أرضه وارض قومه وفيها كذلك إشارة إلى شيء من شجاعته وقوته وهذا ما نراه واضحا في الصفات المادية التي حرص الشاعر على إثباتها في البيت الثاني بشكل فني يعتمد الاستعارة وأسلوب الطلب ونسمع إلى صرخة متعصبة من قيسى آخر.

أناك الغوث وانقطع الحصار
عليها الأكرمون وهم نزار^٤
لا أبشر بالسلامة يا جدار
انتك بنات اعوج ملجمات

فمن خلال النصوص المتقدمة نجد أن الشاعر الأندلسي كان يتحدث بلسان قبيلة فهو حاميها والمدافع عنها والذائد عنها وعن عزتها وكرامتها، والنصوص بعد ذلك يسودها نغمة واحدة هي التغني بالانتقام إلى القبيلة والمحافظة عليها والرد على خصومها.

^١ - ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تج عبدالله الطياع، ط ٢، بيروت، ١٩٥٧، ص ٥٤.

^٢ - انظر تاريخ افتتاح الاندلس، ، ص ٥٤.

^٣ - دكتور حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩، ص ٢٣٨ .

٣- الشعر العنصري

لم يخل الشعر الأندلسي من الفخر بالأجناس، فقد تأصلت العصبية في النفوس مما نتج عن ذلك أن أكثر الشعراء من الشعر الذي يمجد العرب والمولدin، واتخذ صورة الهجاء السياسي بعد أن احتمم الصراع بين العرب والبربر فكان كل فريق يتفاخر بنفسه ونسبة^١. ويقول الدكتور إحسان عباس في هذا السياق: "إن هذا الشعر كان يمثل صورة من النماذج المشرقية إذ أنه عبر عن الصراع الأدبي بين العرب والمولدin إلى جانب الصراع السياسي^٢، فكان الشاعر يفخر بقومه ويرد على شاعر أعدائهم ما وصمهم في شعره وربما كانت قصيدة الرد من نفس البحر والقافية كقول عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعلبي شاعر المولدin .

وضع ركن عزهم الأذل
وهاهم عندنا في البير طل^٣

قد انقضت قناتهم وذروا
فما طلت دمائهم لديهم

ويناقضه الشاعر سعيد بن جودي ويرد عليه بقصيدة مدح فيها زعيم العرب سوار بن حمدون وأشار إلى العرب ووقائعهم حيث قال:

أباد ذوي العدوة فاض محتوا
بها نهل العبيد معاً وعلوا
بها خضعت رقابهم وذروا
حاماها مانع لا يستذل
وألفهم بواحدنا يقتل
وليس لنا دم يوماً يطبل
وارثكم بني العبدان ذل^٤
فليست ما حببتم تستقبل

لو سوار على الأعداء سيف
سقاهم كأس حتف، بعد كأس
وقد رفعت لسوار قنّاة
قناة المجد مركّزاً عزيزاً
قتلت بواحد سوار ألفاً
فقد سفكت دمائهم وطالت
ورثنا المجد عن آباء صدق
وأخذنا رقابكم فذلت

^١- انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص ١٤٨ . بتصرف .

^٢- احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - ، ط ٢، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٩ م ، ص ٩٧ .

^٣- ابو حيان القرطي ، المقتبس في أحجار بلد الأندلس ، تتح محمود علي مكي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ ، والجزء الثالث تح ملشور انطونيه ، باريس، ١٩٣٧ ، ص ٦٥ .

^٤- أبو عبدالله محمد بن الآبار ، الحلقة السيراء ، تتح الدكتور حسين مؤنس، القاهرة ، ١٩٦٣ م، ص ١٥٢ .

وخلاله القول فان هذه النقائض كانت محصورة بين العرب والمولدین ولم تجاوزهما إلى غيرهما، ونجد معانيها ركيكة بسيطة لا بلاغة فيها، فهي مقصورة على افتخار الشاعرین بما ثر قومهما .

ثالثاً: الاتجاه الذاتي

يعبر هذا الاتجاه عن أحوال الشاعر بغض النظر عن أحوال الآخرين، وهو من أكثر الاتجاهات غنائية لأنه يتناول أحوال وأحاسيس الشاعر، "ويختلف هذا الاتجاه عن الاتجاه العلائقى في أنه لا ينتظر استجابة من الآخرين، كما أنه يخلو من الجانب الإعلامي لأنه لا يعبر عن الجماعة إلا بمقدار ما يعده الفرد نموذجاً يمثل جماعته ، ولعل من أكثر ما يميز الاتجاه الذاتي عن غيره من الاتجاهات هو بروز ملامح شخصية الشاعر من خلال تعبيره الفني عن عواطفه وانفعالاته بشيء من الاستقلال الذاتي ^١ . ولقد تبلورت معالم الاتجاه الذاتي في الأغراض الآتية:

- ١- وصف الطبيعة.
- ٢- الغ______ زل .
- ٣- ال______ زهد.

١- وصف الطبيعة

طبيعة الأندلس جميلة وفاتحة فتنت الشعراء والمؤرخين بجمالها، وقد أكثر المؤرخون أمثال ياقوت الحموي وابن عذارى والمقرى وغيرهم، من وصف جمالها ورياضها الوارفة ومياهها الجارية وكثرة بساتينها وجمال قصورها وخلابة منظرها وقد حبت الطبيعة هذه الجزيرة سحراً خاصاً بهر كل من رأها ويقول صاحب معجم البلدان: أما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر تغلب عليها المياه الجارية والشجر والرخص والسعنة في الأحوال ^٢ ، ووصفها أبو عبيدة البكري بقوله: الأندلس شامية في طيبتها وهوئها، يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائتها، اهوازية في عظم جبائتها، صينية في جوهر معادنها، وقال بعضهم عنها:

^١ - انظر اتجاهات الشعر الأندلسي الدكتور نافع محمود ص ١٨٦ . بتصريف .

^٢ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٥ م ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

^٣ - شهاب الدين أحمد المقرى ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تتح مصطفى السقا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩ م ، ج ١ ، ص ٦٠ .

هي الأرض لا ورد لديها مكدر ولأطل مقصور ولأروض مجدب^١

وقد جذبت هذه الطبيعة أنظار الشعراء فهاما بها، واقبلوا عليها في شغف يتغزلون بها ويفتنون في أوصافها ويصورون محاسنها ومفاتحها فوصفوا الرياض والأزهار والفاكه والجداول والقصور وغيرها من مظاهر طبيعتهم الساحرة. وقد جاء وصفهم تعبرا عن استجابة النفس الشاعرة لرغبتها في التمتع بجمال الطبيعة أو الاستجابة لتأثير مظاهر الجمال. يقول عباس بن فرناس.

ترى وردها والأقحوان كأنه بها شفة لعساه ضاحكة ثغر^٢

فالشاعر في بيته هذا قد صور جمال الورد وهو في أحضان روضة غناه تصويرا بارعا وأجمل ما في التشبيه هذا أن صور الورد وكأنه ابتسامة عذبة رسمت على ثغر جميل وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الامتزاج الشعوري إزاء المنظر الطبيعي. وفي وصف فني آخر يصور عباس بن فرناس جمال الصبح وتتنفس نوره في حركة ذاتية لها كبير الأثر على إشارة المشاعر الإنسانية حيث يقول:

فبتنا وأنواع النعيم ابتدالنا إلى أن بدا وجه الصباح كأنه ولا غير عينيها وعيني كحالى جيئن فتاة لاح بين مجال^٣

ولقد تضمنت هذه الأبيات وصفا رائعا لجمال الصباح وأثره على أحاسيس الشاعر الوجدانية، وقد بدت للعيان ظاهرة التشخيص بارزة في تجسيد حركة الصباح التي هرت الشاعر ووصفها الشاعر وصفا حسيا جميلا. وفي بيته من الشعر يصف ابن عبد ربة فيما المظاهر الطبيعية وصفا فنيا في غاية الروعة فيقول:

^١ - انظر نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢١ .

^٢ - أبو عبدالله محمد بن فتوح الحميدى ، جنوة المقبس في ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، ص ٣١٨ .

^٣ - انظر التشبيهات ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

**حتى إذا ما الليل قوض
وبدا الصباح كغرة**
**راحلا عند الغلس
تبدو على وجه الفرس^١**

فجاءت هذه الأبيات تصف لنا صورة بزوع الصباح وتكشف عن قدرة الشاعر التعبيرية عن تلك الأجراء الشعورية التي وقع تحت تأثيرها فوصفها وصفاً جميلاً معبرة عن مشاعره، وفي الوقت نفسه توحى إلى السامع بالتأمل وتبعث فيه روح الانتعاش بجمال الطبيعة وتعمق من تفكيره فيها، وقد ساعده في هذا استخدامه التشبيه في بيته الثاني إذ شبه إشراق الصباح كغرة مشرفة على وجه فرس وهذا تشبيه جميل. وتغنى شعراء الأندلس كذلك بالربيع، فابن عبد ربه مثلاً يقف أمام روضة وقد حل الربيع بها فتهتز نفسه الشاعرة فيرسم صورة يتخيل فيها تزاوجاً قد عقد بين تلك الروضة الفتاة والربيع الجميل فيقول:

نورا بنور وتزويجا بتزويج وناتج من غواصيها ومنتج من نورها وراء غير منسوج وجللتها بأنماط الدبابيج^٢	ورووضة عقدت أيدي الربيع بها بملقح من سواريها وملحقة توسحت بملأة غير ملتحقة فألبست حلل الموسي زهرتها
--	---

فهذه التعبيرات الذاتية جاءت بصورة فنية متحركة تشع عن مدى الامتزاج الشعوري بين الشاعر والتأثير الفني لمظاهر الطبيعة على شعوريته المرهفة. ويتبين فيها قدرة الشاعر على خلق تلك الصور الكثيرة المجتمعة في روضة ك قوله "عقدت أيدي الربيع" و "توسحت بملأة غير ملحمة" ، "ألبست حلل الموسي زهرتها..الخ، فالشاعر هنا مفتون بحب الربيع.

ولم يغب عن بال الشعراء وصف الفواكه والثمار، بل انتبهوا إليها فوصفوها وتغزلوا بها وصاغوا ذلك كله في أسلوب رشيق جميل، ويبدو أن الأندلسيين قد اغرموا بالتفاح وفضلوه على غيره من الفواكه ولذلك وصفوه وتغزلوا به ومن ذلك قول إسماعيل المنادى وهو يتغزل بتفاحة.

^١ - انظر التشبيهات ، ص ٢٦ .

^٢ - انظر التشبيهات ، ص ٢٦ .

يذكر طيب جنات الخلود
يجدد وصله بعد الصدود
بطيب النشر والحسن الفريد
فقالت لي بطيب أبي الوليد^١

مجال العين في ورد الخدود
وأطيب ما تمنى النفس ألف
وارجحة من التفاح تزهى
أقول لها فضحت المسك طيبا

ووصف شعراء الأندلس القصور وروعتها وجمالها، وينسبون إلى عبد الرحمن الناصر
أبيات قالها في هذا المعنى :

من بعدهم فبالسن البنيان
ملك محاه حوادث الأزمان
أصحي يدل على عظيم الشأن^٢

هم الملوك إذا أرادوا ذكرهما
أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم
إن البناء إذا تعاظم شأنه

ومن الشعراء الذين قالوا في هذا الاتجاه الشاعر عباس بن فرناس قال يصف قصراً وكان
بالقصر بركة عليها أشجار من ذهب وفضة، وكانت تتساب المياه من فروع الشجر فقال وهو
يشحن أبياته بوافر من التشبيهات :

وصوب لم يبلغ إلى الأرض في شجر
وتلحفها من نورها فما سنا الغر
نتوء الذرى أخفى شخوصاً من الذر
بالأطيوار والوحش والزهر
يعود إلى العقيان بعد جنفي البسر
خدود عذاري في مقانعها الخضر^٣

إذا بلغ النظر المكثر فرعنها
لها الغرف أليس التي يضحك الضحى
كان قصور الأرض بعد تمامه
وتنتشر الأ بصار منها إلى مناناه
نشت لولوا ثم استحالات زمردا
ومن أرجات في الغصون كانها

فالآلفاظ في الأبيات الشعرية أوزانها حسنة وألفاظها سهلة رقيقة خفيفة على النفس والأذن،
إضافة إلى دقة تصوير الشاعر وإجادته في التعبير والتوصير، فإذا نظرنا إلى الصور الواردة
في الأبيات خيل إلينا أنها تتحرك، والرسوم الجامدة تتكلم، والطيور تفرد، ففي كل بيت من

^١ - أحمد بن يحيى الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٣٥ .

^٢ - محمد عبدالله عنان ، ترجم اسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٠ م ، ص ١٨٦ .

^٣ - انظر المقتبس ، ص ٢٢٩ .

أبيات هذه القصيدة صورة فنية جميلة تعبّر عن معنى من المعاني البدعة. واتجه شعراء الأندلس إلى وصف تغريد الطيور ويمكن أن نلمح ذلك في شعر ابن عبد ربه^١.

كذى شجن داويته بشجون
حزين بكى من رحمة لحزين

وإن ارتياحي من بكاء حمامه
كان حمام الأيك حين تجاوبت

وقال أيضاً وقد سمع حمامه تشجو :

تشجي الخلي وما به شجو^٢

ولرب نائحة على فنن

ففي الأبيات الأولى يذكر الشاعر حمامه صادحة على الأفنان في شجو وحنين ويبدو أن حمامه كانت ذا شجاً حزين مما هيجهت عواطفه وانهالت أحاسيسه حتى بلغ إحساسه الشعري ذروته عندما تصور تناجم شجاً الحمامه الحزين وكأنه انبعث بكاء لحزنه. وفي القطعة الثانية، يكرر نفس الصورة بأسلوب رقيق يكشف عن ترجمة ذات الشاعر إزاء عجائب مخلوقات الله.

٢ - الفزل

غالباً ما تكون المادة الشعرية للشعراء نابعة من تجاربهم الوجданية الخاصة، ومن معاناتهم الشخصية والعاطفية في الحياة الأندلسية، وبعد الغزل أكثر فنون الشعر التي طرقها الشعراء الأندلسيون. ولم يخرج الغزل الأندلسي عن الإطار العام للغزل العربي فقد جاء غزلهم في معظمها غزاً لا تقليدياً تتعدد فيه تلك المعاني والأفكار التي ترددت في الشعر المشرقي فوقفوا على الإطلال وبكوا الديار ويعبر يحيى الغزال عن هذه المعاني فيقول:

وتنورت بالخيالات نارا
من لظاها فما أطيق اصطبارا
رميضاً السعير منها استعاراً

ريع قلبي لما ذكرت الديارا
وازدهيتي ذات السنابن ببروق
والقريح القواد يزداد لنا

^١ - انظر العقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

^٢ - انظر التشبيهات ، ص ٥٦ .

^٣ - انظر التشبيهات ، ص ٥٦ .

ويتناول احمد بن عبد ربه المعنى نفسه فيقول:

ديار عفت تبكي السحاب طلها
وتندبها الأرواح حتى حسبتها
وما طلل تبكي عليه السحائب
صدى حفرة قامت عليها النوادب^١

والشاعر محمد بن عبد العزيز العتببي ينحو نحوهما فيقول:

فاسأل بهن ربوعهن وما الذي
عفت معالمه الليالي مثل ما
يجدي عليك سؤال ديع دادر
عفى سواد الشهربهجتا عامر^٢

كما أثروا من الحديث عن العذال والوشاة ووصفوا المرأة وصفا تقليديا فتحذثوا عن سهام
الألحاظ وجمال المحييا وطول الرقبة وطبيب الريق ومن مثل ذلك قول ابن عبد ربه:

مظلومة باللحظ وجنتها
وكان عينيها تضئنا
وجفونها جبت على الظلم
ما في فوادك من جوى السقم^٣

ومن المعاني التي رددوها في غزلهم فكرة التحول التي عبر بها الشعراء عن أشواقهم وما
حل بأجسامهم من الأقسام والضنى وترددت هذه الفكرة في غزل الشاعر احمد بن عبد ربه من
ذلك قوله:

هيج الشوق دواعي سقمى
أيها اليين اقلني مرة
وكسى الجسم ثياب الألم
إذا اعدت فقد حل دمي
إن من فارقته لم ينم
من لوشاء داوي سقمى^٤
يا خلي الروع في غبطته
وله هاج بجسمي سقما حب

والامير عبد الرحمن الأوسط يتذكر معشوقته فتقوم عنده حالة من الوجد والهياط تضرم في
قلبه لهيباً محرقاً فيقول:

^١ - انظر التشبيهات ، ص ١٦٦ .

^٢ - التشبيهات ، ج ٢، ص ٢٩ .

^٣ - التشبيهات ، ج ٢، ص ١٣٦ .

^٤ - انظر نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

لئن حال دونك بعد المزار
لقد أورث الشوق جسمي الضنى
من بعد أن كنت مني قريباً
واضرم في القلب مني لهيباً^١

ومن الغزل الرقيق والاستعفاف الجميل قول أبي الربيع سليمان بن محمد بن وانسوس الذي يعترف إلى محبوبته بأنه لا يستطيع العيش بدونها، وأجمل من ذلك ما في البيت الأول من تشبيه جميل إذا شبه فيه محبو بته بدر الدياجي وعبر عن ذلك بقوله :

كيف لي أن أعيش دونك يا
إن يوماً أراك فيه ليوم
بدر الدياجي وأنت مني بعيد
في حسابي مدى الزمان سعيد
غير وصلي وذاك مالا تريـد^٢
ومرادي ألا أراك تـدانـي

ولا تختلف صورة المرأة في الشعر الأندلسي عن صورتها في الشعر العربي، فلم تزل المرأة الجميلة هي تلك المرأة ذات الوجه المستدير، الذي يشبه البدر والشعر المرسل والأحاظ الساحرة والقدود الموردة. وما شابه ذلك من الصفات، فمن تلك الأوصاف التقليدية المألوفة نجده في قول أبي الربيع سليمان بن محمد بن وانسوس حيث يشبه حبيبته بالقمرین فيقول:

الحب علم مقلتي أن تسـهـرا
يامـشـبهـ القـمـرـينـ مـالـكـ مـعـرـضاـ
وـقـضـىـ عـلـيـ بـاـنـ أـذـلـ وـاصـبـراـ
عـنـيـ وـانـيـ لـأـزـالـ مـحـيـراـ^٣

وأفاض الشعرا في وصف العيون الجميلة التي ترمي قلوب العشاق بسهامها والخدود التي تشابه الورد عطرا وجمالا وكثيرا ما تمزج تلك الأوصاف بأوصاف الطبيعة ويصور لنا الأمير عبد الله بن محمد جمال محبوبته وصفا بديعا ويزج بين جمال الورد وخدود المحبوبة حيث يقول:

ويحيى علي شادن كـحـيلـ
كـأنـماـ وجـنـتـاهـ وـرـدـ
في مـثـلهـ يـخلـعـ العـذـارـ
خـالـطـهـ النـورـ وـالـبـهـارـ

^١ - أبو عبدالله محمد بن البار، الحلقة السيراء، تتح د/ حسين مؤنس، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج ١، ص ١٤٤ .

^٢ - انظر المغرب في حل المغارب، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦٢ .

^٣ - انظر بيتمة الدهر ، ج ٢، ص ٥٤ .

قضيب بـان إذا تشنى
وقف عليه صفاء ودى
يدير طرفا به احوار
ما اختلف الليل والنهر^١

ويحدثنا الشعراء عما يصيب الإنسان من أسى وألم عندما يقترب يوم البين ولحظة الوداع،
وابن عبد ربه يصور موقف الوداع أجمل ما يكون التصوير ويرسم لوحة فنية رائعة للحظات
الوداع ويفيض من وصف حالة المرء وقت الوداع فيأتي شعره تعبرا عن عاطفة ذاتية تكشف
عن مدى الشوق واللوجد ومعاناة القطيعة والفارق:

ثم نادت متى يكون التلاقي يین تلك الجيوب والأطواق يین عينيك مصرع العشاق ليتني مت قبل يوم الفراق ^٢	ودعتنی بزوره واعتناق وبدت لي فأشرق الصبح منها يا سقیم الجفون من غير سقم إن يوم الفراق اقطع يوم
--	---

والأبيات المتقدمة تعبر عن مشاعر النفس ومعاناتها من الفراق، وما يحدثه هذا من أثر نفسي
في شعور الشاعر الذي يعني منه. وكان الأندلسيون يستذubbون الألم في سبيل الحب
ويستصغرون الملك أمام تيار العاطفة والأمير الحكم هو صاحب السلطات والملك يبقى متذلا
واضعًا خده فوق التراب من أجل محبوبته حيث يقول :

ولقد كان قبل ذاك مليكا وبعاد ايدني حماما وشيكا مستهاما على الصعيد تريكا للذى يجعل الحرير اريكا إذا كان الهوى مملوكا ^٣	ظل من فرط حبه مملوكا أن بکى أوشكـا الهوى زيد ظلما تركـته جـاذـرـ في القـصـرـ صـبـاـ يـجـعـلـ الـخـدـ وـاضـعـاـ فـوـقـ تـرـبـاـ هـكـذـاـ يـحـسـنـ التـذـلـلـ فـيـ الـحـبـ
--	--

ولاشك في أن كثرة مجالس الخمر والغناء والرقص في الأندلس قد وسعت من دائرة
الغزل، فكثر عشق الشعراء للفيام والجواري والمغنيات، لأنهم وجدوا فيهن مجالا لاستثارة
مشاعرهم وإشباع غرائزهم. فكان غزلهم قد تجاوز في كثير من الأحيان حدود اللياقة والأدب

٥ - انظر معجم الأدباء ، ج ٤، ص ٢٢١.

٦ - انظر معجم الأدباء ، ج ٤، ص ٢٢١.

٧ - انظر الحلة السيراء ، ج ١، ص ٤٩.

فمالوا إلى الإكثار من الأوصاف الحسية، و التعبيرات الجنسية المفضوحة. ولم يقتصر الشعراء على التغزل بالنساء بل تعدوهن إلى التغزل بالغلمان فوصفوا جمالهم وكانوا صباح الوجوه، جميلي العيون فيهم جاذبية ورقة، لذلك تغزل فيهم بعض الأمراء والوزراء والعلماء، ولعل السبب أن هؤلاء الغلمان كانوا يسوقون الخمر حتى إذا ذهبت بعقول الشاريين تخيلوا ما شاء لهم التخيل وتغزلو في الساقين الغلمان. فعبد الله بن عاصم يتغزل بغلام جميل الصورة كان يسوقه **الأمير محمد** فيقول:

ما لحسان الوجه والصلف؟	يا حسن الوجه لا تكون صلفا
ترثي لصب متيم دنف^١	يحسن أن تحسن القبيح ولا

وقد أجاد أغلب شعراء الأندلس المزج بين وصف الخمر والتغزل بساقيها، وهذا ما نلمسه ونجد في شعر احمد بن عبد ربه فيقول في بعض شعره:

راحا براحته ريمة وغازله	بل رب مذهبة المزاج ومذهب
فلك يدور بشمسه وهاله^٢	وكان كف مديرها مديره

ففي الشعر جمال في التصوير، وخيال بارع يدل على بلوغ الأندلسيين في وصف الخمر درجة فائقة، فالشاعر يمزج بين إشراق الخمرة وجمال ساقيها ووصفها بالمذهبة ووصفه بالمذهب. وخلاصة القول فإن شعراء الأندلس قد هاموا في الجمال أينما وجد في النساء أو الغلمان أو الطبيعة.

٣- الزهد

الزهد تعبير عن موقف شخصي إزاء الحياة، وغالبا ما يصدر عن الخوف من الموت وما بعده، والشاعر كغيره من الناس يمر في فترات عمرية يجهل فيها، ويتجاوز في شعره بعض المحظورات، وما أن يصحو من غفلته حتى يبدأ في اللجوء إلى الله يطلب الإحسان والمغفرة. فالشاعر الأندلسي في زهذه لم يذهب بنا بعيدا عن سبر أغوار نفسه، إنما يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته ويرسم موقفه من الحياة بأبيات زهدية فيها ذاتية واضحة.

^١ - انظر جذوة المقبيس، ص ٢٦٤.

^٢ - انظر التشبيهات ، ص ١٠١ .

ولاشك في أن التيار الديني يتفق مع المنطق الطبيعي لتطور الأشياء، فحيثما وجد اللهو والمجون وجد الزهد والورع، وأما من حيث النشأة فاغلب الظن أن شعر الزهد يرجع إلى أيام الحكم الربضي الذي اغرق نفسه في بحور الملاذات، واغرم بالفنانين أكثر من غرمه بالفقهاء فاضطر الشعراء من الفقهاء أن يعرضوا به شعراً قوامه الزهد ولكنه ممزوج بالتعريض بالحكم. ومن أمثلة شعر الزهد الذي يهدف إلى التذكير بالله والتخييف من اقتراف المعاصي ما قاله الشاعر عباس بن ناصح :

ما خير مدة عيش المرء لو جعلت
كمدة الدهر والأيام تغنىها
فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا
^١ وابتعد بخاتك بالدنيا وما فيها

فالآيات بسيطة صادقة تتناول المعاني الدينية وتكثر من النصائح والمواعظ وفيها ترغيب وتحذير، ولقد أكثر الشاعر غريب الطليطي من ترديد المعاني الدينية في أبيات ساقها إلى الذين غرتهم الحياة بضجيجها، وملاذاتها فعصوا واستكثروا من ارتكاب المعاصي والذنوب غافلين مما يتذمرون من أقدار فيقول:

قريب أينما قبل المصاب إذا انتاب الملوك ولا حجاب إلى ملك تذل له الصعاب وتخضع من مهابته الرقاب ^٢	وما ندرى لعل الموت منه لعمرك ما يرد الموت حصن لعمرك إن محياي وموتي إلى ملك يدوخ كل ملك
--	---

فالشاعر في هذه الآيات متأثر بالقرآن الكريم، ويظهر هذا التأثر واضحاً في بيته الثالث أما الفقيه محمد بن عبد السلام الخشنـي فيقدم لنا أبياتاً في الزهد الخالص الممزوج بالنصح والإرشاد والتخييف من يوم الحساب فيقول:

فحوـل مني النفس بين تراقـ ودارـ خـرورـ آذـنـتـ بـفـرـاقـ	بلـ وـكـانـ الموـتـ قدـ زـارـ مـضـجـعـيـ أخـيـ إـنـماـ الدـنـيـاـ مـحـلـةـ فـرـقـةـ
---	--

^١ - انظر بعية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨ .

^٢ - انظر المغرب ، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤ .

تزود أخي من قبل أن تسكن الشري

ويلتفسق للنشور بساق^١

وهناك لون آخر من الزهد مقرن بالتنبيه، ويصدر عن الخوف من الموت والعقاب ويحرك إليه التقدم بالسن والإحساس بالأجل، ويمثل هذا الاتجاه الشاعر أحمد بن عبد ربه ومن شعره هذه الأبيات التي تزهد في الدنيا وتظهر من تفاهتها:

إذا أخضر منها جانب جف جانب عليها ولا اللذات إلا مصائب وقرت عيون دمعها الآن ساکب على ذهب منها فانـاك ذاهب ^٢	ألا إنما الدنيا غضارة ايـكة هي الدار ما الآمال إلا فجائع وكم أـسخنت بالأمس عينا قـريرة فلا تـكتحل عيناك منها بـعبرة
--	--

ولابن عبد ربه أشعار كثيرة في الزهد سماها "الممحصات"، وقد نقض فيها كل قطعة قالها في الصبا والعزل بقطعة في الموعظ والزهد محصها بها، كالتنبيه والندم عليها ومن ذلك قوله:

يا عاجزا ليس يعفو حين يقتـدر عـاين بقلبك إن العين غافـلة سـوداء تـزفـ من غـيـظـ إذا سـعـرتـ لـكـانـ فيـهـ عنـ اللـذـاتـ مـزـدـجـرـ هـلـاـ اـبـتـكـرـتـ لـبـيـنـ أـنـتـ مـبـتـكـرـ ^٣	لا يـقـضـيـ لهـ مـنـ عـيـشـهـ وـطـرـ عـاـيـنـ بـقـلـبـكـ إـنـ العـيـنـ غـافـلـةـ لـلـظـالـمـينـ فـمـاـ تـبـقـيـ وـلـاـ تـذـرـ لـوـ لمـ يـكـنـ لـكـ غـيرـ المـوـتـ مـوـعـظـةـ أـنـتـ المـقـولـ لـهـ مـاـ قـلـتـ مـبـتـكـرـ
--	---

ففي هذه القطعة اعتراف بالذنب والندم عليه وهي محصت القطعة التي قال فيها:

هـلـاـ اـبـتـكـرـتـ لـبـيـنـ أـنـتـ مـبـتـكـرـ
هـيـهـاتـ يـأـبـيـ عـلـيـكـ اللهـ وـالـقـدـرـ^٤

^١ - انظر نفح الطيب، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٢١.

^٢ - انظر معجم الأدباء ، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢١٨.

^٣ - انظر بغية الملتمس ، مصدر سابق، ص ١٥٠.

^٤ - انظر نفح الطيب، ج ٩، ص ٢٦٣.

ونجد هذا الزهد كذلك عند الأمير عبد الله، الذي أخرج لنا صورة في الحكمة ممزوجة بالزهد، فيشير فيها إلى أن الموت مقبل ولن ينجو منه أحد، ويبقى أنه أراد من وراء ذلك لينبه الغافلين لهذه الحقيقة فيقول:

حـاتـمـ يـاهـيـكـ الـأـمـلـ	يـاـمـنـ يـراـوـغـهـ الـأـجـلـ
وـكـأـنـهـ بـكـ قـدـ نـزـلـ	حـاتـمـ لـاـ تـخـشـىـ الرـدـىـ
ةـ وـلـانـجـاـةـ لـمـنـ غـفـلـ	أـغـفـلـتـ عـنـ طـلـبـ النـجاـ
كـانـ تـعـبـكـ قـدـ نـزـلـ ^١	فـكـانـ يـوـمـكـ لـمـ يـكـنـ

ويعود الأمير عبد الله ثانية يذكر الغافلين حقيقة الدنيا وينبههم إلى أن الدنيا فانية ويدعوهم إلى التقوى والايمان والتقرب إلى الله فيقول:

وـمـاـفـيـهاـ لـشـيـءـ مـنـ بـقـاءـ	أـرـىـ الدـنـيـاـ تـصـيرـ إـلـىـ فـنـاءـ
عـلـىـ شـيـءـ يـصـيرـ إـلـىـ فـنـاءـ	فـبـادـرـ بـالـإـنـابـةـ غـيرـ لـاوـ
وـصـارـ جـدـيـدـ حـسـنـكـ لـلـبـلـاءـ	كـأـنـكـ قـدـ حـمـلـتـ عـلـىـ سـرـيرـ
لـعـلـكـ تـرـضـيـنـ رـبـ السـمـاءـ ^٢	فـنـافـسـ فـيـ التـقـىـ وـاجـنـجـ إـلـيـهـ

وللغزال زهديات ممزوجة بالحكمة منها هذه القطعة التي يشير فيها إلى أقدار الزمن التي لم ولن ينجو منها أحد حيث يقول:

بـالـحـادـثـاتـ فـاـنـهـ مـغـرـرـوـرـ	مـنـ ظـنـ أـنـ الدـهـرـ لـيـسـ يـصـيـبـهـ
وـأـنـجـرـ حـيـثـ يـجـرـكـ المـقـدـورـ	فـالـقـ الزـمـانـ مـهـوـنـاـ لـخـطـوبـهـ
فـسـوـاءـ الـمـحـزـونـ وـالـمـسـرـورـ ^٣	وـاـذـاـ تـقـلـبـ الـأـمـورـ وـلـمـ تـدـمـ

وهكذا فإن اغلب شعر الزهد لم يكن صادرا عن نهج صوفي، بل هي حالة من حالات التوبة والاستغفار، تتعري الناس وخاصة نهاية مطاف العمر، أو عند الأزمات والملمات، أو حلت بهم نائبة من نواب الدهر. وأما من الناحية الفنية يبقى شعر الزهد لا يرقى في عبارته وصوره إلى مصاف الشعر وخاصة الغزل والوصف وإن بقى متتفسا لآلام الشعراة في حياتهم المضطربة ومجتمعهم المعقد.

^١ - انظر الخلقة السيراج ١، ص ١٢٢ .

^٢ - انظر البيان المغرب ، ج ٢، ص ١٥٥ .

^٣ - انظر نفح الطيب ، ج ٣، ص ١٢٧ .

المبحث الثاني

أغراض الشعر الأندلسي

من الطواهر التي تستدعي الانتباه شيوخ الشعر بين عرب الأندلس على اختلاف طبقاتهم، ولا غرابة في ذلك فقد هاجر الشعر إلى الأندلس مع العرب المهاجرين فكان الشعراء يحضرون به الفرسان على الجهاد، ويتبرون الحماسة في صدورهم عند موافق الأحوال، وينذون به عصبية الأحزاب بين المصريه واليمانيه ويحرضون الناس على الفتنة و الشغب.

وبقي الأندلسيون يولون وجههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم، لأنه مطلع أنوارهم، ومهد حضارتهم... فمن هنا دأب الأندلسيون على تقليد أهل المشرق في كل شيء.. في إنشاء القصور والمدارس والمكتبات والجامع و المدائن... " وفي مجال الشعر سلك شعراء الأندلس مسلك شعراء بنى العباس لتشابه الحياة بالترف و النعمة... فوصفوا بيئتهم وأموالهم... و أبدلوا الأسلوب البدوي بأسلوب حضري صرف... و نفروا من الألفاظ الغريبة الوحشية إلى الألفاظ المأنوسة الرقيقة فجاء الشعر الأندلسي جميلا رقيقا... فيه خيال لطيف و صور براقة ملونة " ^١ .

وبالرغم من رقة و جمال الشعر الأندلسي إلا أنه لم يصل في رواعته إلى الشعر العباسي لأن أصحابه عنوا بتزبين الألفاظه و توسيعه أو صافه. وقد نظم الأندلسيون في جميع فنون الشعر العربي، وزادوا عليه بعض فنون اقتضتها ظروف بيئتهم و أوضاعهم الاجتماعية. ولقد طرق شعراء الأندلس كافة فنون الشعر فلم يتركوا فنا من فنونه أو غرضا من أغراضه إلا نظموا فيه شعرا تقليدا ومجاراة لشعراء المشرق و في هذا المبحث سأبين هذه الفنون و ذلك من خلال المطالب الآتية:

^١ - بطرس البستاني ، ادباء العرب ، ، ص ٣٨-٣٩ ، بتصرف .

المطلب الأول

المدح والهجاء

أولاً : المدح

المديح من أغراض الشعر الواسعة فقد أكثر منه الشعراء وخصوصاً في مدائحهم للأمراء والوزراء. ومن المؤكد أن شعر المديح كان يعتمد على الشعر القديم في معانيه وأفكاره، فلم نجد فيه تجديداً، حيث كان الشعراء وخصوصاً عندما يمدحون الأمراء يحاولون إن يقولوا فيهم ما قاله السابقون في مددوحيهم .

وبناء عليه لم يختلف شعر المديح في الأندلس عنه في المشرق و ذلك من حيث وفرة دواعيه، و كثرة شعرائه، " كما و أن شعراء الأندلس ساروا وفق منهج المشارقة في مدائهم، حفاظوا على الأسلوب القديم، و اعتبروا كثيرا بالاستهلال و حسن التخلص، وإحكام البناء و شد أسره، والتزموا الغزل في محاريب مدائهم و ربما جعلوا صدورها وصفا للخمرة، أو الطبيعة أو البلد الذي نشأ فيه الشاعر " . وإذا انحرف بعض الشعراء عن هذا الطريق عاب الناس عليه ذلك، فقد مدح هلال البياني شاعر غرنطة ابن حمدين قاضي قرطبة بقصيدة مطلعها:

٤ واحكم على الأقوال بالأعمال
٥ من كل أرض شد كل رحال
٦ عرج على ذاك الجناب العالى
٧ فيه ابن حمدين الذى لنواه

^١ انظر بطرس البستانى، أدباء العرب في الأندلس و عصر الانبعاث ، ، ، ص . ٤

^٢ الجناب : فناء الدار ، و ماقرب من محله القوم ، قوله بالأعمال : أي بآمالك

٣ - نواله : عطائه .

^٤ - انظر البستانى ، ص ٤١

أبي نواس وأبي تمام والمتتبلي فالبحترى على سبيل المثال شاعر جميل الشعر إلا أنه وظف غالباً شعره في مدح الخلفاء و رجال السياسة أمثال المتكىل، والمستعين، والمنتصر والقواد والوزراء وغيرهم في الأشراف، وقد صور طه حسين بعض هذه المدائح بقوله: "وأصبح من هذا في أخلاق البحترى إذ إنه مدح أكثر من عشرين رجلاً من كبار الأشراف في بغداد وغير في أسمائهم، وأثبت مكانها الأسماء الجديدة، فهو إذن لم يتردد في بيع شعره كأقبح ما يبيع الشعراء أشعارهم"^١.

ومن الملاحظ في شعر المدح عند الأندلسين أنه يهتم بالصناعة الفنية، والتتنوع في أساليبها بين الجزلة والفخامة والرقابة والسهولة طبقاً لما تقتضيه طبيعة المعاني، وأما من حيث بناء القصيدة فتبني القصيدة عندهم من مقدمة طلالية، فنسيب، فوصف للرحلة، فتخلص لل مدح.

وابن قتيبة هو أول من لفت النظر إلى الأسس النفسية التي قامت عليها تقالييد قصيدة المدح القديمة، فهو يروي سمعاً عن بعض أهل الأدب أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، و خاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها التجاء للكلأ و تتبعاً للماء و مساقط الغيث حيث كان.

ثم وصل ابن قتيبة ذلك بالشكوى، فشكى شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصباية والشوق ليصل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجه، ويستدعي به إصغاء الإسماع إليه... فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكى النصب والسرير... فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه المقصود حق الرجاء والتأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المدح، وبعثه على المكافأة و هزه للسامح، وفضله على الآباء^٢. "شعراء الأندلس في بناء القصيدة يلتقطون مع القدماء في تعدد موضوعاتها و يخالفونهم في نوعيتها إلى حد ما، لأن لكل زمان موضوعاته التي بها يستطيع الشاعر أن يحوز الإعجاب، ويستميل مدوحة للعطاء أو نيل الحظوة منه"^٣.

^١- طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ط٢ ، بيروت ، دار العلم للملاتين ١٩٧٦ ج ص ٣٥٩

^٢- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ط٤ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٠ ج ١ ، ص ٧٤-٧٥ .

^٣- انظر عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس ، ص ١٨٠ ، بتصرف.

ومن المدائح التي بنيت على المدح فقط قول ابن حمديس في مدح الأمير أبي الحسن علي بن يحيى إذ جاء فيه:

ومن القصائد التي استهلت بالغزل و موضوعها المدح ما قاله ابن هاني الأندلسي في مدح إبراهيم بن جعفر بن علي حيث قال :

قد مرتنا على مغانيك تلوك
بحنين مرجع كحني نيني
فاتتني تسكب الدموع كسكبي
لا أرى كابن عفر بن علي
مثل ماء الغمام يئدي شبابا
يطأ الأرض فالثري لـ مؤلف رطب

فرأينا فيها مشابه منك
وتشتكى مردود كتشكى
ثم لا تسفك الدماء كسفكى
ملك الابسا جلالته ملك
وهو في حلية قوق ونسك
وماء الشري من حاجة مسنك^٣

وقال ابن دراج القسطلاني في مدح مبارك ومظفر صاحبي بلنسية :
أَنْوَرُكَ أَمْ أَوْقَدْتَ بِاللَّيْلِ نَارَكَ لَبَاعَ قَرَالَكَ أَوْ لَبَاعَ جَوَارَكَ

^١ - اختلاء: قطع ، الهوادي : الأعناق .

^٢ - ابن حمد يس الصقلبي، ديوان بن حمد يس ، بيروت، دار صادر، ل.ا.ت ، ص ١٤٥ .

^٣ - ابن هانئ الأندلسي ، ديوان ابن هانئ ، تحقيق محمد العلاوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤ م ، ص ٥٢٦ .

حداه دعائي أن يوجد ديارك
 إلى العهد ألم شوقي إليك استشارك
 أغرت الصباح نوره ألم أعارك
 وما ذر قرن الشمس إلا استشارك
 تحزم من قرب المزار مزارك
 وليلي نجوم من سماء مبارك
 هلمي إلى عيئين جادا سزارك^١
 عباينهما لا يسامان انتظارك
 يجيـان من صرف الحوادث جارك
 إذا باز الأقران غير مشارك^٢

ومبسمك الواضح ألم ضوء بارق
 وطريقك أسري فاستشار تشـوقي
 وطـرة صـبح ألم جـبيـنـكـ اـفـراـ
 وكـيف رضـيتـ اللـيلـ مـلـبسـ طـارـقـ
 وكم دون رحـليـ من قـصـورـ مشـيـدةـ
 وأرضـيـ سـيـولـ من خـيوـلـ مـنـاظـرـ
 بـحـيـثـ وـجـدـتـ الـأـمـنـ يـهـتـفـ لـلـمـنـىـ
 هـلـمـيـ إـلـىـ بـحـرـيـنـ قـدـ مـرـجـ الشـدـىـ
 هـلـمـيـ إـلـىـ سـيـفـيـنـ وـالـحـدـدـ وـاحـدـ
 شـرـيـكـانـ فيـ صـدـقـ المـنـىـ وـكـلاـهـماـ

ومن شعراء الأندلس الذين قالوا شعرا في المديح، عباس بن فرناس، فإلى جانب معرفته بالشعر كان عالما في فنون شتى من الرياضيات والموسيقى والفيزياء والفلسفة والكيمياء، ومن أشهر ما عرف عنه محاولته الطيران وحذقه للموسيقى، وكان مرة في مجلس أحد ولادة الأمير عبد الرحمن الأوسط واسمه محمود بن أبي جميل فغنى ابن لزرياب^٣ :

حـمـامـ تـدـاعـتـ فـيـ الدـيـارـ وـقـوعـ نـوـائـحـ مـاـ تـجـريـ لـهـنـ دـمـوعـ	وـلـوـ لـمـ يـشـقـنـيـ الـظـاعـنـونـ لـشـاقـقـيـ تـدـاعـيـنـ فـاسـتـبـكـيـنـ مـنـ كـانـ ذـاـهـوـ
---	---

فلما انتهى أخذ عباس بن فرناس العود، و غنى بهذين البيتين المذكورين ثم زاد من عنده ارجالا يمدح صاحب المجلس:

زـمانـ لـأـسـبـابـ الرـجـاءـ قـطـوعـ جـمـيعـ الـأـجـودـيـنـ رـكـوعـ!	شـدـدـتـ بـمـحـمـودـ يـدـاحـيـنـ خـانـهـاـ بـنـيـ لـسـمـاعـ الـجـودـ وـالـمـجـدـ قـبـةـإـلـيـهاـ
---	---

^١ سرار الأرض: هو أوسطها وأكرمها.

^٢ ابن دراج القسطلاني ، الديوان ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق ، محمود علي مكي ، ١٩٧٠ ، ص ١٠١ .

^٣ أبو مروان حيان بن خلق (ابن حيان) ، المقتبس ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧٩ . وانظر محمد رضوان الداية، الأدب في الأندلس ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ص ٦١ .

إن القبول الذي أوفى بعديدين
قدوم أكرم من في الأرض قاطبة
مكرمين على الدنيا عزيزين
قدوم فطر فكان خير عيدين^١

وقد وافق مجيء الأمير من الغزو مع حلول عيد الفطر فجمع الشاعر من أجل المدح بين المناسبتين وأعلى من شأن العودة المظفرة من الجهاد. وقد سار شعر المديح في الأندلس وخاصة في قرطبة في ثلاثة اتجاهات (المديح التكسيبي، والمديح الحربي، والشكو في المديح) وفيما يلى بيان لهذه الاتجاهات.

أ- المدح التكسيبي

لـأ عدد من الشعراء في قرطبة من شعراء المديح إلى التكبس بـشعرهم، ولقد كان للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها هؤلاء الشعراء دور كبير في انتشار هذه الظاهرة حيث امتهنوا المديح والتملق والاستجداء ليضمنوا لأنفسهم مصدر رزق واسع حيث ابتعدوا بذلك عن الرسالة الحقيقية لـشعرهم والتي تتجسد في تمثيل قضايا الإنسان، و المجتمع، و نجد هذه الظاهرة قد نقشت في فترة حكم المستعمر، حيث طغى شعر المديح على غيره من الأشعار، وقد سار شعراء قرطبة في هذا المديح على منهج شعراء المشارقة الذين نهجوا هذا الطريق حيث يقول ابن دراج في ذلك:

وكان ضياعي حسنة وتلذّمـاً إذا لم يفدي شيئاً ولم يغفر شيئاً
وأصبحت في دار الغنى عن ذوي الغنى وعن حضرة فاستقبلت أسعد يوميـاً
سوى حسرتني عرضي ووجهه تضـعـضاً لقارعة البلوى وكأنـا عـتـادـيـاً ٢

ويقول في موضع آخر:

وإن ذاب حز الوجه من حزناره — فما منستغاثي منه إلا إلى المهل^٣

^١ - وانظر محمد رضوان الديمة، الأدب في الأندلس ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ص٦١ .

^٣ - انظر ابن الدراج ، الديوان ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ .

٣ - نفس المصدر، ص ٤٠ .

وينطبق هذا الاتجاه على شعراء آخرين عاشوا في القرن الخامس، فيقول يحيى بن بقي عن شعر المديح الذي يصدر عنه دون عاطفة صادقة ويقدمه لولاة الأمر :

فيليكوني بين التلودد والغل فيجزونني بالمنع شكلا إلى شكل^١	أزورهم لا للوداد وقد دروا وأمدهم يا حسي الله كاذبا
--	---

ومثل هذين الشاعرين و غيرهما تصدق عليهم مقوله الكلائي: "بيع الشعرا بالسعر و قولهما: لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى ينكس المطر" ^٢ و كان شعراء المديح التكسيبي يغرون في المديح و يسرفون فيه دون مقياس أو ضابط حتى تصبح قصائدهم لا صلة لها بشخص قائلها أو المقوله فيه، و من الميسور جدا جعل معظم هذه المدائح بأسماء غير من قيلت فيهم بعد تحوير طفيف ^٣.

ب - شعر المديح الحربي :

ظهر في البيئة الأندلسية لون آخر من ألوان المديح و هو ما يسمى بالمديح الحربي الذي يختص باللغوي بالبطولات والأمجاد التي حققتها الأمة على أعدائها، و أشد هذا اللون في الشعر بصفات الممدوح التي أثارت إعجابهم دون أن يكون ذلك من أجل العطايا أو لغرض التكسب .

وقد انفرد بهذا اللون ابن دراج الذي راح يمدح المنصور و ابنه المظفر، ومنذر و ابنه يحيى، و من اللافت للنظر أن كتب تاريخ الأدب لم تذكر من هذا الشعر إلا مقطوعة صغيرة لعبدالملك بن سعيد المتوفى سنة ٣٦٦ هـ، صور فيها وفود اردون بن ادفوش عندما وفدو إلى الحكم المستنصر يطلبون منه الصلح و يقول في هذه المقطوعة:

ملك الخلافة أبيه الإقبال فالمسلمون بعزة وبرفعة	وسعوده موصولة بتواли والمركون بذلة وسفال
---	---

^١ - الفتح بن حاقان، قلائد العقیان، تحقيق الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٠ م، ص ٦٧٧.

^٢ - أبو القاسم محمد الكلاعي ، أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، ط ٢ بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ ، ص ٤٥ .

^٣ - اميليو غارينا غوميث ، الشعراء الأندلس ، ترجمة حسين مؤسس ، بدون ط ، القاهرة ، مكتبة النص المعرفة . ط ٤ .

ومن اللافت للنظر كذلك أن المنصور لم يحظ بخليد معاركه وانتصارات ابنه عبد الملك فيما بعد بما يتناسب مع هذا الظفر، وبخاصة أن فترة حكمه عاصرها عدد من الشعراء الكبار مثل: يحيى بن هذيل (ت ٣٧٩ هـ) وطاهر بن مهند المعروف بالمهند (ت ٤٣٩ هـ)، و عبد الملك بن إدريس الجزيري (ت ٣٩٤ هـ) وغيرهم^٣. ويرى أبو العباس المراكشي في كتابه البيان المغرب أن عدم تخليد تلك المعارك والانتصارات يعود إلى عدة أسباب منها^٤:

١ - أسباب سياسة:

حيث يرى المؤرخون أن سياسة الاستبداد والقمع التي مارسها المنصور مع الناس بصورة عامة قد دفعت الكثير من الشعراء إلى رفض هذه السياسة مما جعله يلقى بهم في غياب السجون.

٢ - أسباب شخصية:

فهناك بعض الأسباب الشخصية التي دفعت بالعديد من الشعراء لعدم التعرض لمثل هذه الانتصارات، فمثلاً طاهر بن محمد بالرغم من أنه عاش في الدولة العاميرية زمناً لا يأس به تكاد تكون فترة حكم المنصور كلها إذ توفي سنة ٣٩٠ هـ ، " إلا أن ما أصابه من الشك و الرهد في آخر أمره ، حيث وجدت له رسائل عجيبة و مقالات في الرهد ، ولزومه ضياعة من ضياع قرطبة " ، هو السبب فيما يبدو في عدم وجود شعر له ولا لغيره باستثناء ابن دراج ، و صاعد البغدادي - في أيام هذه الدولة . وما وصلنا من شعر طاهر

^١ - انظر ابو العباس احمد المراكشي، البيان المغرب ، ج .٢، ص ٢٣٥.

^٢- انظر ابو العباس احمد المراكشي، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٣، بتصرف.

^٣ - نفس المرجع جـ ٣، ص ١٣ بتصريف.

^٤ عبدالله بن محمد ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإباري، بدون ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤، ص

بن محمد ينتمي إلى فترة الخلافة و بالتحديد في أيام هذه الدولة^١. وأما الرمادي كما يقول المراكشي: (فنكل به ابن أبي عامر وأمر بتغريبه، و شفع له عنده في أن يتركه بلدة فاذن له في ذلك، غير أنه خرج الأمر من جهته لا يكلمه أحد من العامة ومن الخاصه فأقام كالميته^٢ .

٣- معاذة المنصور للفكر و المفكرين، فقد اتخذ المنصور سياسة عدائية ضد علم الفلسفة و الفلك و التنجيم و احرق كافة الكتب المتعلقة بهذه العلوم، فاستمر أثر ذلك العداء في نفوس الفئة المثقفة في قرطبة ورأوا فيه عملاً مسيئاً وإهاراً لطاقات المبدعين فالم ذلك مشاعر الشعرااء فانصرفوا عن مدحه و التغنى ببطولاته.

ت- شعر الشكوى في المديح

اتجه بعض الشعرااء اتجاهها آخر في المديح إذ ظهر في الأندلس على وجه التحديد في مدينة قرطبة ما يسمى شعر المديح الشاكي و كان ذلك في آخر القرن الرابع و خلال القرن الخامس من أمثال: جعفر المصحفي، والجزيري، و الطليق، و ابن دراج، و ابن شهيد، و ابن حزم، و ابن زيدون، وغيرهم ممن شكوا عصرهم و عبروا عما يجول في خاطرهم من ألم و معاناة لما يصيّبهم من إحباط و عدم قدرته على التكيف في مجتمع لا يقدر مواهبهم وأخذت الشكوى عندهم أشكالاً متعددة، فشكوا آلام السجن، وفراق الأحباب، والغربة في قرطبة ثم الحنين إليها، و الفقر والشعور بالحاجة، ونكبات الدهر، وتذكر الأصدقاء و حسد الآخرين^٣.

ومن نماذج هذا الشعر ما قاله ابن زيدون في مدحه ابن جهور إذ جاءت قصيّته بدايتها غزلية شاكية يقول مخاطباً محبوبته :

أنت العدو فلم دعيت حبيبا

بدم ولحظك لا يزال منزجا

أظنيّة دعوى البراءة شأنها

ما بال خدك لا يزال منزجا

^١- انظر عبدالله الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٤٥ .

^٢- نفس المرجع ج ٢ ، ص ٩٢٤ .

^٣- محمد سعيد محمد ، الشعر في قرطبة ، ط ١ ، ابوظبي ، منشورات الجمع الثقافي ، ١٩٩٧ ، ص ٢١٤ .

مرض يَكُونُ لِهِ الْوَصَالُ طَبِيباً
 لَمْ يَسْحَقْ فَاهُ بِهِ الْغَرَابُ ذَعِيبَاً
 فَشَوْىٌ وَأَعْقَبَ زَفْرَةً وَذَيْبَاً
 خَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيبَاً
 وَلَزَرْتَهُ بِلْ عَدْتَهُ إِنَّهُ وَوَى
 مَا الْهَجَرُ إِلَّا الَّذِينَ لَوْلَا أَنَّهُ
 وَلَقَدْ قُضِيَ فِيهِ التَّجَلْدُ ثَحِيبَهُ
 وَأَرَى دَمْوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لَقِيبَهَا

فمن مقدمة هذه القصيدة يتضح لنا مدى إحساس الشاعر بالغربة، و الحزن، فالشاعر عاش زمنا مع ولادة بنت المستكفي، إلا إن هذا الحب ضاع و تبدد و لم يبق منه إلا إطلاله في نفس الشاعر، و صاحب هذه الهموم هموم أخرى هي فقد الأهل و الأصدقاء الذين تخلوا عنه، و دخوله السجن و غيرها من المحن و الهموم.

و تؤدي هذه القصيدة كذلك بعدم وفاء ابن جهور له بأن يصل إلى مكانه مرموقة في دولته، و يتقلد منصبا كبيرا، كل ذلك جعل الشاعر يصل إلى حالة عدم التوازن و الشعور بالأسى و الحزن. وبعد هذه المقدمة الشاكية ينتقل الشاعر إلى وصف ما آل إليه من سوء الحال فيقول:

عندوانها فَكَسَ العَذَارَ مُشَيْبَاً وَذُوِي بَهَا غَصَنَ الشَّبَابِ رَطِيبَاً^١	مَالِي وَلِلأَيَّامِ لَعْجَمُ الصَّبَرَا مَحْقَتْ هَلَالَ السَّيْنِ قَبْلَ تَمَامِهِ
---	---

ففي هذه الأبيات تصوير لحياة الشاعر فهو يمر بمرحلة قاسية من حياته يشعر فيها بأنه يسير إلى نهاية بائسة كما يسير عمر الإنسان من الشباب إلى الشيخوخة ومن الصحة إلى المرض، وهذه المحن من يمر بها لا يستطيع أن يتحملها مهمة كانت قوته. و يحاول الشاعر أن يستجمع قواه، و يستعيد بعض صبره و تجلده و يزعم أنه قوي، و استمد قوته من لجوئه إلى ابن جهور، و بذلك دخل إلى غرض القصيدة و هو المديح:

لِلْجُفْنِ فِي الْعَضْبِ الطَّرِيرِ نَدُوبَا مَا زَالَ أَوْبَابًا إِلَيْهِ مُنْبِيبَا وَبِكُونِ فِيهِ مُعَاقِبًا وَمُثِيبَا	فَلَئِنْ تَسْمَنِي الْحَادِثَاتِ فَقَدْ أَرَى مَلِكَ أَطْاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُنْفِقَ— يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيَا وَمُنْوَالِيَا
--	--

^١- ابن زيدون ، ديوان ابن زيدون ، تحقيق علي عبد العظيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ص ٣٢٤ .

^٢- نفس المصدر .

إن قام في نادي الخطوب خطيبا
 يعتاد إرسال الكلام قضيبا
 من أن تقيس به السفوس ضربا
 فرأيت وضاحا هناك مهيبا
 ملأ المسامع سائلا ومجيبا
 فسق اللالى منجبا ونجيبا
 بقريحة هي حسبة تجريبها
 متمنين بالدهر يقعد صرفه
 لا يوسم الرأي القطيز به ولا
 تأبى ضرائبها الضروب ففاسدة
 بسام ثغر البشر إن عقد الخبر
 ملأ النواظر صامتا ولزيمدا
 عقد تألف من نظام رياسته
 يغشى التجارب كلهن مستغنىا

وعاد الشاعر بعد ذلك يشكو أعداءه فيقول:

بقريحة هي حسبة تجريبها
 هوت ذوابتها فلا تشربها
 فشتنته فسح المجال رحيبة
 يغشى التجارب كلهن مستغنىا
 وإذا المنى بقبولك الغض الجنى
 كم ضاق بي من مذهب في مطلب

ومن خلال النظر في أبيات هذه القصيدة نجد أنها بالرغم أنها قيلت في المديح إلا أن المسيطر عليها هو روح الشكوى والإحساس بالقلق والغربة من بدايتها إلى نهايتها، رغم أن موضوعها الأساسي هو المديح، و الشاعر هناك لا يستطيع أن يهرب من معاناته وأشجانه المسيطرة عليه.

ثانيا : الهجاء :

الهجاء ضد المديح، ولما كان المديح الجيد المصيب إنما يكون بالفضائل النفسية، فكذلك الهجاء الجيد إنما يكون بسلب هذه الفضائل " ولم يكن الهجاء غرضا ذا شأن يذكر في الشعر الأندلسى عموما، وما نجده عند ولادة بنت المستكفي أو أبي بكر المخزومي الأعمى أو السمير و ابن الخطيب " ^٣ ، لا يرقى في سلم الهجاء إلى ذلك الذي كان عند ابن الرومي والخطيب". وقد

^١ - ابن زيدون ، الديوان ، مصدر سابق . ص ٣٢٣ .

^٢ - انظر ديوان ابن زيدون ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ و ما بعدها .

^٣ - انظر فتح الطيب للمقرى ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ ، ولسان الدين الخطيب ، الاحاطه في أحجار غرناطة ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة الحاجي ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ، و ابن بسام ، الذخيرة في محسن أهل الجزيرة ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، تحقيق: إحسان عباس ، ١٩٧٥ ، ج ٢ ، ص ٨٨٢ .

يكون ضعف فن الهجاء في الأندلس يعود إلى خلو البلاد من الطوائف والأحزاب، ومن ثم لم تفرض السياسة على الشعراء سلطانها^١، ويعود ذلك أيضاً لالتزام الأخلاقي حيث يقول ابن حمديس الصقلي و هو من شعراء القرن الخامس :

فقلت وما لي أجيء المديح	يقولون لي لا تجيئ الهجاء
وهذا القياس لعمري صحيح	فقالوا لأنك تزجو الشواب
فقلتُ نسيبي فقالوا مليح	فقلتُ صفاتي فقالوا حسانٌ
وللحق فيها مجال فسيح	فقلت إليكم فلي حجةٌ
وفنسق اللسان مقال القبيح	عفاف اللسان مقال الجميل
يزوح بسيف لساني جريحٌ	ومالي وما لأمرِي مسلّمٌ

ويبدو من شعره هذا أنه قد تجنب شعر الهجاء بسبب ترفعه عن الكلام القبيح و عفافه و لم يكن ذلك لقلة مقدرته. و توافقا مع هذا القول يكون الهجاء في هذه المرحلة نوعين.- نوع مقدع ساخر، و آخر يعني بهجاء المدن و الهجاء الجماعي و فيما يلي نلقي الضوء على هذين النوعين:

١ - الهجاء المقدع الساخر :

اتجه بعض الشعراء نحو نقد و هجاء مقدع يتميز بالسخرية كهجاء عبد الكريم القيسي لأبي عصر بن أبي حامد الحسين، الذي كانت له مع الشاعر خلافات اتضحت وبانت في كثير من شعره، فقد علم يوماً أن أباً عصراً قد طلب من بعض الشعراء أن يهجوه فقال القيسي مبادراً في كلام ساخر^٢ .

لعلك تشنفيني من البث والشجن و	هجاؤك لي مدح فزدني من الهجن و
ونخطوا إلى لذاتنا أوسع الخط و	ذرير كؤوس الوصل في كل ساعة
وطرف الردى جيران في سُرّة الله و	فنقطف أزهار المسرات غضاً
بدائعها تدعوا العفيف إلى الصبـ و	وقد كتببت كقي لك الود قطعة
وما فاسق يلقي من القصد ما يئـ وي	فما لقيقصد الذي كان ثاويـا

^١- جورج غريب، العرب في الأندلس ، ص ٨٦ .

^٢- ابن حمديس الصقلي، الديوان، بيروت، دار صادر، تحقيق إحسان عباس ، ص ٩٤

^٣- عبد الكريم القيسي ، الديوان .

كما باء إبليس الذي لم يرّل يغنو
ويات ولم تظفر يداه بمطـا
إذا ما أرى غيري يميل إلى الصـحـو
ولست أرى من سـكـرـحـبـكـ صـاحـيـاـ

فالشاعر هنا وجه غرضا شعريا خدمة لغرض آخر، هجا بالغزل في كلام مخجل، شوه به سمعة صاحبه، فضح سرا خطيرا كان دفينا اتفقا على إخفائه عن الناس من قبل.

٢- هجاء المدن والهجاء الجماعي : ويظهر هذا الاتجاه في شعر القيسى فقال في قصيدة تعرض فيها للقضاء :

يا أهل بسطة دعوة من مشـفـقـ لـوـفيـكـمـ لـدـعـائـهـ منـ يـسـمـعـ
إنـ القـضـاءـ وـظـيـفـةـ دـينـيـنـ مـاـقـطـقـامـ بـحـقـهاـ منـ يـطـمـعـ
وـأـرـيـ الذـيـ وـلـيـ القـضـاءـ بـمـصـرـكـمـ قـدـ صـارـ يـطـمـعـ بـالـقـضـاءـ وـيـجـمـعـ

فالقضاء في عصر الشاعر كان - حسب هذه الأبيات - و ظيفة دينية لم يسبق أن أُسندت إلى غير زاهد في الدنيا، و ما حدث في بسطة اليوم تولية قاض طامع مستغل مسألة أثارت غضب الشاعر فأعلن موقفه الذي يستشف منه توجيهه لأهل بسطة - و منهم القضاة - نحو ما يأمر به الدين وإتباع سبله. و يقول الشاعر أبو بكر محمد بن احمدالمعروف بالأبيض الشبلي في هجاء المرائين:

أهـلـ الـرـيـاءـ لـبـسـتـ نـامـوسـكـمـ
كـالـذـئـبـ يـذـبـحـ فـيـ الـظـلـامـ الـعـاـتـمـ
فـمـلـكـتـمـ الدـنـيـاـ بـمـذـهـبـ مـالـكـ
وـقـسـمـتـ الـأـمـوـالـ بـاـبـنـ الـقـاسـمـ
وـرـكـبـتـمـ شـهـبـ الـبـغـالـ بـاـشـهـبـ
بـأـصـبـغـ صـبـغـتـ لـكـمـ فـيـ الـعـالـمـ

وقال ابن خفاجة الأندلسي في هجاء المتكسبين بالعلم والزهد:

^١ - عبد الكريم القيسى ، الديوان . ص ٢٣ .

^٢ - معنى الناموس : المكر والخداع والاحتياط ، ومنها : وعاء العلم و هو المراد هنا ، أي لبست الرداء أو الزي الخاص بالعلماء ، يدل على : يسير بالليل .

^٣ - د. محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، ص ٧٥ .

**درسوالعلومليهمكوابجدالهم فيها صندور مراتب، ومجالسٌ
وتزهدوا حتى أصابوا فرصةٌ فيأخذ مال مساجد وكنائسٌ**

ويدخل في هذا الاتجاه كذلك هجاء السمير للبربر عامة، فقد جاء في نفح الطيب أن المعتصم بن صمادح لما بلغه أن خلف بن مرج السمير هجاه، احتال في طلبة حتى وقع في قبضته ثم قال له: أنسدني ما قلت في، فقال له: وحق من أوقنني بين يديك ما قلت شرا فيك، وإنما قلت:

**رأيت آدم في ذومي فقلت لـه أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن الزاجين رهط منك قال إذن حواء طالقة إن كان ما زعموا**

فأباح ابن تلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت إلى بلادك هاربا، فوضع علي من أشعاع ما بلغك عنى لتقناني أنت فيدرك ثأره بك، و يكون الإثم عليك، فقال: وما قلت فيه خاصة مضافا على ما قلته في عامة قومه؟ فقال : لما رأينه مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت:

يبني على نفسه سفاما كانه دودة الحرير^٣

قال المعتصم: لقد أحسنت في الإساءة إليه، ثم أجاره وأكرمه حتى خلع عن ملكه وسلطانه^٤. وهناك اتجاه آخر يتمثل في هجاء الملوك والحكام، وإن كان أقرب إلى النقد الاجتماعي منه إلى الهجاء و يمثل هذا الاتجاه أبو القاسم خلف بن فرج السمير و من هجائه أو نقده الاجتماعي:^٥

**أسلتم الإسلام فـ أيدي العداء وقعدتم !
وـ إذ بالنصارى قـ وجب القيام عليك
لا تنـ فعـ لا تـ لـ لا تـ لـ لا تـ لـ
نكروا شـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ**

^١- انظر نفح الطيب للمقربي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .

^٢- بين سهل اليكي ، الموسوعة الشعرية ، ص ٣٢ ، وانظر نفح الطيب للمقربي ، ص ٣٣٨٠ في الموسوعة الشعرية .

^٣- انظر نفح الطيب للمقربي ، ص ٣٣٨٠ في الموسوعة الشعرية . وانظر في الأدب الأندلسى لمحمد رضوان الداية ، ص ٧٤ .

^٤- انظر نفح الطيب للمقربي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ .

^٥- انظر الذخيرة ، لابن بسام الشنترى ، مصدر سابق ، ٢/١ / ص ٣٧٤ .

وهناك اتجاه آخر فيه شبه من الشعر العباسي من حيث طول القصيدة و طبيعة الهجاء، و يمثل هذا الاتجاه ابن هاني الأندلسي ، فله قصيدة من اثنين وأربعين بيتاً يهجو فيها الوهري كاتب الأمير جعفر بن علي الأندلسي و مما جاء في هذه القصيدة :

فهي أعنوان كل وخذل سخيف	إن أيام دهرنا سخة سخيفات
لو ضيغ الخطوب وخذل الصنوف	إن دهراً سموت فيه علواً
بك في منظر الجفاء الجليف ^١	إن لفظاً تلوكه لشبيه
فاسد النظم فاسد التأليف	كاذب الرّعم مستحيل المعاني
إنما تفتدي لرغم الأنوف	أنت لا تفتدي لتدمير ملك
فلت ما فلت لا بعقل رصين	في المساعي ولا برأي حصيف ^٢

وظهر اتجاه في هذا اللون من الشعر يوصف بالفاحش المليء بالقذف والسباب مما يؤذى المشاعر، ويبيح الاشمئزاز في النفوس و ومن تورط في هذا الاتجاه أبو بكر المخزومي هجاء الأندلس، "والذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة: كان أعمى شديد الواقحة وسوء الأدب معروفاً بالهجاء، متسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطناً للمعاريض، سابقاً في الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره" ^٣. وقد تورطت بعض شاعرات الأندلس في هذا الاتجاه مثل نزهون بنت القلاعي ، وولادة بنت المستكفي الأموية.

^١- الجليف: الجلف الحاف في خلقه و خلقه.

^٢- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ٢٥١-٢٥٢.

^٣- لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة ، بدون ط ، بيروت ، دار المكتشوف ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٨ ، و انظر نفح الطيب ، ج ٢ ، ط ٣ و انظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ٢٥٣ .

المطلب الثاني

الغزل

في نظرة إلى البيئة الأندلسية وتضاربها نجد أن كل شيء فيها يغرى بالحب ويدعو إلى الغزل، فمن هنا لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تقاد إلى عواطفها، فأحببت وتغزلت ثم خلفت وراءها كما هائلا من شعر الغزل الرائع الجميل. " وأوضح سمات هذا الغزل تجلّى في رقته الناشئة من التفنن البلياني في وصف محاسن من يقع الشعراء في حبهن من نساء الأندلس الجميلات، و في تصوير مشاعرهم المتضاربة تجاههن من وصل و هجر، وقرب وبعد، و إقبال و إعراض " ^١ .

ومن الغزل الجيد في أوائل الشعر الأندلسي قصيدة الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم والمعروف بالأوسط جمع فيها بين الغزل و الحماسة، فقد كان الأمير في غزوه بأرض جيليقية الشمالية و طال بعده عن زوجته المسماة طروب^٢ .

فما أقطع الليل إلا نحيبا	فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبَا
طالعته ذكرتني طروبا	وإما بدت لي شمس النهار
وابيا كبدا أورثتها ندويا	فيما طول شوقي إلى وجههَا
وأوفرهم في فوادي نصيبيا	وابيا أحسن الخلق في مقلتي
من بعد أن كنت مني قربيا	لشن حال دونك بعد المزار
وأضرم في القلب مني لهيبا	لقد أورث الشوق جسمي الضنا
وقودي إليهم لهاما ^٣ مهيبا	عداني عنك مزار العدا
ملأت الحزون به والسهوبها	سموت إلى الشرك في جحفل

فالغزل هنا رقيق، والشاعر فيه متشوّق إلى محبوبته، ويتذكرها بعد طول غياب ويعذر بأسلوب غزلي عن غيابه عنها، فطول غيابه يعود إلى دفاعه عن أرض وطنه وكرامته وقد شارك ابن عبد ربه الشعراء في هذا الفن فجاء في ديوانه:

^١ - انظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ص ١٦٩ .

^٢ - انظر البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، و تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٠ و نفح الطيب ، ج ١ ، ٤٣٩ .

^٣ - اللهام : الجيش العظيم ، و المهيوب من المهابة .

ورشا بتنقديع القلوب رفيقا درا يعود من الحياة عقيقا أبصرت وجهك في سناء غريقا ما بال قلبك لا يكون رقيقا	يا لولوا يبني العقول أنيقا ما إن رأيت ولا سمعت بمثله وإذا نظرت إلى محسن وجهه يا من تقطع خصره من رقة
--	--

فهذه المخاطبة " كاللؤلؤ المنظوم، والرشا الرشيق، وهي تجمع ما بين محسن جمال الخلة وروعة الحياة، وشتهر في عصر الخلافة احمد بن فرج الجياني^٢ ، الذي برع في الغزل و عده الدكتور شوقي ضيف بأنه حامل لواء الشعر العذري في الأندلس و من أشعاره المشهورة :

وما الشيطان فيهـا بالمطاع دياجي الليل سافـرة القناع إلى فتن القلوب بهـا داعـع لأجـري في العفاف على طباعـي	وطائـعة الوصال عفت عنـها بدـت في الليل سافـرة فـباتـات وما من لحظـه إلاـ وفيـهـا فـملـكت النـهـى جـمـحـاتـ شـوـقـي
--	---

وكان كثـرهـ من خـلـفاءـ بـنـيـ أـمـيـةـ وـ أـمـرـائـهـ يـنـظـمـونـ الشـعـرـ ، وـ يـجـيدـونـ ، وـ نـجـدـ فيـ أـشـعـارـهـ مـيـلاـ إلىـ شـعـرـ الغـزـلـ الـذـيـ استـحـسـنـهـ الـعـرـبـ مـنـ قـدـيمـ ، وـ صـارـ غـرـضاـ مـنـ أـغـرـاضـ كـلـ مـنـ نـظـمـ الشـعـرـ . وـ كـلـ مـاـ قـيـلـ سـالـفـاـ إـنـهـ يـعـدـ مـنـ الغـزـلـ التـقـليـدـيـ ، بـمـعـنـىـ أـنـ شـعـرـ الغـزـلـ عـنـدـ بـعـضـ شـعـراءـ الأـنـدـلـسـ مـقـدـمةـ لـقـصـائـدـ الـ مدـحـ فيـ الشـعـرـ العـرـبـيـ ، وـ أـصـبـحـ تـقـليـدـاـ يـسـيرـ عـلـيـهـ شـعـراءـ العـرـبـيـةـ أـيـنـماـ كـانـواـ .

ومن أنواع الغزل التي كانت سائدة في الأندلس " الغزل الحسي " فقد كانت أغلب النساء اللاتي تغزل بهن شعراً الغزل الحسي من الجواري والإماء اللاتي كانت تتعجب بهن قرطبة في قصورها، وأماكن لهوها و من المعروف تاريخياً أن المجتمع القرطبي خاصة كان خليطاً من أجناس متعددة. وهناك سكان البلاد الأصليين والبربر والعرب.. ولهذا جاء شعر الغزل في الجواري ضعيفاً إلى حد ما، إذ لم تظهر فيه تلك الاهفة الحارة والشوق الشديد إلا نادراً، لأن الشاعر هنا يطلب اللذة العاجلة ولا يهمه إلا الجسد.

^١ - ابن عبد ربه ، الديوان ، مصدر سابق ، ص

^٢ - أبو عبدالله محمد الحميدي، جنوه المقتبس ، مصر ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٩٧ .

وجاء بعض الشعر الحسي صريحا كما هو الحال عند أبي عامر بن شهيد الذي دفعته الحياة الاجتماعية إلى اللهو و العبث و المجون، فعبر عن هذه الحياة اللاهية دون حياء أو خجل. و مقابل هذا الشعر هناك شعر آخر صريح لكنه يبتعد عن الفحش و من ذلك قول الطليق^١ :

غصن يهتز في دعص نقا
يجهني منه فؤادي حرقا
أطلع الحسن لنا من وجهه
قمرا ليس نراه ممحقا
وتناهى الحسن فيه إنما
يحسن الغصن إذا ما أورقا

وخلالصة القول فإن الصورة التي رسمها شعراء العربية من قبل في الوصف الخارجي للمرأة هي الصورة نفسها التي رسمها شعراء الأندلس و خاصة شعراء قرطبة لها في الغزل الحسي الفاحش و غير الفاحش، و كانوا يركزون على وصف كافة أجزاء جسد المرأة، لا يطلبون الحب بل يعشقون الجسد في حسيّة شهوانية مجنة في بعض الأحيان، و يبدو أن سبب ذلك كان كثرة الكناس وأماكن اللهو المنتشرة في بيئاتهم، و كذلك تأثيرهم بالشعر العباسي الخليع^٢ .

^١ - انظر د. محمد رضوان الديابة ، الأدب في الأندلس ، ، ، ص ٥٦ . و الدعص : القطعة المستدركة من الرمل . والطليق : هو أبو عبد الملك بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف كذلك بالمرواي الطليق، أو الشريف الطليق ، وقد ذكره المراكشي في كتابه " المعجب " .

^٢ - انظر محمد سعيد محمد، الشعر في قرطبة ، ص ٣١٢ .

الفصل الثالث

الصورة العامة والخاصة للمرأة في الشعر الأندلسي

المبحث الأول

الصورة العامة

تتمثل صورة المرأة العامة في الشعر الأندلسي في الصور المجازية والوتجانية وما يتعلق بلباسها وزينتها وفيما يلي عرض لذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

الصورة المجازية للمرأة

أثرت المرأة بشكل كبير على لب الشاعر وفكره بسبب فتنتها وسحرها وأسلوبها، وكان من نتائج هذا التأثير أن وصفها الشاعر وصفاً مادياً حسياً منطلاقاً من مضامين رؤيتها الشعرية لها، فاعتني ببيان صور الجسد المادية و بيان تفاصيله الدقيقة.

وقد اتجه شعراء الأندلس وبخاصة في عصر بنى الأحمر وعصر الطوائف إلى البحث عن نموذج نسائي للجمال المادي الملموس الذي يستثير فيهم القرائح، ويشحذ القدرات، وربما دفعتهم حياة القلق الملزمة دائماً للاضطرابات النفسية و السياسية إلى الإن شاد في هذا اللون، فذهبوا يتغزلون بالمرأة، ويتحدون عن مفاتن جسدها، وربما وصفوا مغامراتهم معها، وقد كانت أيضاً مصدر إلهامهم في مجالس اللهو، ومشارب الخمر، و مرارقص الأنس، ومحافل الغناء^١.

وقد تباينت آراء الشعراء في تحديد معالم هذا اللون، " فمنهم من جاءت عنده تقليدية، ومنهم من استقى معالم هذا الجمال المادي للمرأة من واقع بيئتهم الاجتماعية التي امترج فيها الجمال التقليدي بعناصره الموروثة عن العرب بالجمال المادي الذي جاءت به المرأة بعناصره الجديدة التي طالما تعطش الشعراء لها في بحثهم عن الجمال المطلق لجسد

^١ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، ص ٢.

المرأة لأنها امرأة المتعة واللذة. فجاءت المرأة الأندلسية شبيهة في بعض صفاتها المادية بالمرأة المشرقية فهي حوراء العين أسللة الخد، هيفاء القامة، لفاء الجسم^١، تحاكي القدر ضياء الشمس نوراً والنجم لمعاناً والقضيب فداً والورد حمرة... وهي مفردة الحسن لا شبيه لها^٢. وقد عرف العرب مثل هذه الصفات للمرأة وكانت شائعة فيما بينهم فقد نقل عن الأصمي أنه قال: "سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهي تقول: سطعاء بضة، بيضاء غضة، درماء رخصة، قباء طفلة، تتظر كعيني شادن ظمان وتبسم عن منور الأقوان في غب التهتان، وتشير بأساريع الكثبان، فلقها عميم وكلامها رخيم"^٣.

ويتجلى في هذا الوصف صورة التمثال الجمالي الذي تناقله العرب، وأسبغ عليه الشعراء آيات من الحسن والجمال في قصائدتهم وأشعارهم^٤. وصف لسان الدين بن الخطيب جمال المرأة وصفاً رائعاً، فتحدى عن رشاقة قدّها وفتور طرفها وأثرها في القلوب، وإعجابه بنضارة خديها ولونهما الأبيض النقي الممزوج بحمرة، فقال:

يا بانة تلوى معاطفها الصبا	للحسن بين حدائق ورياض
ولدت أشكال الجمال بوجنة	الفت فيها حمرة ببياض
وأصبت لي قلباً صحيحاً سالماً	عمداً بأجفان لدينك مراضٌ ^٥

فمثل هذه الأوصاف وردت فيما قاله الشعراء العرب قديماً، فهي في حقيقتها محاكاً لمل قاله شعراء المشرق في المرأة من قبل، وبامعان النظر في هذه الأبيات نجد أنها تتميز بأسلوب سهل سلس راق، مع إبداع في التشبيه والتوصير، والشاعر هنا يستعين بالطبيعة في بعض أوصافه، مما زاد من أناقة الأبيات وجمالها. ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن مرج

^١ - هيفاء: دلالة الخصر ضامرة البطن، انظر لسلمن العرب لابن منظور، مادة هيف، لفاء: كثيرة لحم الفخذين، مادة لف^٦

^٢ - نعمات أحمد فؤاد - المرأة في شعر البحترى، ص ١٦ - ١٧.

^٣ - الحصري - زهر الأدب، (تح محمد محى الدين عبد الحميد) ط٤ ، بيروت ، دار الجليل ، ١٩٧٢ ، ج ٢ ، ص ٩٨٧ ، سطعاء: من طال عنقه ، ابن منظور ، مادة سطع / بضة: امتلاً الجسم وضر ، ابن منظور ، مادة بض / غضة: رقيقة الجلد ، ابن منظور ، مادة غض / درماء امرأة لا كعوها و مرادفها لامتلائها ، ابن منظور ، مادة درم : طفلة : المرأة الناعمة الرقيقة ، ابن منظور ، مادة طفل رغب : آخر الشيء وعاقبته ، ابن منظور ، مادة غب / التهتان : التواء في اللسان كاللكتنة ، ابن منظور ، مادة ثمت / اساريغ : دود أبيض حمر الرؤوس تشبه به أصابع المرأة ، ابن منظور ، مادة سرع .

^٤ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرم، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، ص ٣.

^٥ - الصيب والجهام ، ، ، ص ٦٠٦

الطبيعة بالغزل أمر مقبول، بل هو تزاج طريف بين فنين أليفين رقيقين^١. وشعراء الذين استعنوا بالطبيعة في أوصافهم كثيرون، فهذا يوسف الثالث – كمعظم شعراء الأندلس – وجد في الطبيعة ما أعاده على التعبير عن مجال شوфе، فاستمد بعض أوصافه للمرأة من مشاهد الطبيعة، واستعلن بالغزل لتصوير بعض ملامح الطبيعة، بل أراد أن يرفع المرأة ويعلّي منزلتها فجعلها من الطبيعة بحيث لا يضاهيها أحد في جمالها وحسنها فيقول:

أوالورد في توريدہ يشبه الخدا يقاوم في آفاقہ القمر السعدا يظنوں منها الشغر قد أشبه العقدا أوالزهـر نـشـرـاـفـيـ التـكـلـمـ أوـنـضـدا شـبـيـبـاـلـهـاـفـيـ الغـانـيـاتـ وـلـاـنـداـ	هل البـانـ يـحـيـ منـ مـعـاـطـفـكـ الـقـدـاـ لـقـدـ أـخـطـأـ التـشـبـيـهـ مـنـ حـسـبـ السـهـاـ وـهـلـ لـحـلـيـ لـلـيـ نـظـيرـ وـاـنـ هـمـ أـوـ الـغـصـنـ المـرـتـاحـ يـحـكـيـ اـنـشـاءـهـاـ هـيـ الـغاـيـةـ الـقصـوـيـ مـحـاسـنـ لـمـ تـجـدـ
---	--

ونجد في قصيدة أخرى يصف جمال صاحبته، وافتتاحه بهذا الجمال، فيتحدث عن عينيها وشعرها وقدّها ولحظتها وثغرها وأسنانها، وقد جعلها تفوق الشمس بهاءً وإشراقةً، كما التفت إلى كلامها وتحدى عن سحره وفتنته، مشبهاً إياها بالدر على عادة الشعراء يقول :

لـهـاـ مـنـ ظـلـامـ اللـيـلـ فـرـعـ وـمـحـجـرـ وـلـكـنـهـاـ أـبـهـىـ جـمـالـاـ وـأـبـهـرـ وـمـنـ لـحـظـهـاـ عـضـبـ عـلـىـ مـشـهـرـ وـلـلـهـ ذـلـكـ الثـرـ وـهـوـ مـؤـشـرـ يـلـوـحـ بـمـرـآـهـاـ عـقـيقـ وـجـ وـهـرـ لـهـ كـلـمـ كـالـدـرـ وـهـوـ مـنـشـرـ لـهـ الـعـطـفـ يـزـهـيـ وـالـحـدـيـقـةـ تـزـهـرـ	تـرـدـتـ رـدـاءـ الـفـخـرـ وـهـوـ مـحـبـرـ فـتـاةـ تـرـيـكـ الشـمـسـ عـنـدـ طـلـوعـهـاـ فـمـنـ قـدـهـاـ رـمـجـ لـقـلـبـيـ اـنـشـأـةـهـاـ فـالـلـهـ ذـاكـ الـقـدـ وـهـوـ مـهـفـهـهـ وـيـاـ حـسـنـهـاـ يـبـدـيـ الشـنـايـاـ كـأـنـماـ فـيـالـكـ مـنـ سـمـطـ بـفـيـهـاـ مـنـظـمـ عـجـبـتـ لـهـ مـلـءـ الـعـيـونـ بـدـائـعـاـ
--	---

فمني الشاعر هنا يستعين بمحاسن الطبيعة في حديثه عن المرأة، وبهذا يمنح صورة فيها شيئاً من التألق والجمال، كما يستمد من بيته المترفة بعض الصور، إذ يشبه أسنان

^١ - مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفتوحه ، ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملائين ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣

^٢ - الملك يوسف الثالث ملك غرناطة ، الديوان ، ط٢ ، تحقيق عبدالله كتون ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ ، م ، ص ٤٥.

^٣ - حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ص ٤ .

^٤ - نفس المرجع ، ص ٥٨ ، عصب ، السيف القطاع ، المؤشر ، من التأثير ، وهو أن تحدد المرأة أسنانها وترققها - الحجر ، مشق جفن العين ، السقط الخيط مadam فيه خرز ، مادة أشر ، مادة حجر ، مادة عصب ، مادة سقط.

المحبوبة بالعقيق والجوهر، فهو وإن أتى بتشبيهات قديمة، لكن أوصافه لم تخلُ من جديد بسبب افتقاره للمعاني^١ ، ونفاد حصيلته منها. ولقد كرر الشاعر هذه الأوصاف والمحاسن كثيراً في معرض شعره الغزلي، الأمر الذي افقد هذه الصور بهجتها، وقد كرّرها بذات الأصباغ والألوان، ولعل ذلك، يعود إلى افتقاره للمعاني، ونفاد حصيلته منها .

وفي غزل ابن فركون يجد الباحث أوصافاً عديدة لأعضاء المرأة ومحاسنها، وهذه الأوصاف مستوحاة من أحضان الطبيعة، فيتحدث عن لين قوامها، وجمال عينيها وعذوبية ثغرها وسلامة أسنانها، فمن الحريري بهذه الأسنان ألا تخرج إلا ما يشبهها جمالاً من الفاظ وحديث، وبهذه المقاييس الجمالية تكون المرأة في شعر ابن فركون قد اكتملت حسناً وجمالاً فيقول :

وعلينا من النجوم رقيب زهرة أو يميل منه قضيب وقوام لدن وثغر شنيب ^٢	أين ليلى نعمت فيه بليلي فهي تحكيمه إذ يروق جمالا منطق لين وعين كحيل
--	---

وهو في هذه الأبيات لا يغفل الحديث عن الطبيعة، فيجمع بين الطبيعة والمرأة – على عادة شعراء الأندلس – فيذكر الحب في أحضان الطبيعة، ويتخذ الطبيعة سبيلاً إلى الغزل واستجلاء مفاتن الحبيب، وبهذا يخلع على أوصافه لوناً بهيجاً من الجمال، ويبعد بها ما أمكن عن رتابة التقليد.

وقد وصف ابن خاتمة مفاتن المرأة، وتتبع أجزاء الجمال في جسمها، وشبهها بعناصر الطبيعة، فوجهها متلائمة كالبدر المنير، وقوامها مشوقة كالغضن النضر، وهي ليست مشابهة للغضن فحسب وإنما هي ضرته الأجمل، ولم يكتف الشاعر بهذا بل جعل محبوته كالصباح في إشراقها، تصاهي الشمس ببهاها، كما تستهويه بجمال بشرتها، وصفاء أديمها، وثقل أردافها، وجمالها هذا يعنيها عن الحلي الصناعية فيقول:

غضن النضر، وربة القلب الوفي للسuns حيثها ولم تتوقف تلتح عن مثل الصباح المشرف	أخيه البدر المنير، وضرة الـ لله أنت مهابة خدر لو بدت هيفاء يثنها الصبا طوع الصبا
--	--

^١ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرmer، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، ص ٤ .

^٢ - ابن فركون (أبو الحسين بن أحمد بن سليمان) ، الديوان، تعليق : محمد بن شريفة ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية، ص ٢٥٧ ، شنيب : رقة وعذوبة الأسنان ، لسان العرب ، مادة شنب

درية الجسم استشف أديمها
حسناً قد جلت بفضل جمالها

في كاد مضمونها لا يختفي
عن زينة بتطوّق وتشنف^١

وحديثه هذا شبيه بحديث الشاعر القديم عن محبوبته، فمحاسن المرأة التي فضلها العربي منذ الجاهلية ما زال الشعراء يذكرونها في غزلهم في هذه الفترة. والملاحظ أن شعراء هذا العصر لم ينتزعوا المرأة من إطار الطبيعة، فكانت طبيعة الأندلس الغناء تمدهم بالصور والتشبيهات، فإذا أراد الشاعر أن يتغزل بأمته الطبيعة بمعاني الغزل، وإذا أراد أن يُبدع في وصف الطبيعة استعان بآيات الجمال عند من يحب، من هنا امتنجت أوصاف الطبيعة بأوصاف المحبوب في أشعارهم، وهم في هذا الجانب متاثرون إلى حد كبير بابن خفاجة شاعر الطبيعة المبدع .

ويقول المقرى في نفح الطيب عن الأندلسيين إنهم: "إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، ومن النرجس عيوناً، ومن السفرجل نهوداً، ومن قصب السكر قدوداً، ومن قلوب اللوز وثغور الأقاح مباسم، ومن ابنة العنبر رضاباً" ^٢، وهم بهذا يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال تقدمه الطبيعة الأندلسية الآسرة ، بما فيها من جنان وثمار عذبة وأزهار فاتحة .

ولابد من تتبع الصور التي رسمها هؤلاء الشعراء للمرأة، كي نتبين مدى تمثلهم للذوق العربي، ومدى استجابتهم لمتطلبات بيئتهم وأذواق عصرهم، ونتبين أيضاً المقاييس الجمالية الحسية التي ينشدونها في المرأة.

ووصف شعراء الأندلس وخاصة في عصر بنى الأحمر وعصر الطوائف مفاتن جسد المرأة، فوصفو شكلها العام وما أثاره من شوق في قلوبهم" ووصفو قامة المرأة وشعرها ووجهها ولحاظها وثرتها وخدتها وخصرها ونهودها وأصابعها... وقد ابتعدوا في هذا الضرب ما أمكن عن الألفاظ الفاحشة، والتزموا حدود الأدب والأخلاق، فابن خاتمة له أبيات في مغنية، أجادت في الغناء، كما أجادت في فنون الرقص المختلفة، تحدث عن شكلها العام، ووصف محاسنها، وأسبع عليها أوصافاً كثيرة، فهي ناعمة القد ^٣، رشيقة القوام،

^١ - ابن حاتمة الأنباري (أبو جعفر احمد بن علي الأنباري) (تح محمد رضوان الداية)، الديوان، دمشق ، دار الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٢ م، ص ٧٨ - ٧٩ .

^٢ - المقرى (احمد بن محمد المقرى التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (تح د/ إحسان عباس)، بيروت، دار صادر' ١٩٦٨، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

^٣ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، ص ٣٨ .

بشرقة الوجه، جميلة كالظبي، تبهر الأنظار بخفة حركاتها، وهي تؤثر فيمن يراها، وقد بلغ إعجابه بها حدًّا فائقًا فيقول^١ :

كأن مفاصلها الخير زران فتبدو من الرقص في كل فن بها فتن الخبر من قد فتن فوجه أثار وشعر دجن سواه من الحال ي إلا وأن وفي وجنتيها ضروب المحن وإن لم يكن قد قضى فكان ولم ترحميه بوصن فمن	فتاة يقوت النهي حسنها تجلت فجلت ضحى في دجا لخلالها ضمة ما رأها أيها ظبية في ظبا لحظها تلافي محبا قضى نحبه إذا لم تجودي له بالرضا
--	---

فالشاعر هنا لم يخرج عن مأثور الأوصاف التي^٢ اعتمدتها الشعراء في الغزل، لكنه عرضها بشكل جديد يناسب ذوق العصر وترفه، وخلع عليها شيئاً من نفسه وفكرة وعاطفته. ويركز ابن فركون على الأوصاف الحسية في المرأة، ويرتضى من أوصاف الجمال ومحاسنه ما ارتضاه الشعراء القدماء، فيسير على مناهجهم، و يستمد كثيراً من صورهم ويعتمد إلى تكرارها في أكثر من موضع. فمحبوبته جميلة يشبهها بالغزال حيناً، والبدر حيناً آخر، وبالغصن تارة، وبالشمس تارة أخرى^٣ ... يقول:

هي الطبئي جيداً والقضيب تأوداً تتنى ملاكا دون شرط ولا استثنى
 بنير مراها وحسن قوامها إذا ما تبدت تخجل البدر والغضنا^٤

ويقول :

هام القواد بظبيبة البان التي لم يثنها قول الوشاة وإنما وتبسمت بعقيقها عن لؤلؤ	منها استفاد البان لين المعطاف ديج الصبا مالت بغصن أهيف شفت شفت وجدي وإن لم ترشف
---	---

^١ - انظر ابن خاتمة الأنصاري، ص ٧٢.

^٢ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٧ .

^٣ - نفس المرجع، ص ٣٩ .

^٤ - انظر ديوان ابن فركون ، ص ١٢٦ .

^٥ - انظر ديوان ابن فركون ، ص ١٢٦ ، ١٢٩ .

فهذه أوصاف جميلة وتشبيهات رقيقة استقاها الشاعر من سحر الطبيعة، ومن بديع صنع الله فيصف ابتسامتها التي تصور أسنانها كعقيق جميل، وقد جعلها تفوق البدر والشمس في حسنها فيقول:

هي الشمس يستجلی سناها وقد غدا
لها البدر والجوزاء قرطاً ودمجاً
فمن لم يشاهد وجهها وقوامها^١ فما البدر ملتاحاً ولا الغصن رجراً

وكذلك افتتح الشاعر الملك يوسف الثالث قصيدة فخر بالغزل في سلمى التي وصفها وصفاً يشبه تماماً أوصاف الشعراة القدامي في أصحاباتهم فيقول^٢:

أم القدّ تثنية صبا وقبـول	أغضن بهبات النسيم يمـيل
أهاجت غرامي والنسيم بليل	هي البانة المرتاحة العطف طاما
فكافـ وأما وصلها فكـفـيل	هي الغادة الحسـنـاءـ أما التـماـحـهاـ
وـشـرحـ حـدـيـثـيـ فيـ هـوـايـ يـطـولـ	يـقـولـونـ أـقـصـرـ عـنـ هـوـيـ مـنـ تـحـبـهـ
حـبـيـبـ عـلـىـ بـعـدـ المـازـارـ وـصـولـ	أـمـاـ عـرـفـواـ سـلـمـىـ وـأـنـ خـيـالـهـاـ
إـذـاـ حلـ فيـ قـلـبـ فـلـيـسـ يـحـولـ	أـمـاـ سـلـمـواـ فـيـ حـسـنـ سـلـمـىـ وـإـنـهـ

فهو يشبه محبوته بغضن يميل مع نسمات الهواء العليل ، وهذا الغصن الرطب الجميل قد هيج أحاسيسه وأشعل نار الوجد في فؤاده، ولم يكتف بذلك فقد وصفها بغادة ناعمة تملكت قلب الشاعر وعواطفه .

وهذا ابن الخطيب يصف جارية أضفت على مجلس من مجالس الشراب في أحضان الطبيعة الساحرة سحراً وروعة بجمالها الفتان، وجدة عزفها، كما يصف أجواء الرقص واللهو والسرور من حولها^٣:

رأيت الغصن يمـرحـ فيـ البرـودـ	وفـاتـنـةـ الـلحـاطـ إـذـاـ تـشـتـ
تعـودـ طـرفـهاـ صـيدـ الأـسـودـ	غـزالـةـ رـيـربـ وـمـهـاـةـ قـقرـ
وتـسـهـرـهاـ بـأـجـفـانـ رـقـودـ	فـتـمـرـضـهاـ بـالـحـاطـ مـرـاضـ
ثـنـيـنـاـ هـزـةـ قـضـبـ الـقـدـودـ	إـذـاـ مـاـ اـسـتـنـطـقـتـ نـغـمـ المـثـانـيـ

^١ - انظر ديوان ابن فركون ، ، ، ص ١٩٣ ، الجوزاء : يُحـمـ يـقالـ أـنـهـ يـعـتـرـضـ فيـ جـوـزـ السـمـاءـ : قـرـطاـ : ماـ يـعـلـقـ فيـ الأـذـنـ .

^٢ - ديوان يوسف الثالث ، ص ١٠٥ .

^٣ - انظر ديوان لسان الدين بن الخطيب، ص ٢٣. وانظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظلبني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، ص ٢ .

فالشاعر في هذه الأبيات يصف المرأة بصفات استخدمها الشاعر العربي القديم في وصف المرأة، فهي مثلاً غزالة ربب، ومهاة قفز، وذات الحاظ مريضة تقناك بعاشقها، علمًاً بأن الأبيات تحكي أجواء البيئة الغرناطية المترفة، وتنسم بالسهولة والرشاقة والرفقة.^١ وقد حاول الملك يوسف الثالث أن يجمع بين القديم والجديد، إذ شبه صاحبته في جمالها بالغزال والغصن والبدر، ولكنه لم يكف بهذه الأوصاف القديمة، بل رسم صورة خاصة في جمالها فجعلها مخلوقة من لؤلؤ فيقول:

عيوني رمي لقلبي	بشـادن دـيبـي
قد صـاغـهـ قـدـيرـ	من لـؤـلـؤـ رـطـيـبـ
يلـوحـ فيـ الـدـيـاجـيـ	بـدـرـاـ عـلـىـ قـضـيـبـ
والـقـدـ إـنـ تـشـنـىـ	غـصـنـ عـلـىـ كـثـيـبـ ^٢

فالشاعر هنا يشبه محبوته بالغصن الذي يميس فوق الكثيب، وربما لم يكن - وهو في الأندلس - قد رأى كثيباً . ويصف ابن فركون جمال المحبوبة، ولو عنده ووجه وهيمانه بها بأن جعلها منفردة بين قرياتها فيقول:

هيـ الطـبـيـ ماـ بـيـنـ الضـلـوـعـ مـرـادـهـاـ	هـيـ الشـمـسـ فـيـ أـفـقـ الـفـوـادـ طـلـوـعـهـاـ
فـصـحـ بـأـشـتـاتـ الـجـمـالـ اـنـفـرـادـهـاـ	لـقـدـ جـمـعـتـ فـيـهـاـ الـمـحـاسـنـ كـلـهـاـ
يـرقـ لـحـالـ الـمـسـتـهـامـ فـوـادـهـاـ ^٣	لـقـدـ رـقـ جـسـمـيـ مـنـ هـوـاهـاـ فـلـيـتـهـاـ

ولشعراء الأندلس وخاصة في عصر بنى الأحمر وصر الطوائف الكثير من المقطوعات الغزلية الحسية قلدوا بها تشبيهات القدماء وأخليتهم، ويقول أبو حيان الغرناطي في هذا السياق واصفًا مفاتن المرأة من خلال مقطوعة رقيقة، يبين مدى تأثره بمدرسة الغزل القديمة إذ نجد فيها صورة من استعارات مألوفة وتشبيهات تقليدية متکلفة فيقول:

العقلـ مـخـتـبـنـ وـالـقـلـبـ مـتـبـوـلـ	لـاـ تـعـذـلـاهـ فـمـاـ ذـوـ الـحـبـ مـعـذـولـ
فـمـاـ اـنـشـنـىـ الصـبـ إـلاـ وـهـوـ مـقـتـولـ	هـرـتـ لـهـ أـسـمـاـ مـنـ خـوـطـ قـامـتـهـاـ
فـكـ لـهـ جـمـلـ مـنـهـ وـتـفـصـيـلـ	جـمـيـلـةـ فـصـلـ الـحـسـنـ الـبـدـيـعـ لـهـ

^١ - انظر ديوان يوسف الثالث ، ، ، ص ٧ . وانظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص ٤ .
^٢ - نفس المرجع ، ص ٣٣١ .

فالنحر مرممة والنشر عنبرة
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج
والشعر جوهرة والريق معسول١
والخصر مختلف والمتن مجدول٢

فالشاعر هنا يحاول أن يعارض قصيده هذه بقصيدة كعب بن زهير المشهورة "بانت سعاد فقلبي" اليوم متى لم يف مقبول٣ ، فتوصل إلى بعض معانيها وصورها وزنها وقافيتها، ولم يتوصلا إلى روحها وصفاتها، فالصيغة واضحة في أبيات أبي حيان فلا نجد فيها عاطفة جياشة صادقة ، وإنما نجد رصفاً للأوزان خالياً من إحساس الشاعر به. كما أن الإحساس الجمالي بهذه الأوصاف ليس صحيحاً، لأنه لم يكن تعبيراً عن قيمة جمالية تتعلق بها الشاعر ، وإنما جاء تقليدياً لقيم جمالية أحسها القدماء، وتعلقاً بها، وبذلك خلت الأبيات من الوصف الساحر الذي يجذب النفس ويطرد بها، وتترك القاريء يسبح في عالم الخيال التقليدي فقط.

وفي إحدى مقدمات ابن الخطيب يتلفت إلى جمال المرأة ، "فيصف ثغر المحبوبة ونضاره شبابها، وجمال قوامها، وضياء وجهها، وتفننها في الزينة" ، ويصف أثر هذا الجمال في نفسه، فيتحدث عن مشاعره نحوها، ويعبر عن ذلك في لفظ أنيق رشيق، فهو يسوق الأوصاف المشرقة الموروثة، إلا أنه يضفي عليها شيئاً من ذاته وروحه، ويطبعها بطابع متألق يعكس ترف العصر وتحضره ، فتطغى العاطفة والرقعة الآسرة على أبياته بشكل عام فيقول:

للقلب فحو حديثهم إصنفاء
وسوان حليك أم هم الرقباء
وشهاب شفتك ذا أم الجوزاء
ووميضم شغرك أم تائق بـ سارق
وكأن قلبي بينها ورقاء
يا باذة ورق الشباب طلاله
ساري القلة وليلتي لينلاء
يا بذر تم يهتدى بضيائـه
أذت الدواه ومنكـ كان الداء
أشـكـوكـ أم أـشـكـوكـ إـلـيـكـ صـبـابـتـيـ

ووصف البسطي جمال محبوبته ومحاسنها، وكرر الأوصاف التقليدية المعروفة فمحبوبته جميلة كالظبي، وفي بيانها كالشمس أو كالبدر، وقدها كالغصن، ولحظتها تسقي خمراً، إلى غير ذلك من المعاني الموروثة فيقول:

١ - انظر الموسوعة الشعرية ، ص ١٩٤٨ .

٢ - انظر المرأة في الشعر الندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٤٢ . بتصرف .

٣ - الصيب والجهام ، ص ٢٣١ . الشنف ، القرط الذي يعلق في الأذن .

سلب العقول وتيم الأفكارا بذر ولكن لا ينال سرارا بشراب غنج حشه أو دارا ثمل الفؤاد وما استساغ عقارا ^١	وبمنهجي ظبي أنيس حسنه شمس ولكن لا مغيب لحسنها نهلت ذفوس الخلق من الحاضره عجبا لسكنان بخنج لحاضره
---	---

فالشاعر هنا رسم لمحبوبته صورة مكررة، لو لا أنه أضاف إليها شيئاً من تألق العصر وزخرفها فتميزت بالسلاسة والبساطة والرشاقة. ومحبوبة البسطي تجمع الحسن والملاحة معاً وهي من حسن جمالها سيطرت على القلب الذي حمى نفسه من الوقوع في الحب فيقول:

**عجب لها من غادة في أنفها شمم سبت بجمالها قلب المكسي
والحسن في العينين منها عاصد ذاك الجمال مع الملاحة في القم^(٢)**

وهكذا نجد البسطي يصور المرأة ويتجعل بها في صور متلاحة، وكل صورة لها ما يكملاها وما يجعلها تنقص مع الصورة العامة، بحيث تمثلت لنا هذه المحبوبة إنسانة أكثر فتنة وجمالاً من حبيبات الشعراء القدماء.

ولقد تناول الشعراء في "وصفهم للمرأة القامة والشعر والوجه واللحوظ والثغر والخد والخصر والنهد والأصابع... وهذه الأعضاء أخذت أوصافاً ثابتة ومستقرة على مر العصور، فالمقاييس الجمالية ظلت واحدة لم تتبدل بتبدل الأجيال والبيئات، ومن هنا جرى هؤلاء الشعراء وراء النماذج الوصفية المعروفة في الشعر العربي، وهذا ما جعل صورهم نسخة مكررة عن صور الشعراء القدماء، رغم تباعد العصور بينهم ورغم اختلافهم عنهم في البيئة^(٣)، وقد نلمح بعض الإضافات البسيطة في أوصاف بعضهم استمدوها من واقع عصرهم، والبيئة الجديدة المتحضرة. وقد تسابق الشعراء وتفنوا في وصف وجه المرأة وتشبيهه بالشمس تارة وبالبدرة تارة أخرى، وببعضهم جعل وجهها يفوق الاثنين معاً.

^١ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٥ .

^٢ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣١٩ قال أبو بكر: قال الزبير، تقول العرب: الملاحة في الفم، والجمال في الأنف. والحلابة في العينين، ذيل لأمالي للقلالي: ١٢٢ - الشمم: هو استواء قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في الأنفية أي أسفله، وهذا الأنف الأشم،

الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كسي نفسه أي سترها، اللسان، مادة كمي.

^٣ - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسى في ظل بنى الأحرام، ص ٤٤ . يتصرف .

وكان البسطي أكثر هؤلاء الشعراء تفنا في وصف محاسن المرأة وجمال وجهها، كما أُوتى من العذوبة والسهولة والرقابة حظاً كبيراً فيقول:

أفدي التي لم تزل تبدي محاسنها
للناظرین إليها منظر عجباً
ووجهها حاز من شمس الضحى شبهاً
^(١) بل نور غرته شمس الضحى غالباً

وقد جعل بعض الشعراء لوجه المحبوبة حسناً ليس له مثيل بين أقرانها، حيث يقول ابن خاتمة في وصف وجه محبوبته:

في وجهه من هام قلبي فيه لي شغل عن كل شغل فلا يزري بك الرغب
وجهه إذا انتسبت كل الوجوه إلى حسن فما ليس واه الحسن يننسب^(٢)

فأبو حيان مثلاً يجعل وجه محبوبته لا مثيل له ، فقد فتن القلوب والأبصار من جماله وكأنه ورد النرجس فيقول في مقطوعة له:

نور بخدالك أم توقد نوار
وضئلي بجفنك أم كنؤوس عقار
وشذا برييقك أم تارج مسكتة
ومن ذرجس مع وردة وبهار
قين القلوب وفتنة الأبصار
جمعت معاني الحسن فيك فأصبحت
في وجهه زهارات روض تجتلى

وكان الشاعر الملك يوسف الثالث من أكثر شعراء هذه الفترة وصفاً لمفاتن المرأة المحبوبة ولم يترك شيئاً من مفاتنها إلا وعكسه مرآة شعره فيقول في تشبيه وجه المحبوبة بالبلد:

سل الروضة الغناء من جانب القصر ومنبت حوط البان ذي الورق النضر

^١ انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ، ص ٣٩٦.

^٢ انظر ديوان أبو حاتمة الأنباري ، ص ٢٨ - ٢٩ .

^٣ انظر ديوان أبي حيان الغناطي، ص ٧٧ - ٧٨ .

بها من خطباء الأنس حوراء طفلة هي البدر أو تزهي جمالا على البدر^(١)

وهو في حديثه جعل وجهها أجمل من البدر. ويخبرنا ابن فركون بأن وجهه محبوبته مشرق، إلا أنه يفوق ضياء الشمس ويبيّن أنه بذل كل جده حتى لا يقع قلبه في أحوال مشاق الحب إلا أنه لم ينجح في ذلك فيعبر عن ذلك بقوله:

**وقد كان قلبي يخدر الحب جهده وما كان ذلك الحذر إلا لينسلا
إلى أن بدا للقلب لما بدا لهه من حبا يفوق الشمس في أفق السماء^(٢)**

ويبالغ أبو حيان حيث يشبه البدر في جماله وضيائه بمحبوبته، فوجهها دائم الإشراق بعكس القمر الذي يواجه الأضاحل والكسوف، وقد جرت العادة في التشبيه على غير ذلك فيقول:

ويابدر كم قد شبها بوجهها لقد غلطوا ما مشرق مثل خاسف^(٣)

ويرى ابن الجياب أن جمال محبوبته ما فوقه جمال، ويقسم أنه لم يشاهد شبيها لها بين الناس، فوجهها يشبه القمر ويحاكي الشمس في إشراقه وضيائه، بل إنه يفوقهما نوراً وبهجة فيقول:

**يا أيها القمران استخفيا فلهما قمر إذا لاح يمحى منكما النور
أقسمت ما أبصرت عيني لها شبيها حقيقة لا أقول الطرف مسحور^(٤)**

ونجد عبد الكريم القيسي قد وقع في غرام فتاة ديرانية هي من أهل يابرة، عندما كان أسيراً في أراضي قشتالة، وقد بادلت هذه الفتاة جباراً بحب، على الرغم من الحواجز الدينية، فرسم لنا معلم الجمال النصراني دونما اعتبار لظروف الأسر التي كان يعاني منها، فوجهها جميل يعكس آيات حسن وجمال، ويكتن جماله في تناسق أعضائه من جبين وعيون وأنف وفم فيقول:

^١ - انظر ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٦٦ ، طفلة: ناعمة، اللسان مادة طفل. وانظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسية في ظل بنى الأحمر، ص ٤٥ . يتصرف .

^٢ - انظر ديوان ابن فركون ، ص ٢٦١ .

^٣ - انظر ديوان أبي حيان الأندلسية، ص ٣٠٢ .

^٤ - انظر ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ٦١ .

**وأعجب عباد الصليب صبيّة سبتي بوجهه مثل بدر متمم
فبت حليف الهم من فرط حبها وباتت بهجري في فراش تنعم^(١)**

لقد كان الشاعر يحب هذه الفتاة النصرانية حباً شديداً ولهذا فإنه يتالم لفارق محبوبته وبعدها عنه. ويرى ابن الخطيب أن محبوبته متفردة في جمالها، وهذا ما جعلها تعلو عن منزلة البشر فيقول:

لو بد للحور يوماً وجهـهـ قلنـ جـلـ اللهـ ماـ هـذـاـ بـشـرـ^(٢)

ويقول البسطي واصفاً جفون حبيبته ووجهها المشرق الجميل قائلاً:

بنفسي من شفت به وروحـي	وأفديـهـ على طول النـزـوحـ
غزالـ منـ ظـباءـ الـرـومـ غـرـ	كـحـيلـ الـجـفـنـ ذـوـ وجـهـ مـلـيـحـ
فقـالـ مـؤـكـدـاـ لـاـ وـالـمـسـيـحـ	فـقـلـتـ أـخـافـ مـنـ إـخـلـافـ وـعـدـيـ

^(٣)

ولم يكتف الشعراء بذكر الوجه فقط بل ذكروا الخود أيضاً، فقد وصف البسطي خدود حبيبته وصفاً رائعاً، فشبهه بالورد الذي تنتابه لحظة غضب، فغضب الورد يعني ازدياد حمرة الخود وهذا أضاف إلى جمال محبوبته جمالاً آخر فيقول:

ووجـنـتـهاـ إـذـ يـبـدـوـ اـحـمـارـهـاـ حـقـقـتـ أـنـهـماـ وـرـدـ الرـبـيـ غـضـبـاـ^(٤)

وتشبيه لون الخود بالورد أمر شائع لدى شعراء أهل المشرق، إلا أن وصف الورد بالغضب لم يكن مألوفاً لديهم فإضفاء صفة الغضب على الورد أعطى الصورة شيئاً من الجدة والطرافة. وكان خد المرأة مثار إعجاب الشعراء فوصفوه وصفاً رائعاً فيقول البسطي:

^١ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٦ .

^٢ - لسان الدين بن الخطيب، الصيد و الجمام، تحقيق محمد الشريف، الجزائر، الشركة الوطنية، ص ٣٦، ١٩٧٣ .

^٣ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

^٤ - انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٦ .

بالحاظه جيش السقام مخيم وفي خده الورد المورد فاتح^(١)

فكانت حمرة الوجه هذه مثار حيرة الشعراء وتساؤلاتهم، إلا أن ابن خاتمة يعلل سبب احمرار خد محبوبته تعليلاً جميلاً حيث يقول:

تحمر وجهته مهما مررت به
حتى كان الدم المفقود من جسدي
ويستحيل دمي أيضاً من النظر
هو الذي قد بدا في خده النضر^(٢)

ونجد كذلك يوسف الثالث في إحدى مقدماته يتغزل بـ (الينور) وهي فتاة نصرانية تغزل بها من قبل، فيشيد بسحرها واحمرار خودها قائلاً:

ناديت إذ سحب الظلام مسوحة
إن الينور إذ توضح نورها
لينور لا يرضي المسيح صدودي
ود الضحي منها احمرار خدود^(٣)

وإذا ما طالعنا شعر ابن زمرك في هذا المجال فإننا نجده يرسم لوحة جمالية للمحبوب، تزين الألوان كافة أطراها، وأجمل ما فيها لون خودها:

ومشتغل بالحسن أحوى مهفهف
فأبصرت أشباه الرياض محاسنا
قضى رجع طرفي من محاسنه الوطر
وفي خده جرح بدا منه لي أثر
به وصبب من أسهم الغنج والحرور^(٤)

وكرر البسطي بعض الأوصاف في محبوبته فاطمة، فتحدث عن احمرار خذيها ونضارتها، وحلوة ثغرها فيقول:

للله من خدها زهر ومن فمه
خمر يغز عليه الشهد والضرب^(٥)

^١ - ديوان عبد الكريم القيسى، ص ١٤٠.

^٢ - انظر ديوان ابن خاتمة الأنباري، ص ١١٧.

^٣ - انظر ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ٣٦.

^٤ - ابن زمرك، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، الديوان، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٩٨ م، ص ٤٣٢.

^٥ - ديوان عبد الكريم القيسى، ص ١١٣.

وأما من حيث العيون فلا شك في أن لها سحراً وجمالاً وتناسقاً مع سائر أعضاء الوجه، وقد دأب الشعراء على وصف العيون بالمرض والسعف والفتور، على الرغم من صحتها وسلامتها وذلك لناحية جمالية وفرّها فتور الطور وانكساره، وأحبّ العرب هذه الصفة كثيراً، فابن الخطيب يذكر أن الحبيبة أصابت قلبه بطرفها الفائز المريض، فأوردته السقام والمرض:

عمداً بأجفانٍ لديك مراضٌ^(١)

وأصبت لي قلباً صحيحاً سالماً

ويحدثنا ابن فركون عن الحافظ محبوبته التي تشبه السيف، وعن عيونها الفاترة المريضة، التي تورث السقام للجسد:

الحافظ تشبه الصفاحا
لكنها تمرض الصفاحا^(٢)

هام فؤادي بظبي إنـسـ
ظبيـ لهـ أـعـيـنـ مـرـاضـنـ

مرض يُمْرِضُ مِنْهَا الصَّاحَاجَ^(٣)

همت بظبي لم يزلي جقنه ذا

ويقول:

وتحدث ابن الخطيب عن غمزات محبوبته، فهي كالسهام تصيب الأفءة، وتتفذ إلى القلوب، وتمكّن منها فيقول:

مثل السهام مضت إلى الأغراض^(٤)

غمزات طرفك في القلوب تخالها

ولقد جعل الشعراء لهذه العيون الساقية آثاراً قاتلة في أنفسهم حتى افترنت صورة الطرف المريض بالقتل. ويرى أبو حيان الغرنطي في صغر أعين التركيات جمالاً لا يعدل عنه جمال فيقول:

^١ انظر ديوان الصيب والجهام والماضي والكهان، ص ٦٠٦.

^٢ انظر ديوان ابن فركون، ، ص ٢٦٦.

^٣ نفس المرجع، ص ٢٦٤.

^٤ انظر الصيب والجهام، ص ٦٠٦.

بروحي التي زارت بليل وأقبلت
من الترك ضاق العين منها بخلها
 تجز على آثارها العصب والوشيا
 وليست من العين التي تشد الضبيا^(١)

ويقول في مقطع آخر واصفاً صغر عين التركيات :

ضيق العينين تركيهما
واسع الوجنة، خزي المحس^{*}

وقد تغنى بعض الشعراء في العصر العباسي بالعيون الزرق كابن المعتز^٢، وكذلك نجد الشاعر يوسف الثالث يتحدث عنها في معرض غزله وهذا يعود إلى مدى تأثيرهم بالعنصر الإفرنجي الذي كان من نسيج المجتمع الأندلسي في يوسف الثالث يتغزل بالعيون الزرق فيقول :

وكم من كسوł نؤوم الصبحي
 وكـم قد سباني من سـيـبهـا
 وكـم أـوقـعـتـ فـتنـةـ فيـ الـهـوىـ فـتـنـةـ
 تصـبـحـهـاـ وهيـ دونـ اـصـطـبـاحـ
 بـزرـقـ العـيـونـ وـزـرـقـ الرـمـاحـ
 بـبـيـضـ الثـنـايـاـ وـبـيـضـ الصـفـاحـ^٣

ويتضح من هذه الأبيات مدى تأثير البيئة الحربية في الشعر الأندلسي حيث ترخي ظلالها في صورة الغزل ونراه يقرن زرقة عينيها ببياض ثناياها وخدتها، وإلى جانب ذلك يشيد بترفها وتنعمها، وهو لا يحدثنا عن زرق العيون إلا مرة واحدة ويبدو أن الأمر كان عارضاً لا يعكس ذوقه العام، وفي هذا الموضع قال ابن خاتمة :

واستبى الشر مني زهره
واحتوت عيناه سر الزرق^٤

وجدير بالذكر أن خضراء العين وزرقتها، نادراً ما ذكرها الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي، وذلك لغلبة العيون السود عند النساء العربيات، وكذلك الحال بالنسبة لعصر بنى الأحمر. وأما حواجب المرأة فقد وصفها البسطي في قصيدة له في محبوبته فاطمة، فتحث

^١ - انظر ديوان أبي حيان الغنطي، ص ٤١٩ ، العصب: القتل.

^٢ - انظر ديوان أبي حيان الغنطي، ص ٩٥ .

^٣ - يقول ابن المعتز: ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من ثقبأسود . ديوان ابن المعتز :ص ١٠٠

^٤ - انظر ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث ، ص ٢٥ .

^٥ - انظر ديوان ابن خاتمة الأنصارى ، ص ١٠٠ .

عن سحر حاجبيها مع الجبين، فقد صوره دقيقاً مزججاً مقوساً يدل على عنایة موصولة
ويكشف عن فتنة وسحر فيقول:

بدر الدّجنة في حسن وإشراق
من غير قصد بالحاظ وإحراق^١

ومن تفوق إذا تبدو محسنه
ومن رمت كبدى عن قوس حاجبها

ولم يشا أن يتأنق في صورته، فرسم صورة ناطقة لجاجبي محبوبته، وأثرهما في نفسه :

تشير بالقلب أنواعاً من الفرح^٢

وللحواجب أفواه تكلمن

فحواجب النساء تتكلم كما تتكلم الأفواه، غير أن هذا الكلام لا تسمعه الأدن وإنما يسمعه القلب، فتثير ضروباً من الفرح والسرور. وتقين الشعرا في وصف ثغر المرأة وشبيوه تشبيهات رائعة، فقد وصف البسطي ثغر محبوبته وعدوبته وطيب رائحته وصفاً مميزاً قائلاً:

والأقحوان غدا لا يعرف الشنب
يذكولن شمه يجلولن شربا
ألفاه في الحالتين المسك والضربيا^٣

وثغرها حسن زهر الأقحوان حوى
جري بفيها رضاب طيب عبق
إذا الفتى شمه أو ذاقه سحرا

وتصوير فمها بالأقاح شائع في شعر المشارقة، لكن البسطي يخرجه مخرجاً طريفاً عندما جعل فم المحبوبة يطغى على الأقحوان بعدوبته. وهذا ملك غرناطة يصف ثغر محبوبته وعدوبة ريقها قائلاً :

لما مال عطفاها تمايل ذي سكر^٤

ولو لم يكن ذاك الرضاب بقهوة

وفي موضع آخر يصف ثغرها وجمال أسنانها الموجودة فيه فشبها بعقد من الدرر:
يظنون منها الثغر قد أشبه العقداً

وهل لحلي ليلى نظير وان هم

^١ - انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١١٤.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٦١.

^٣ - انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٧: الحدة الأسنان، اللسان مادة شنب.

^٤ - انظر ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٩٦.

^٥ - نفس المرجع، ص ٤٥.

ويقول ابن فركون إن الـزهـر موجود في ثـغـر مـحـبـوـتـه وـالـورـدـ منـشـرـ في وجـنـيـها:

إذا شئت زهراً في التـغـرـ منها
وان شئت ورداً في الـوجـنـينـ^١

وإلى جانب إعجابـه بـفـمـهـا وـابـتسـامـتـهـا، نـراـهـ يـشـبـهـهاـ بـتـشـبـيـهـاتـ قـدـيمـةـ، فـهـيـ كـالـغـزـالـ، وـقـدـهـاـ
كـالـغـصـنـ يـقـولـ:

فـمـهـماـ رـأـتـ كـانـتـ غـزـلاـ مـمـنـعـاـ
وـمـهـمـاـ اـنـشـتـ تـحـكـيـ قـضـيـباـ مـفـعـماـ^٢

وابـنـ زـمـرـكـ لـاـ يـتـمـالـكـ نـفـسـهـ عـنـ رـؤـيـةـ ثـغـرـ عـذـبـ شـيقـ، فـلـاـ يـسـكـنـ لـهـ سـاـكـنـ، إـلـاـ إـنـ تـوـصـلـ
إـلـيـهـ وـتـمـتـعـ بـهـ، وـلـكـنـ يـلـاقـيـ صـعـوبـاتـ فـيـ طـرـيقـهـ، وـمـاـ يـتـعـرـضـ إـلـيـهـ كـلـمـاـ أـرـادـ أـنـ يـنـالـ ماـ تـرـتـاحـ
نـفـسـهـ فـيـقـولـ:

ما رـمـتـ أـجـنـيـ الـأـقـاحـيـ بـثـغـرـهـ
إـلـاـ وـقـدـ سـلـ السـيـوـفـ مـنـ الـحـورـ^٣

وتـظـهـرـ بـرـاعـةـ اـبـنـ زـمـرـكـ فـيـ مـزـجـ الطـبـيـعـةـ بـالـغـزـلـ عـنـ وـصـفـهـ لـثـغـرـ مـحـبـوـتـهـ قـائـلاـ:

ولـيـلـةـ بـاتـ الـبـدـرـ فـيـهـاـ مـضـاجـعـيـ
كـرـعـتـ بـهـاـ يـبـنـ الـعـذـيبـ وـبـارـبـقـ
وـبـتـ أـسـقـيـ وـرـدـةـ الـخـدـ أـدـمـعـيـ
وـبـاتـ عـيـونـ الشـهـبـ نـحـويـ روـانـيـاـ
بـمـورـدـ ثـغـرـاتـ بـالـدـرـ حـالـيـاـ
فـأـصـبـحـ فـسـهـاـ نـرـجـسـ الـلـحـظـ ذـاـوـيـاـ^٤

وقد اعتمد ابن زمرك في هذه الأبيات على الاستعارة من جمال الطبيعة لجمال المرأة
شتى النعوت والأوصاف، وهو بارع في المزج، ويكمـنـ هـذـاـ فـيـ تـشـخـيـصـ الطـبـيـعـةـ وـالـحـدـيـثـ
إـلـيـهـ، وـمـنـاجـاتـهـ كـالـمـرـأـةـ تـمـاماـ، فـهـوـ يـسـاهـرـ الـبـدـرـ، وـيـشـرـبـ الرـضـابـ، وـيـقـبـلـ الـأـقـاحـيـ، وـيـسـقـيـ
وـرـدـ الـخـدـوـدـ مـنـ دـمـوـعـةـ، وـيـسـوـقـ هـذـهـ الصـورـ الـفـنـيـةـ الـجـمـالـيـةـ فـيـ نـطـاقـ حـدـيـثـةـ عـنـ يـوـمـ مـنـ أـيـامـ
الـوـصـالـ، غـيرـ أـنـ هـذـاـ الـوـصـالـ كـانـ مـحـصـنـاـ بـالـعـفـةـ وـالـأـخـلـاقـ.

^١ - انظر ديوان ابن فركون، ص ٢٥٦.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٦١.

^٣ - انظر ديوان ابن زمرك ، ص ٤١٧ .

^٤ - انظر ديوان ابن زمرك ، ص ٥٢٠ .

وفي موضع آخر أشار ابن زمرك إلى رقة أصابع محبوبته ونعومتها قائلاً:

باحث أنا ملك اللدان بكل ما كان المتيم في هواه قد ستر^١

وملك غرناطة يتغزل في إحدى مقدماته بـ(الينور) تلك الفتاة النصرانية، فيشيد بسحرها، وعذوبة ريقها فيقول:

**إن (الينور) وقد وردت رضابها منزج اللمي بالكونثر المورود
وهي التي صرحت حين دعوتها بهلال إفطاري وضحوة عيدي^٢**

ويرى ابن خاتمة أن أجمل شيء في الريق عنبرته وبرودته، فأكثروا من الحديث عن متعة، ارتشفه، ووصفوه بالعسل مذاقاً ورائحة، ويرى ابن خاتمة أن ريق محبوبته هو باعث للحياة يقول:

مهاة جرى ماء الحياة بشعرها رضاباً أعادته المنون بعقرب^٣

وجاء الريق في أشعارهم وسيلة لتخفيض ما تحمله داخلهم من نار العشق والآم بعد، فكان مصدراً للشفاء من الأوجاع والسقام، ولله القدرة على بعث الحياة من جديد في نفس الشاعر يقول البسطي:

**لعل نفحة رحمى أن تهب لهم تشفى الضنى وتداوي السقم والوصبا
وميت الحب تحييه وتنشره فقد طواه ——وى أحبابه حقباً^٤**

وليس هذا من المبالغة المموجة التي يسوق إليها التكلف في التعبير، بل هو من حدة العاطفة التي لا تعرف حدوداً. وتحدث الشعراء وأبدعوا في وصف قامة المرأة وحصرها وأرداها حيث فتنتهم القامة المجدولة التي منحت المرأة شكلاً جميلاً ومشية كلها دل وأنوثة، لذلك وصف يوسف الثالث أطراف حبيبته وجمال خصرها قائلاً:

^١ - انظر ديوان ابن زمرك، ص ٤١٢

^٢ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ٣٦.

^٣ - ديوان ابن خاتمة الانصاري ، ص ٥١.

^٤ - ديوان عبد الكريم القيسي ، ، ، ص ٣٩٧.

منعمتة الأطراف، ساقية الحشا مرجوجة الأرداد، مخطفة الخصر^١

فهذه الصفات تعني أنها مجدة حسب مفهوم أهل العصر كما يقول الجاحظ: "أكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد، يقومون بالمجدولة، والتي هي بين السمينة والممشوقة، ولا بد من جودة القد وحسن التجريد واعتدال المنكبين واستواء الظهر، ولا بد من أن تكون كاسية العظام، بين الممتلئة والقضيبية، ولذلك قالوا لأنها غصن بان أو قضيب خيزران وجبل عنان^٢. وعندما يتحدث عن الأرداد الممتلئة لا يعبر عن ذوقه وعن أدواته معاصريه، إنما يحاول أن يقلد المشارقة، ويسوق صوراً تعبّر عن أدواتهم، وقد أوغل في التقليد حتى إنه اعتمد على صيغهم وألفاظهم في التعبير عن بعض صوره فيقول:

منعمتة ريا الروادف أودعت جمال رواء في بهاء شباب^٣

فهو يرى كما كان يرى العرب القدماء أن نقل الأرداد دليل على الحياة المنعممة التي تعيشها المرأة، فهي لا تقوم بأي عبء من أعباء الحياة. وقد صفت البسطي محسن محوبته وكرر الأوصاف التقليدية المعروفة، فمحبوبته جميلة كالظبي، وقدها كالغضن يقول:

قد تمايل للصبا لا للصبا لا بل عليه الغصن قدما غاراً^٤

ولم يغفل ابن فركون عن إدراك الجمال الذي تحمله ابتسامة المرأة، فتتحدث عن هذا الجمال، وأثره في نفسه، فصاحبته حين تبتسم تسقيه الحب الخالص، كما أنها تكشف عن ثغر برّاق وأسنان بيضاء ناصعة كالدر فيقول:

ولله در راق من ثغرها الذي سقاني كؤوس الحب حين تبسم^٥

وأما يوسف الثالث فيقول في معرض حديثه عن أوصاف محبوبته سلمى ويتحدث عن ابتسامتها التي كشفت من خلالها عن عقد من الدرر:

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث ، ، ص ٦.

^٢ - الجاحظ ، رسائل الجاحظ (رسالة النساء ، ، ، ص ٢٠١).

^٣ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث ، ، ، ص ٦.

^٤ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٥.

^٥ - ديوان ابن فركون، ص ٢٦١.

أقت على الدنيا بداع لم تدع للشمس مطلعاً بأفق صعود
وتآودت فالبان قد أخذ الحال عنها فجاء بأبدع التأويـد
^١ وإذا هي ابتسـمت يروـقك مبـسم يـزـري بـعـد الـلـؤـلـوـ المـنـضـودـ

ويرسم البسطي صورة رائعة لابتسامة محبوبته، حيث ابتسامتها في بعائدها وجمالها تبدو كقوس قزح ذي الألوان اللافتة للأنظار فيقول:

نـلـهـوـ بـكـلـ كـحـيلـ الطـرـفـ ذـيـ غـنـجـ مـازـالـ مـبـسـمـهـ يـبـدوـ سـنـاقـزـحـ^٢

وقد بين الشعراء قديماً صورة المرأة وهي فرحة ضاحكة، وذلك لبيان جمال ابتسامتها وأسنانها، لما فيها من معان وسحر وجمال، وابن فركون لا يختلف عنهم إلا في طريقة العرض وتقديم الصورة، فقد أضفى على حديثه في هذا الجانب شيئاً من مزاجه، فاتسم بالجدة والطرافة. والعرب كانت ترى جمال المرأة في بياضها، وكثيراً ما امتدح الشعراء البياض في المرأة وروى عن أعرابي، قال وهو يصف امرأة، "لها جلد لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأذفر، في كل عضو منها شمس طلعة"^٣ . "وقيل لابنة الخُس ... فأي النساء أحب إليك؟ قالت البيضاء العطرة كأنها ليلة قمرة...".^٤

وقال الجاحظ: "قيل لأعرابي: أتحسن صفة النساء؟ قال: نعم، إذا عذب ثنياها، وسهل خداها، ونهد ثدياها، وفعم ، والتف فخذها، وعرض وركاها، وجدل ساقها، فتلك هم النفس ومنها"^٥ ، وقد وصف البسطي جسم حبيبته وصفاً رائعاً، بحيث تمثلت لنا المحبوبة من خلال هذه الأبيات إنسانة أكثر فتنة وجمالاً من حبيبات الشعراء القدامى :

**جـسـمـ مـنـ الفـضـةـ الـبـيـضـاءـ مـعـتـدـلـ تـخـالـهـ مـشـرـيـاـ مـنـ حـسـنـهـ ذـهـبـاـ
إـذـاـ يـدـ لـمـسـتـهـ مـنـ غـضـاضـتـهـ وـحـسـنـ نـعـمـتـهـ أـبـقـتـ بـهـ نـدـبـاـ**

^١ - ديوان ملك غرنطة - يوسف الثالث، ص ٣٦ .

^٢ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٦١ .

^٣ - الجاحظ : المحسن والأضداد ، ص ١٦٩ .

^٤ - القالي : ذيل الأمالي والنواذر ، ص ١١٩ ، السائل هو القلمون الكثاني ، كانت هي وأختها لإحداهما على صاحبتها بالفصاحة.

^٥ - الجاحظ : المحسن والأضداد ، ص ١٦٨ .

تقله إن مشت رجلان حجلهمـا يضيق وهي اشتكت من حمله تعبـا^١

فالشاعر في هذه الأبيات رسم صورة متكاملة لمحاسن محبوبته، فاختار البياض لوناً لها، والى هذا مال أكثر الشعراء في القديم، وهذا البياض المشوب بالصفرة شبهوه بالفضة التي خالطها الذهب، كما هي الحال عند البسطي .

ويؤكد البسطي في البيت الثاني حين يصف جسم محبوبته مؤكداً أنه غض بض، إذا ما لمسته يد تركت أثراً فيه. إلا أن هنالك من الشعراء من رأى عكس ذلك، كما وجدنا عند أبي حيان، فقد هام بحب السود وافتتن في وصف محاسنهن وفضلهن على الغوانى البيض، وله في ذلك تفسير غريب يقول:

نختارهن على بيض الطلى الغيد	لنا غرام شديد في هوى السود
في اللون والعرف نفح المسك والعود	لون به أشرقت أبصارنا وحكى
في آبنوس ولا أشفى لم——برود	لا شيء أحسن من آس تركبـه
سوداء حسناء لون الأعين السود	لاتهوى بيضاء لون الجص واسم إلى
٢ في خدتها صيد ، من سادة صيد	في جيدها غيد ، في قدها ميد ،

ونجده في موضع آخر يبين فيه نقىض ما ذكره، فلم يظل أبو حيان صريع السود بل قال في عكس ذلك:

فلا رأي لديه ولا رشـاد	إذا مال الفتى للسود يومـا
كسا جلدا لها وهو السـواد	أتهوى خنفساء كان زفتـا
وكانون وفـحم أو مـداد	ومـا السـواد إلا قدر فـرنـ
لـذـي عـقـلـ بـه اـتـضـحـ المـراد	وـيـينـ الـبـيـضـ وـالـسـوـدانـ فـرقـ
٣ وـوجـهـ الـكـافـرـينـ بـه اـسـوـادـ	وـجـوهـ الـمـؤـمـنـينـ لـهـا اـيـضاـضـ

^١ - ديوان عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ٣٦٩ .

^٢ - ديوان أبي حيان الغناطي ، ص ١٥٤ .

^٣ - ديوان أبي حيان الغناطي ، ص ١٦٥ .

وفي ذلك مفارقات كبيرة، ولعل الشاعر كان يتقن في قوله، فيهوى السود ويقع في غرامهن أحياناً، ويعشق البيض ويسقط في هواهن أحياناً أخرى. ومع جودة القد وجمال الخصر ونعومة الملمس وطيب الجسم كانت المشية ناعمة فيها دلعاً وأنوثة، فوصف الشعراء المرأة ونعتوها باللطينة والمتثنية، يقول ابن الخطيب:

ان تبدى أو تثنى أو مشى كلما شاء ومرعاه الحشا ^١	يا هلالا يا قضيبا يا رشا يا غزالا ورده في أدمعي
--	--

فهذه الأوصاف وإن كانت تقليدية، إلا أنه عرضها بشكل جديد مستمد من روح العصر، فصاغها في أوزان قصار ومرح موسيقى خفيف، فكان هذه الأبيات قد نظمت للغناء، الذي شاع في هذا العصر، وكانت له مجالسه وحفلاته الخاصة. وتحدى الشعراء عن شعر المرأة، فهذا يوسف الثالث، يصفه بالليل الفاحم من شدة سواده فيقول:

وبدت لنا من وجهه شمس الضحى قد كللت للشعر ليلا فاحما^٢

وتحدى الشعراء عن نعومة المرأة ورقتها، فيصف البسطي صاحبته بأوصاف كثيرة، يفهم منها أنها كانت ذات جمال فتان، فكل ما فيها من وصف يشير إلى النعمة واللطفة والرقابة:

هيفاء تزري بالقضيب إذا اعتمد تتلتح والبدر المنير إذا كمل وقد اكتست وجنتها ورد الخجل فتانته ما كحلها إلا الكحل من سقمه مضنى الحشاشة لم يبل ^٣	بدمي منعمة كعاب ذات دل من دونها في حسنها شمس الضحى راودتها عن نفسها في خلوة فرنت الي من الحياة بمقلة وطباء بات مصاب صارم لحظها
--	--

فهي طفلة ناعمة البدن، حسنة الدل، قدها لين، وهي كالشمس والبدر حسناً وبهاء محمرة الوجنتين، كحلا العينين، فلا حسن كحسنها، ولا دل كدل لها.

^١ - ديوان ملك غرناطة. يوسف الثالث، ص ١٧٣ .

^٢ - ديوان أبي حيان الغرناطي : ص ٣٠٣ ، الوطا : مسترخية الجوانب .

^٣ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٨ .

واتجه الشعراء في عصر بنى الأحمر إلى وصف أعضاء بشكل مفصل ودقيق . إلا أن الملاحظ أن ابن الخطيب لا يحتفل كثيراً بمفاسن الجسد الأنثوي، فنحن لا نقع في شعره الغزلي إلا على بعض الأوصاف المتقرفة لأعضاء المرأة ومحاسنها، وهو يتخطف من بعض الأوصاف القديمة، فلا نجد في شعره حديثاً عن ثقل الأرداف أو ضخامة الأعجاز ... وما إلى ذلك. أما تلميذه ابن زمرك – الذي كان من كبار رجال الحاشية- فلم نجد في ديوانه قصيدة مستقلة في الغزل، وإنما وردت أحاديثه الغزلية في مطالع قصائده المدببة بصورة خاصة ولم يكثر فيها من الحديث عن مفاتن المرأة.

ويقول الدكتور حمد سليم الحمصي في هذا السياق (وإذا كان علينا أن نعمل خلو شعره من قصيدة غزلية مسافة ، فالامر جد يسير ، إذ يسهل القول أن شاعرنا لم يقع في الحب مطلقاً ، فإننا لا نعرف شيئاً عن أسرار ابن زمرك الغرامية فال المصادر تسكّت تماماً عن ذلك)^١ ، على أن الشاعر حريص هو أيضاً على الكتمان فيقول :

يَا سَائِلِي عَنْ سَرِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ
السَّرُّ عَنِّي مِيتُ الْإِحْيَاءِ^٢

وكان يوسف الثالث من أكثر شعراء هذه الفترة وصفاً لمفاتن المرأة المحبوبة ولم يترك شيئاً من مفاتتها إلا وعكسه مرآة شعره، كما كان أشدهم حرضاً على ترسم الخطأ، والسير على مناهج القدماء، فأوصافه في مجلها من النمط القديم.

وشعراء العصر الغرناطي - في أوصافهم للمرأة - لا يمتازون عن الشعراء القدماء إلا في عذوبة اللفظ، وظرافة الصورة أحياناً فقد يضيفون إليها ما يحسنها ويحملها لتزداد روعة، كما أن استخدام هؤلاء الشعراء للألوان البديعية قد زاد من جمال العبارة وتألقها، فجاءت أشعارهم سمحاء تتدفق في سهولة وانسياب، وعباراتهم حافلة بالطرائف، زاخرة في كثير من الأحيان.

^١ - ابن زمرك الغرناطي: سيرته وأدبها، ص ١٦٢.

^٢ - نفح الطيب، ج ٧، ص ١٨٠.

المطلب الثاني

الصورة الوجدانية للمرأة

لم يكتف الشعراء برسم صورة مجازية لمن يحبون من النساء، بل أضفوا على نموذجهم الجمالي جمالاً وجداً وروحاً، بحيث غدت المرأة كائناً استثنائياً مفرد المزايا والصفات، جاماً لآيات الحسن والجمال الروحية. لقد أخذ حديث الغزل من حياة الشعراء الأندلسية وأدبهم مكاناً رحيباً، حيث عبرت قرائحهم الشعرية عن عواطفهم نحو المرأة وطربهم لجمالها وفرحهم بلقائها، ونشوتهم بوصالها، من غير أن يبتعدوا عمّا جاء به المشارقة شكلاً ومضموناً.

وكان من المتوقع كما يقول الدكتور عبد العزيز عتيق "أن ينفع الشاعر الأندلسي بمؤثرات الحياة الجديدة من طبيعية واجتماعية، فيبدل من نظرته إلى المرأة، ومن مفهومه لقيم الجمال فيها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وظل الغزل الأندلسي كأخيه المشرقي".^(١)

وقد حاولت المرأة الأندلسية الاحتفاظ بحبها والإبقاء على جذوته مشتعلة في قلوب عشاقها، فتمنعت واعتبرت وصدت وهجرت وتدللت. وقد دفع هذا السلوك يوسف الثالث إلى عرض حبه باستمرار والتذلل أمام محبوبته واستعطافها، ونراه يشكو حبه ويستعطف محبوبته أن ترقق به ولا تصد ولا تدخل عليه بالوصال فيقول:

فلم تسعني من جاء بالذلة مضطرا يضاعف لي البلوى ويجري لك الأجراء فيهينك أن عادت ضلوعي به جمرا ^(٢)	مددت يد المضرر نحوك ذلة وما ضر ذاك الحسن لو من بالذى أردت بطول البخل إشعال لوعي
--	---

وعلى الرغم مما يتمتع به من امتيازات ملكية، فمحبوبته تدخل عليه بالوصال فيقول:

بنوا الأملالك ما بلغوا من ناطي
لهم فخر إلا ثموا بلاطي

^١ - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص ٨٥ ، م ١٩٧٦ .

^٢ - انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ، ، ص ١٧٧ . وانظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظلبني الأحمر ، ص ٦٢ .

فما لك كأس وصلك لا تعاطي كأني لم أكن بالدهر ساطي
مهيب الأمر محمود السجيبة^(١)

ولعلّ وقع كلمة بخيلة على أسماعهم أعطى أبعاداً نفسية بإمكانية أن تجود إذا ما آثارها النعث، فأصرّوا على استخدامه، حيث يصف يوسف الثالث بخل حبيته بطيف الخيال:

لقد بخلت حتى بطيف خيالها فلا وصل لي إلا التوهم والفكير^(٢)

ويقول يوسف الثالث في وصف بخل حبيته التي بخلت عليه حتى برد جواب:

أخذ فيها النفس بالوعد والمني وقد بخلت حتى برد جواب^(٣)

ونراه يتحدث في موضع آخر عن صد حبيته عنه وهجرانها له، فقد استعرت نيران الوجد في فؤاده، فيلجاً الشاعر إلى مُناجاتها، ويتمى أن تتعم عليه بالوصال لكي يتسلى له رؤيتها فيقول:

**أراك تمل الوصول من غير علة وتوصل هجري ظلاماً وتعتسي
وتطلب قتلي بالصدود وبالقليل كأني ذو ذنب ولست بمذنب
فهلا مللت الهجر يا منتهي الهوى وواصلت وصلي واجتنبت تجنبي^(٤)**

ويتحدث ابن فركون عن بخل محبوبته وإعراضها عنه، وميلها إلى المرواغة والمماطلة من خلال هذا الحوار الطريف الذي جرى بينهما:

**تتيمه مائلة عني وقائمة أنت الذي قد ألفت الهجر والتىها
فقدت عل خيالاً منك يطرقني قالت أطلع شمسن في دياجيها
عنئت قلبي بأشجان أكابدتها فهل يصير طليقاً من يعانيها^(٥)**

^١ انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٦٤.

^٢ نفس المرجع، ص ١٦٣.

^٣ نفس المرجع، ص ٦.

^٤ نفس المرجع، ص ١٧٨.

^٥ انظر ديوان ابن فركون، ص ٢٦٠.

لذلك لام ابن خاتمة عينه التي نظرت إلى جمال المرأة، فأوحت إلى قلبها بأن يُعشق وبذلك جرّت إليه المتابعة والهموم والهوان فيقول:

الله يُنْصَفَ مَهْجِتي مِنْ مَقْلِتِي فَهِيَ الَّتِي جَلَبَتْ هَوَىً وَهُونِي^(١)

ويقول أيضاً:

لَا تَرُوعْ بِمَحْنَةِ الْهَجْرِ قَلْبِي
فَهُوَ مِنْ مَقْلِتِكَ فِي مَحْنَتَيْنِ
سَيِطُولُ الْعَذَابُ بَيْنِي وَبَيْنِي^(٢)
نَاظِرِي قَادِ الْخَاطِرِي لِقَتُونِي

فبدت المرأة في هذه الصورة "أنانية قاسية" ترحب باهتمام الجميع، وتتذلل بتعذيب عاشقها، وتستمتع برؤيتها ذليلاً أمام ودها، عاجزاً إزاء جمالها تريده دائمًا حريصاً على صدق مشاعره ووفائه لحبيها واحترامه لجمالها حتى تحول عتابه مدحياً لها ويظهر مدى التطور الذي وصلت إليه أساليب التعامل مع المرأة وهو أمر وفرته الحضارة بتهذيب الأساليب وتنطيفها بحيث غدا التذلل في الحب من مظاهر صدقه، والضعف إزاء الجمال من مظاهر قوته.^٣.

ولعل الحديث عن غدر المرأة وتلونها على إطلاقه، أمر ليس من الإنفاق في شيء، فهناك فرق بين ما قيل منه في الجاربية وما قيل منه في الحرّة، لأن الأولى يعنيها المكسب المادي وهذا جزء من طبعها الذي ربيت عليه، بينما في الثانية يتمثل الشاعر وصلها ويرغب في تحقيق مواعيده معها، لكنها تخشى إن فعلت ذلك أن يكون هدراً لكرامتها وسمعتها وسمعة أهلها وخوفاً من مجتمعها، فهو إذن ليس غدراً إنما نتيجة طبيعية لما أملته ظروف الحياة على المرأة. ووصف الشعراة حديث المرأة، بأنه ينبع سحرها الذي تفتّه شفتها، فيأسر القلوب ويفتن الألباب، لذلك تناول الشعراة صفاتها ونوعه وأثره. ويتحدث ابن خاتمة عن إحدى المغنيات واصفاً صوتها الأغن المتميز قائلاً:

غَنَاءً مَغْنِيَةً بِحَسْنِ غَنَائِهَا عَنْ لَذَّةِ الْمَغْنِي وَطَيْبِ الْمَالِفِ
إِنْ تَشَدَّدْ فَالْأَسْمَاعُ رَهْنَ تَشَوْفِ أَوْ تَبَدَّلْ فَالْأَبْصَارُ رَهْنَ تَوْقِفِ^(٤)

^١ انظر ديوان ابن خاتمة، ص ٤٩.

^٢ انظر ديوان ابن خاتمة، ص ٨٥.

^٣ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٦٤ .

^٤ نفس المرجع، ص ٧٩.

ويقول واصفاً صوت إحدى المغنيات حيث سبت العقول وشنت الآذان بسحر صوتها قائلاً:

وتثنيك إما انشت عن فن
بقد رطيب صوت أعن^(١)

تغئي فتغئيك عن بليل
ترىك وتسمع ما تشتهي

ويقول في مقطع آخر واصفاً جمال منطقها حيث يسد عن سماع الأغاني:

بمنطقها الأغن عن الأغاني^(٢)

وغانية تغئينا فتغئي

وجاء اهتمامهم " بهذه الناحية واضحاً في حديثهم عن المغنيات وإتقان صنعة الغناء والعزف، لأن الصوت من أبرز مقومات العملية الفنية والغنائية. ولا نقل نظرة المرأة تأثيراً عن حديثها، فهي مصدر إلهام الشعراء والأدباء، ومنبع فتنتهم وسحرهم، يتجلّى فيها الجمال المعنوي وتعكس بسهامها الجمال الحقيقى" ^٣. ويقول ابن خاتمة في وصف سهام العيون وما تركه في النفس من أثر:

ثعلية الألحاظ أصنمت منهجتي بظبا سهام لا عدمنت ندوتها^(٤)

ويتحدث الشاعر الملك يوسف الثالث عن السهم الذي أصاب قلبه:

لقد اثبتت في القلب سهم فتورها وما كل سهم مرسل وافق المرمى^(٥)

ويتحدث كذلك أبو حيان عن سهام العيون التي اخترقت كبد، فلهذه السهام تأثير قوي على نفس الشاعر، فقد أثارت في نفسه جذوة حب لا سبيل إلى إطفائها:

أصابت فؤاد الصب منها بنظرة فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز^(٦)

^١ - نفس المرجع، ص ٩٥ .

^٢ - انظر ديوان ابن خاتمة، ص ٨٨ .

^٣ - وانظر حمزة محمد عبد الهاي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسى في ظل بنى الأحمر، ص ٦٥ . بتصرف .

^٤ - نفس المرجع، ص ٦٥ .

^٥ - انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٦٧ .

^٦ - انظر ديوان أبي حيان الغناطي ، ص ٩٠ .

الحاظه كسيوف الهند

ماضية لها بقلبي وان سالمه اثر^(١)

ويقول في موضع آخر:

ورمت من جفنها بأسهم

وسط قلب منغم بالنظر^(٢)

ويقول:

سدّدت نحو ي من لحاظك أسهما

وجعلت قلبي عرضة لنباك^(٣)

ويقول ابن فركون مشبها نظرة محبوبته بنظرة الغزال، ولين قوامها بالغصن:

فمهما رنت تحكي غزالاً ممتعا

وقد تحدث ابن حزم في كتابه طوق الحمامنة عن أثر النظرة الأولى فقال: "وكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة" . وقد تحدث الشاعر الملك يوسف الثالث عن جمال محبوبته مشيداً بطيب منتها وعفتها فيقول:

عقيله خدر من ذؤابة غالب

لها النجم شنف والجبين هو البدر^(٤)

وما كان يزيد المرأة جمالاً وقرباً هو خجلها، حيث أحبَّ العرب المرأة الخجولة، وقد رسم الشاعر ابن خاتمة صورة للمحبوبة، وقد كشفت عن وجهها واستأنست بعد حياء وخجل قائلاً:

جلت عن حجابي خجلة وتنقب

كم لاح بدر عن سحاب وغيهـ^(٥)

^١- انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ص ٦٠ .

^٢- نفس المرجع. ص ٨٤ .

^٣- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٦٠ .

^٤- انظر ديوان ابن فركون، ص ٢٦١ .

^٥- ابن حزم ، طوق الحمامنة ، ، ص ٨٩ .

^٦- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٦٣ .

^٧- انظر ديوان ابن خاتمة، ص ٧٢ .

ووصف البسطي محبوبته وصفاً جميلاً فقال:

لم أنس يوم وصاله وقد اكتسي خداه من فرط الحياء خمارا^(١)

وقد أحب الأندلسيون الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة، إذ يبالغ ابن فركون في حديثه عن طيب رائحة المحبوبة، فلو أعرت رائحتها للنسيم لأصبح يتضوّع طيباً ورقه:

لو أعرت القبول عرفاً وطيباً لم يهب النسيم إلا بليلأ^(٢)

كما يصف ابن خاتمة طيب أنفاس محبوبته قائلاً:

أوان عرف الروض من أنفاسها حتى شمتت على الأزاهر طيبها^(٣)

ولم ينس الشعراء عواطف المرأة ومشاعرها، بل صوروا مشاعر المحبوبة نحوهم، ورغبتها في الوصال، وأسبغوا عليها صفة الوفاء والإخلاص وحفظ الود والعهد، بل أشادوا بهذه الصفات وحفظوها لها إخلاصها ووفاءها.

فالبسطي يخبرنا أن محبوبته تبادله الحب والغرام، وهي لا تطيق الفراق، ولا تصبر على الهجر، فإذا ما حان وقت الرحيل، انهمرت الدموع من عينيها، وبدت على وجهها علامات الحزن والكآبة فيقول:

لم أنس يوم النوى والبين كلامتها وقلبها مثل قلبياليوم مضطرب ووجهها مثل وجهي واجم فرقاً من خطب فرقتنا غيران مكتئب

^١ - انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٥.

^٢ - انظر ديوان ابن فركون، ص ١٦٠.

^٣ - انظر ديوان ابن خاتمة ، ص ٨٦ .

^٤ - انظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، ص ٦٩. بتصريف .

وَدَمْعُهَا مِثْلُ دَمْعِيْ فَوْقَ وَجْنَتِهَا
وَقَدْ مَدَّتْ إِلَيْهَا لِلْوَدَاعِ يَدًا
اللَّهُ فِي حِفْظِ حَبِّيْ لَا تَضِيَعُهُ
كَالْغَيْثِ مِنْهُمْ زَهَامٌ وَمَنْسَكَبٌ
وَاسْتَقْبَلَتِيْ بِأَخْرِيْ وَهِيَ تَنْتَحِبُ
فَحَفِظَهُ لِيْسَ لِيْ فِي غَيْرِهِ أَرْبَعٌ^(١)

ويوسف الثالث يؤكّد حب المرأة له فهي تعرف بأنّها لا تستطيع البعد عنه، فقد قتلها الحب، وأثارتها دواعي الوجد والصباة، كما تعلن إخلاصها له وبقاءها على العهد فيقول:

لَكَ اللَّهُ لَا تَبْعَدْ فَحِبْكَ قاتلَيْ
وَقَلْبِيْ مِنْ أَجْلِ النَّوْيِ يَتَفَطَّرُ
لَئِنْ غَبَتْ عَنْ عَيْنِيْ وَلَمْ يَسْعَدْ اللَّاقَا
فَشَخْصُكَ فِي طَيِّ الْفَوَادِ مَصْوَرٌ^(٢)

ويصف لنا ابن الخطيب محبوبته، وقد أضناها الحب، فهي تبكي بكاءً مراً ساعةً الوداع، وتؤكّد له حبّها ووفاءها وتعترف له بأنّها لا تقدر على بعاده لأنّها ترى سعادتها، وصفاء عيشها في قربها من تحب فيقول:

فَمَا ذَاقَتْ أَشْهَى مِنْ مَشَاهِدَةِ النَّوْيِ
وَأَعْظَمَ مِنْ بَيْنِ الْحَبِيبِ الْمَوْدَعِ
وَلَمْ أَنْسِ إِذْ عَانِقَتْهَا لِوَدَاعَنَا
فَخَالَطَتْ ذِرَّ الْعَقْدِ جُونَهُرَادْمَعِيْ
وَتَمْسَحَ بِالْيَمْنَى دَمْوعَ جَفَوْنَهَا
وَمَالِيْ مِنْ عِيشِ إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِيْ
وَتَمْسَحَ بِالْيَمْنَى دَمْوعَ جَفَوْنَهَا
فَإِنْ غَبَتْ غَابَ الْأَنْسُ عَنِيْ بِأَسْرِهِ^(٣)

وهناك فرق بين بكاء المرأة وبكاء الشاعر، لأنّ الأخير يبكي المرأة والحياة التي رحلت برحيلها، أما المرأة فتبكي نفسها وما حلّ بها برحيل الرجل. وهي إلى جانب جرأتها في تعاملها مع من تحب، وإعلانها عن حبها له، إلا أنها تخاف الوشاية والحسدين أن يكشفوا خبر حبّها، فتحاول السيطرة على نفسها، وربما وجدت في إيماءة الطرف، وإشارة البنان ما يعوّضها عن التصرير الذي يعرضها للخطر:

وَلَا سَرَّتْ وَاللَّيْلُ قَدْ مَالَ وَانْقَضَى
وَأَعْجَلَهَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ الْمَلْمَعِ

^١ انظر ديوان عبد الكريم القيسي البسطوي، ص ١١٣ .

^٢ انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٥٩ .

^٣ انظر الصيب والجهام ، ص ٦١٧ .

ولم تستطع رد السلام مخافته أشارت بطرف العين ثم أومت بإصبع^(١)

وتشكو المحبوبة أيضاً من رحيل الأحباب وفراقهم وقسوة الهرج، كما يشكو صاحبها:

في ذمة الله أحباب لنا ارتحلوا دانوا محبّهم مثل الذي دانـا
فإن شكوانا إليهم ما نكابده شـكـواـمـاـنـكـابـدـاـ(٢)

ونجح الوشاة بأكاذيبهم وحسدهم في تدمير علاقة الشاعر بمن يحب،" وهذا لم يكن من العدل والإنصاف في شيء فقد قطعوا حبائل الود بين الشاعر الملك يوسف الثالث ومحبوبته فإذا بها تتغير عليه وتميل إلى الصد والجفاء، ومن هنا نراه يعرض بالرفقاء والوشاة في غزله. يقول في قصيدة معاذباً محبوبته لتغييرها عليه ومعرضاً بالوشاة الذين كانوا سبباً في صدورها وهجرانها^٣:

أتوك بزوريـن وكـذـابـ حسبت مقال القوم صـدقـاـ وـأـنـماـ
وأنعمـتـ غـذـالـيـ بـطـولـ عـتـابـ صـدـدـتـ وأـشـمـتـ الأـدـاـةـ بـهـجـرـنـاـ
وـكـانـ بـغـيـرـ الـهـجـرـ منـكـ عـقـابـيـ وهـلاـ بـقـدـرـ الذـنـبـ كـنـتـ جـزـيـتـيـ
مرـادـ وـشـاتـيـ أـنـ تـطـيلـ عـذـابـيـ فلاـ تـقـبـلـ قـوـلـ الـوـشـاةـ فـإـنـماـ(٤)

وهو يعرض بالعدال الذين سرهم ما كان يعنيه من بكاء وسهر وألم:

وعهدي بالـعـدـالـ لـاـ درـدـرـهـمـ ثـغـورـهـمـ منـ عـرـقـيـ تـتـبـسـمـ

وـأـنـيـ لـأـرـجـوـ مـنـ رـضـاهـ تعـطـفـاـ لـيـرـغـمـ وـاشـ بالـرـضـىـ وـرـقـيـبـ

^١ نفس المرجع ، ص ٦١٨.

^٢ انظر الصيب والجهام ، ص ٥٩٦.

^٣ انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرر ، ص ٧٠ . بتصرف .

^٤ انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ١٧٥ .

^٥ نفس المرجع ، ص ١٢١ .

^٦ نفس المرجع، ص ١٢ .

ويطلب منها أن تترى فلما تقع في أحابيل هؤلاء الوشاة، وأن تتبدأ أقوالهم وما نمقوه من أكاذيب، كما يفعل هو، رغم سعيهم في التفريق بينهما:

من راد قلبي أن أحظى بودكم
وان يكون رهينا طوع وعدكم
لما عدتم اصطباري يوم بعدكم
قال الوشاة بأني خنت عهديكم
فلا وحقك ما كان الذي زعموا

راموا التقطاع عنكم إذ قطعتهم
ونمقوا زورهم لما منعتهم
صرفت سمعي عنهم لا سمعتهم
وأنت يا سول قلبي إن أطعتهم
أثمت في كما في قولهم أثموا

والله ما الصبر في شکواي طوع يدي
فيما عذولي في وحدي على الأبد
من ذا يفرق بين الروح والجسد
لا تبغ قسمة شيء ليس ينقسم^(١)

ويحذر ابن الخطيب محبوبته من الوشاة، ويطلب منها ألا تصغي إلى أقوالهم لما فيها من كذب وافتراء فيقول:

يا سامعين من العذال إفكهم
بالله لا تستمعوا زورا وبهتانا^(٢)

ويتحدث ابن فركون عن سعي الوشاة في التفريق بينه وبين المحبوبة، إذ اتهموه بأنه ملّها، وانشغل عنها، لكنه يؤكّد إخلاصه لها، ودوام هذا الحب في قلبه فيقول:

وقد زعم الواشون أني تارك
هواها ومرأها وأصبر عنهم
فظننت بأني قد سلوت عن الهوى
وأني إذا لا أشهد الليل مغroma
وهنئيات يمنحو الدهر أو ينسط العدى لها في حصة القلب ما قد ترسما^(٣)

وابن خاتمة يعصي في حبه لمحبوبته العذال واللوم، ولا يلتقي لشخص غير شخصها فيقول:

^١ - انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١١١-١١٢.

^٢ - انظر الصيد والجهام ، ص ٥٩٧ .

^٣ - انظر ديوان ابن فركون، ص ٢٦١-٢٦٢ .

فيا غيئهم فيما أتوه، ويا رشدي
نهاني عنها عزلي فعصيتهم
وإن جل ما ألقاه فيها من الوجد^(١)
حرام على قلبي غرام بغيرها

ويطلب منها أن تعرض عن الرقباء، كما يفعل هو، ويعصي عواذله فيقول:

الله يكفي عاذلي ورقبيها حتى تشيب على الهوى وأثنبيها
ما كان ضر وقد عصيت عواذلي أن لم تكن تعصي كذلك رقبيها^(٢)

ولم يخرج شعراء الأندلس عن هذا الاتجاه وخاصة في عصر بنى الأحمر على القدماء في التعبير عن حبهم للمرأة التي لم تكن تأبه بأنّات العاشق وآهاته، وغالباً ما صوروها لنا مُتکبرة، معرضة عن هذا الحب، فالرجل وحده هو المغرم التائه، والمرأة هي المعشوقة المدللة، لذلك كان حديث الشاعر عن محبوبته حديث العاشق الظامي إلى اللقاء، والمتشوق إلى الوصول بعد الهجر والحرمان، لا تجف له دمعة، ولا يهدأ له بال، ولا يجد السلوان إلى قلبه سبيلاً^٣.

وخلالمة القول فان صورة المرأة في الشعر الأندلسي لم تختلف عن صورتها في العصور السابقة إلا في بعض المواقف والصور القليلة بحيث لم تصل نسبة هذه المواقف والصور الجديدة إلى درجة الخروج عن المألوف، وكأنهم قد فضلوا تجاربهم العشقية على تجارب السابقين، وقدروا مظاهرها وموافقتها بإتقان من حيث الظاهر فقط.

^١ - انظر ديوان ابن خاتمة، ص ٤٧.

^٢ - ديوان ابن خاتمة، ص ٦٤.

^٣ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، ص ٧٢ . بتصرف.

المطلب الثالث

لباس المرأة وزينتها في شعر الأندلسيين

اهتمت المرأة الأندلسية بأمور زينتها وجمالها، لكي تبقى محل اهتمام الرجل ولتظاهر أمامه بأحسن مظهر وأجمل صورة، ولا شك في أن التجمّل ليس وفقاً على المرأة الأندلسية بل انه شأن المرأة في كافة العصور، "ونذكر ابن الخطيب أن النساء في عصره كن يبالغن في أمور الزينة والتبرج، قال: وقد بلغن من التقى في الزينة والمظاهره بين المصبغات، والتنافس في الذهبيات والديبياجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة".^(١)

وقد أشار شعراء هذه الفترة إلى الأصياغ التي كانت تستخدمها المرأة في زينتها من حلي وعطر وثياب، وفتوا بها، ولا سيما أن معظمهم كانوا من طبقة الخاصة، وعاشوا في أكناf القصور، وفي ظل ترف ونعمـة، فبدت المرأة في أشعارهم، منعـمة، متـرفـة.

وكانت الحلي أول اهتمامـات المرأة الغرناطـية، ولا سيما المرأة المترفة، حيث قـمن بارتداء المجوهرـات من أساور ودمـالـجـ وهو المعـضـدـ أو السوارـ الذي يـجـعـلـ في العـضـدـ وـخـواتـمـ وقلـائـدـ وـخـلاـخـيلـ وأـفـرـاطـ وـتـيـجانـ، لذلك كـثـرـ الشـعـرـاءـ عـلـىـ ماـ كـانـتـ تـسـتـعـمـلـ المـرـأـةـ منـ أـصـنـافـ الحـلـيـ، وـذـكـرـواـ أـنـمـاطـ مـتـعـدـدـ لـهـاـ. وـكـانـ ابنـ الخطـيـبـ أـكـثـرـ شـعـرـاءـ عـصـرـهـ اـحـفـاءـ بـهـاـ، فـهـوـ بـذـلـكـ أـكـثـرـ وـفـاءـ وـتـجـاوـبـاـ مـعـ حـضـارـةـ عـصـرـهـ، وـكـمـاـ حدـثـناـ عنـ اـهـتـمـامـ المـرـأـةـ فيـ عـصـرـهـ بـزـيـنـتـهـاـ وـحـلـيـهـاـ -ـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ آـنـفـاـ -ـ نـجـدـهـ يـعـكـسـ هـذـهـ المـظـاهـرـ الـحـضـارـيـةـ فيـ شـعـرـهـ فـيـقـوـلـ:

وان هي غصت بالحللى والقلائد^(٢)

ونثم ما بين النحور إلى الطلى

ويقول أيضاً:

فالخط در العقد جوهر أدمعي

ولم أنس إذ عانقتها لوداعنا

^١ انظر اللمحـةـ الـبـدـرـيـةـ لـلـسـانـ الدـيـنـ بـنـ الـخـطـيـبـ ، صـ ٤٢ـ ٤ـ ٤ـ . وـ انـظـرـ حـمـزةـ مـحـمـدـ عـبـدـ الـهـادـيـ ، صـورـةـ الـمـرـأـةـ فـيـ الشـعـرـ الـأـنـدـلـسـيـ فـيـ ظـلـ بـنـيـ الأـحـمـرـ ، صـ ٧٣ـ . بتـصـرـفـ .

^٢ انـظـرـ دـيـوـانـ الصـيـبـ وـالـجـهـامـ لـلـسـانـ الدـيـنـ بـنـ الـخـطـيـبـ ، صـ ٤٨٨ـ ٤ـ ٤ـ . الطـلـىـ : الأـعـنـاقـ .

ففي البيتين السابقين يركز على ما كانت تضعه المرأة في نحرها وجيدها من قلائد وعقود ثمينة، وعرض ذلك في صور جميلة، منتزعه من حضارته وبينته المترفة.

وتيم قلبي حسنها وجماله وحنج الليالي فرعه ودلالة^(١)	بنفسي غزال قد غرستني لحاظه هو البدر والجوزاء قرط مسجد
--	--

إنه يمزج جمالها وحسنها بجمال حليها وزينتها، فهي في جمالها كالغزال وكالبدر، إلا أن هذا الجمال يزداد بدلالها وترفها، وبالحلي التي تزيّن بها، فهي تصيف إلى جمالها ألواناً حضارية براقة^٢. وهي تتخذ أنواعاً من الحلي يظهر صوتها مع كل حركة تصدر عنها، فيتحدث الشاعر عن هذه الوسوسة وما يتركه ذلك من أثر في نفسه قائلاً:

للقلب نحو حديثهم إصناغاء وشهاب شفتك ذا أم الجوزاء وكأن قلبي بينها ورقاء^(٣)	وسواس حليك أم هم الرقباء ووميض شغرك أم تائق بارق يا بانة ورق الشباب ظلالها
--	---

وقد طرب الشعراء القدماء كثيراً لوسوستها خاصة إذا ما ألصقت هذه الحلي والمجوهرات على الثياب، حيث تضفي على المرأة جمالاً خاصاً فيقول الأعشى:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشق زجل^(٤)

فابن الخطيب يرى الجمال مقروناً بالحلي وألوان الزينة غالباً، وهذا الجمال الحضاري كان يفتته، لما فيه من تأنق وترف ودلال فيقول:

صبوت وما قلبي بأول من صبا لناطقة القرطين صامتة القلب^(٥)

^١ نفس المرجع . ص ٦١٧ . مسجد: مذهب ، اللسان ، مادة عسجد .

^٢ انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٧٤ . بتصرف .

^٣ نفس المرجع ، ص ٥٧٣ . الشنف : حلية تلبس في أعلى الأذن ، اللسان ، مادة شنف .

^٤ ميمون بن قيس "الأعشى" ، ديوان الأعشى ، بيروت ، دار الجبل ، ص ١٦٩٩٢ .

^٥ انظر ديوان الصيب والجهام لابن الخطيب ، ص ٤٣ . القلب : السوار يكون نظماً واحداً ، اللسان ، مادة قلب .

فهو يعبر عن امتلاء المعصم وصمت السوار، ويقرن هذا الجمال الطبيعي الذي في المرأة بالجمال الصناعي، عندما يحدثنا عن جمال قرطيها ووسوستهما، نلمح في معانيه بعض الطرافـة والجـدة أحياناً مع امترـاج العواطف بها، مما يجعلـها مـادة لاستـمتاع فـني بـديعـ، وهـي تـكشف عن نـزوع عمـيق إـلى التـرفـ، كما نـستـشعر فيها مـيلاً إـلى الـراحةـ والـرـخـاءـ^١.

فابن الخطيب عاش في قصر الحمراء حـيـاة نـاعـمة مـتـرـفةـ، فلا بدـ منـ أنـ يـتركـ هـذاـ الأـفقـ السـلـطـانـيـ الـذـيـ عـاـشـ فـيـ كـنـفـهـ أـثـراـ كـبـيرـاـ فـيـ شـعـرـهـ، فـرـاحـ يـصـوـغـ مـنـ ذـهـبـ القـسـرـ وـلـؤـلـؤـ الشـرـاءـ وـدـرـ الغـنـىـ صـورـاـ تـبـهـجـ النـفـوسـ وـالـمـرـأـةـ الـتـيـ يـتـحدـثـ عـنـهـ يـوـسـفـ الثـالـثـ مـنـعـمـةـ مـتـرـفةـ، تـتـأـنـقـ فـيـ زـينـتـهـ وـاـخـتـيـارـ حـلـيـهـاـ، كـمـاـ أـنـهـاـ عـرـيقـةـ الـأـصـلـ، شـرـيفـةـ فـيـ نـسـبـهـاـ:

عقـيلـةـ خـدـرـ مـنـ ذـوـأـبـةـ غـالـبـ لـهـاـ النـجـمـ شـنـفـ وـالـجـيـنـ هـوـ الـبـدـرـ^(٢)

فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ اـشـادـ بـحـسـنـ الـمـرـأـةـ وـجـمـالـهـاـ، وـمـاـ تـتـحـلـىـ بـهـ مـنـ أـلـوـانـ الـزـيـنـةـ، كـمـاـ أـشـادـ بـأـصـلـهـاـ وـطـيـبـ مـنـبـتهاـ وـعـفـتهاـ، وـهـذـهـ الـأـمـورـ تـزـيـنـ الـمـرـأـةـ، وـتـرـفـعـ مـنـ قـدـرـهـاـ وـمـكـانـتـهـاـ، فـهـيـ وـإـنـ أـخـذـتـ بـأـسـبـابـ الـحـضـارـةـ وـأـلـوـانـ التـرـفـ، إـلاـ أـنـهـاـ تـتـمـسـكـ بـالـقـيـمـ الـعـرـبـيـةـ الـأـصـيـلـةـ.

وـعـلـىـ النـقـيـضـ الـآـخـرـ هـنـاكـ مـنـ الـشـعـرـاءـ مـنـ اـعـتـبـرـ أـنـ جـمـالـ الـوـجـهـ وـالـجـسـمـ هـوـ الـجـمـالـ الـحـقـيقـيـ مـعـتـبـرـيـنـ أـنـ الـحـلـيـ صـورـ ثـانـوـيـةـ، وـنـجـدـ اـبـنـ خـاتـمـةـ يـتـحدـثـ عـنـ مـفـاتـنـ الـمـرـأـةـ وـجـعـلـهـاـ كـالـصـبـاحـ فـيـ إـشـرـاقـهـاـ، تـضـاهـيـ الشـمـسـ بـبـهـائـهـاـ، كـمـاـ تـسـتـهـوـيـهـ بـجـمـالـ بـشـرـتـهـاـ، وـصـفـاءـ أـدـيمـهـاـ، وـثـقـلـ أـرـدـافـهـاـ وـجـمـالـهـاـ هـذـاـ كـمـاـ يـقـولـ اـبـنـ خـاتـمـةـ يـغـنـيـهـاـ عـنـ الـحـلـيـ الصـنـاعـيـةـ فـيـقـولـ:

حـسـنـاءـ قـدـ جـلتـ بـفـضـلـ جـمـالـهـاـ عـنـ زـيـنـتـهـ بـتـعـطـقـ وـتـشـفـ^(٣)

ويـخـبـرـنـاـ اـبـنـ خـاتـمـةـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ أـنـ اللـهـ قـدـ خـصـ مـحـبـوـتـهـ بـحـسـنـ فـرـيدـ بـيـنـ النـاسـ، بـحـيـثـ أـنـهـاـ عـاـطـلـةـ مـنـ الـحـلـيـ، فـجـمـالـهـاـ الـبـاهـرـ يـغـنـيـهـاـ عـنـ الـزـيـنـةـ وـالـتـبـرـجـ فـيـقـولـ:

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرر ، ص ٧٥ . بتصرف .

^٢ - انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ص ٦٣ .

^٣ - انظر ديوان ابن خاتمة ، ص ٧٩ .

أطلعها الحسن على غصن
 ضم وتفاح لمن يجني
 بما بمرأها من الحسن
 ما خلته عن غيرها يكنى
 قد نظم الحسن بها شمله ما زهرة الدنيا سوى زهرة
زهرة من شم وغصن لمن
عاطلة قد غنت عن حلى
لونت الناعت شمس الضحى
كانها حوزاء من عدن^(١)

ولم يكتف ابن خاتمة بوصف محاسن محبوبته وصفاً تقليدياً، وإنما نعتها بأشياء جديدة استقاها من عصره، وعرض ذلك كله بلغة سهلة بسيطة، وألفاظ عنده منتقاة لا غرابة فيها وهو بذلك يقترب من شعراء بنى العباس المحدثين.

وكانت الثياب أحد جوانب اهتمام المرأة من خلال تصاميمها وأشكالها وألوانها، وساهم التقدم الحضاري الذي عاشه المجتمع في توفير كل ما تحتاج إليه المرأة من أجود أنواع الأقمشة، فكانت تلبس الحل الفاخرة المزرκشة وتستعمل الوشاح، وقد صور الشعراء هذا الجانب فوصفو الألوان والنقوش والأشكال ومدى تأثير ذلك على نفوسهم، فيصف يوسف الثالث اللون الغالب على ملابس صاحبته وهو اللون الأحمر قائلاً:

تالله ما أهوى سوى قمر متورد الجلبب والخد^(٢)
ويقول:
من ساحب في فجره وأصيله حللا أتت بمورس ومورد^(٣)
ويقول:
أمن أجل زور لذات الوشاح غدا القلب مغرى بها مستباح^(٤)

فالشاعر في هذا النص يصور ملابس المرأة بما فيها من أصياغ حضارية تكشف عن جمالها وثرائها ودلالها وترفها، فمحبوبته جميلة، وإلى جانب جمالها تهتم بزيتها وحليتها وملابسها وهي تعيش حياة كلها ترف ودلال، في قصر تحيط به الرياض الغناء، والحدائق الخضر الملقة فيقول:

^١ انظر ديوان ابن خاتمة الأنباري ، ص ٧٨ . نفس المرجع

^٢ انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ص ٤٥ .

^٣ نفس المرجع. ص ١٧١ .

^٤ نفس المرجع. ص ٢٥ .

سل الروضة الغناء من جانب القصر
ومنبت حوط البان ذي الورق النضر
هي البدر أو تزهي جمالا على البدر^(١)
بها من ظباء الأنس حوراء طفـلة

ويقول:

كـلـفت بـظـبي لـيـس سـكـناـه بـالـفـلاـ
ولـكـن لـه الـقـصـر المـرـفـع مـنـزـلـ^(٢)

ويقول:

غـزالـلـه الـقـصـر المـرـفـع مـسـكـنـ
وـبـدـرـبـآفـاق الـضـاـعـمـقـيمـ^(٣)

إنها امرأة منعة متربة، تحافظ على جمالها وتعيش له، فهي تجمع الحسن والرقابة
والدلائل:

طـوعـالـتـرـفـهـ قـوـمـةـأـوـنـومـ
الـحـسـنـبـيـنـ تـوـسـمـ وـتـوـسـدـ^(٤)

ويبدو أن المرأة في هذه الفترة كانت تستعمل القناع، وهو كالخمار يكون على الرأس، ثم
تسدل المرأة بعضه على جزء من الوجه، إذا احتاجت إلى ذلك فيقول ابن فركون:

قد يجتلى حسنها لولا تقنعها
ويجتنى زهرها لولا تجنيها^(٥)

وهذا القناع كان منسوجاً من الذهب الخالص، مما يدل على ترف صاحبته وثرائها.
ولابن فركون مقطوعات كثيرة في ديوانه، يصف فيها القناع الذي كانت تستعمله المرأة آنذاك،
منها قوله:

أـحـسـنـبـهـمـنـقـنـاعـ
دـاقـالـعـيـونـ جـمـالـ
حـوـىـمـنـالـوـجـهـ بـدـراـ
فـاقـالـبـدـورـ كـمـالـ

^١ نفس المرجع، ص ١٩٦ . الخوط : الغصن ، طلقة: رخصة لينة، لسان العرب مادتا : حوط - طفل .

^٢ انظر ديوان ملك غرناطة ، ص ٤٥ .

^٣ نفس المرجع، ص ٩١ .

^٤ نفس المرجع، ص، ١٧١ .

^٥ انظر ديوان ابن فركون، ص، ٢٦٠ .

من خالص التبرج ^أ_أ صفاته أن تنسالا
شمس الأصيل حكته لونا وحسننا وحالا^(١)

والمرأة كما تبدو من شعر البسطي، كانت ترتدي الثياب المرصعة بالذهب والفضة:

تردى رداء الحسن بربادا مفوقا فمالت له بالحب منى الجوارح^(٢)

وهي إلى جانب جمالها تتألق في اختيار ملبسها وحلبها:

عانقت منها الغصن يرفل من حلئ من حسن بهجتها تروق وفي حل^(٣)

وإلى جانب جمالها وترفها اهتمت المرأة الغرناطية بطيبها وعطرها، حتى غدا هذا جانباً مهماً من شخصيتها، وجعل الشعراط الطيب جزءاً لا ينفصل عن صورة المرأة بهدف تقريبها من الأذواق وإكسابها شيئاً من الجمال، فأضافت إلى جمالها جمالاً آخر هو من نوع خاص، يحبه الرجل ويرغب فيه^٤.

وهذا يعني أن المرأة كانت جميلة وفاتنة وتملك ذوقاً جماليّاً عالياً ظهر في زينتها ووسائل تجميلها وفي فهمها للجمال المطلوب عند أهل العصر. وقد أحب ابن فركون المرأة الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة، لذلك فهو يقرن حسن المرأة وجمالها بطيب رائحتها فيقول:

إذ لها بهجة وحسن عجيب وجمال باد وعرف وطيب^(٥)

وبالغ في الحديث عن طيب رائحتها، فلو أعارت رائحتها للنسيم لأصبح يتضوّع طيباً ورقّة فيقول:

^١ انظر ديوان ابن فركون، ص، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

^٢ انظر ديوان عبد الكريم القيسبي ، ص ١٤٠ . يقال: غرفة مفوفة: وتفويتها لينة من ذهب وآخرى من فضة ، والمفوف : الذي فيه خطوط بيضاء على الطول، انظر لسان العرب.

^٣ نفس المرجع، ص ٣٠٩ .

^٤ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٧٩ . بتصرف.

^٥ انظر ديوان ابن فركون ، ص ٢٧٥ .

لو أعرت القبول عرفاً وطيباً لم يهب النسيم إلا بليلًا^(١)

كما تحدث عن أثر هذه الرائحة في النفس فهي تتعشّها وتحيّبها:

عهدي بها والطيب يذكى عرفه منها فأحيا النفس إذ حيّها^(٢)

ويقول الملك يوسف الثالث واصفًا رائحة المرأة الطيبة:

**لله نسمة دارين إذا صدرت عن ورد وجنته التقاحة الأرض
تهدى من الطيب ما يحيي تنسمه فواد ذي نظر بالحسن مبتهج^(٣)**

أما أبو حيان فيجعل الأرض تستمد طيبتها من رائحة الحبيبة وتختصر بعد أن كانت لا تنبت فيقول:

يفوح أديم الأرض من نش طيبها ويحضر من آثار تربتها الجرذ^(٤)

ويقول البسطي في وصف رائحة محبوبته:

**وبي شادن أغري فوادي بالهوى فأصبح عن معنى الهوى ليس يبرح
وتحمل عن أنفاسه نفحة الصبا روائح مسك حين تهفو وتنفح^(٥)**

وابن خاتمة عندما يعمد إلى بيان أجزاء الجسم وجلاء مفاتنه، يتخذ من لباس المرأة سنداً له وعوناً ليرصع وصفه بخلابة من الحياة الخارجية، التي لا تمل المرأة من خصها بالعناية والأهمية فيقول:

^١ - انظر ديوان ابن فركون، ص ١٦٠ .

^٢ - انظر ديوان ابن فركون، ص ١٦٨ .

^٣ - انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٢٠ .

^٤ - انظر ديوان أبي حيان الغناطي، ص ١٨٩ .

^٥ - انظر ديوان البسطي ، ص ١٥٩ .

قد كان في حمر المقانع مقنع
لضلال شأني وانهمال شؤوني
حتى ذهبت بحمره في سمرة
كالخمرة الصهباء في تلوين^(١)

إنه يرينا جمال المرأة من خلال اختيار هنديها، ثم ما يكون في هذا الهندي من إغواء، فللعناد دور يؤديه في الكشف عن جمال الوجه، الذي أجاد الشاعر وصف ما يثير من الفتنة.

لقد وصف شعراء الأندلس وخاصة في عصر بنى الأحمر جمال المرأة الحسّي، ولم يتركوا شيئاً من مفاتنها إلاّ وعكسوا مرآة شعرهم . وعلى الرغم من ذلك كله فقد وجدها في شعر هؤلاء الولانا من التصاوير والمجازات تمثل أذواقهم ومتطلبات عصرهم، وأحياناً يعرض الشاعر الصورة الموروثة عرضاً جديداً، فيعطيها الجدة والطرافة، كذلك نجدهم يضيفون إلى الوافد الآتي من الشرق إضافات تدل على أنهم تأثروا ببيئتهم وظروف مجتمعهم.

وخلاصة القول فإن المرأة في المجتمع الأندلسي وخاصة في عصر بنى الأحمر وعصر الطوائف ظهرت في كثير من الأحيان بصورة جديدة ومتفردة عن غيرها في باقي العصور فيما يخص ملبسها وزينتها، فلم تكن مقلدة للمرأة المشرقية في كل شيء، فنرى أن المشارقة كانوا يفضلون الملابس التي تشتمل على لون النرجس الأصفر في حين أن شعراء بنى الأحمر يفضلون الملابس التي تشتمل على الورد الأحمر، فغدا هذا الشعر الذي قيل في زينتها يحتوي على تجديد واضح.

^١ - انظر ديوان ابن حاتمة ، ص ٤٧ . صهباء: شقراء أو حمراء. مادة صهباء، انظر اللسان لابن منظور .

المبحث الثاني
صورة المرأة الخاصة
في الشعر الأندلسي
المطلب الأول
صورة الزوجة والزواج

كرم الإسلام الزوجة تكريماً لم تعرفه الديانات الأخرى وأنظمة الحديثة التي تدعى المحافظة على حقوق المرأة فكرم الإسلام الزوجة وأعلى من شأنها، وميز مراكزها وقرنها في معظم الآيات القرآنية فيقول جل شأنه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }^١ قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }^٢

فالمرأة والرجل كلاهما من معدن واحد وهما متساويان في المنشأ فلا ينبغي أن يتباينا. وقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقها من إرث وزواج وغيرها، وكرّمها مثلها مثل الرجل، ولا نقول تماماً ذلك " لأن الله فضل الرجال على النساء، على سبيل المثال فضلهم في الشهادة والزواج بأربع، وزيادة النصيب في الميراث، وأمر الطلاق، والرجعة، والانتساب "^٣.

而对于女性来说，她拥有继承权、婚姻权等，与男性平等。在学习和教育方面，她也有权获得知识和教育。事实上，她可以拥有自己的财产，不受性别限制。因此，女性在法律面前是平等的。

^١ - سورة النساء ، آية : ١ .

^٢ - سورة الأعراف، آية : ١٨٩ .

^٣ - صلاح الدين الناهي ، الأسرة والمرأة ، بغداد ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، ١٩٨٥ م ، ص ١٥٧ .

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادر، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتتها. ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج الإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها والإساءة إليها.

بل ومن المحسن - أيضاً - أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطعوا أن يعيشَا عيشة سعيدة؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تتحقق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيناً لا يطاق . وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها، شيئاً في معاشرتها، فلها أن تفارقـه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقـه .

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمْنُ خَلْقِنَا تَقْضِيَّلًا) .

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب . قال النبي ﷺ : " لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء، إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته - وهي كنفسه - مهانة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها .

وقد سنَ الإسلام أحكاماً للزواج والطلاق وتعدد الزوجات لكن بنظرة قائمة على الرحمة والمودة، وحفظ للزوجة كرامتها وجعلها مهابة الجانب، مقابل ذلك عليها واجبات معينة تؤديها تجاه زوجها. فالرجل والمرأة يؤمنان شطري الإنسانية، ويكمّل كلُّ منها الآخر، ولكن أعد كلُّ منها لمهام معينة وهذا وجه اختلافهما . ولهذا وجّه ابن الجياب عدة أبيات إلى أحد أصحابه بمناسبة زواجه ثانية، مبيّناً أن الإسلام أحلَّ لل المسلمين الزواج مثـنى وثلاثة ورابع فيقول :

واجبك المحتموم بيعي القصیر
اوسعني عذرا فضل كيير
يك فيها الله وفضل الوزير^١

قصر بي في الفعل والقول عن
فإن تلم فاللوم حة ي وان
ثلث وربع لا تخف عيلـة

فنظم تعده الزوجات مألفٌ عند العرب، وكان أسلافنا يمارسونه قبل الإسلام، وظلوا يمارسونه على وفق التشريع بعد ظهوره، وازدادوا شيئاً بعد دخول العرب الفاتحين إلى الأندلس.^٢ وربما كان لا يتم عقد الزواج في الأندلس إلا بعد موافقة الفتاة وأهلها على ذلك، وإن تمّ يدفع الزوج صداقاً مقابل ذلك يحدد باتفاق بينهما، لهذا نرى عبد الكريم القيسي يعرض بقاضي بسطة الذي غير الأحكام، وأجاز الزواج بلا صداق فيقول:

تباله فيه يروح ويغتدي	تبا لقاضي بسطة ابن منضئ
رأي الغوي الجاهلي الملحـد	ويرى النكاح بلا صداق جائزـا
ـ تغيير الأحكـام عـمـا أصـلت	ـ وـيـغـيـرـ الأـحـكـامـ عـمـاـ أـصـلتـ

وشارع ظاهرة الطلاق في الأندلس كما في غيره من البلدان، وهو تنازل الرجل عن حقوقه التي على الزوجة كافة، وينفرد الزوج دائماً بحق الطلاق إلا في حالات استثنائية نادرة^٣. وقد أباحه الإسلام وإن ضيق من دائنته. وهذا الشاعر عبد الكريم القيسي وبعد أن يورد الصفات الذميمة التي تتصف بها زوجة إحدى أصحابه يبين له أن زوجته عجوزاً لم تعد قادرة على خدمته، ويدعوه إلى تطليقها وأن يتزوج من فتاة صغيرة السن فيقول:

شـكـوتـ بـهـ عـجـوزـاـ أـنـتـ مـنـهـاـ	بـحـالـ تـرـتـجـيـ لـهـاـ الـاسـتـحـالـهـ
وـجـئـتـ لـهـاـ بـأـوـصـافـ قـبـاحـ	ـ تـنـاسـبـ خـلـقـهـاـ مـنـهـاـ الرـذـالـهـ
ـ فـلـمـ تـتـرـكـ بـمـاـ أـبـدـيـتـ مـنـهـاـ	ـ مـدـاعـبـةـ لـذـيـ قـوـلـ مـقـالـهـ
ـ فـهـاـ هـيـ اـكـثـرـتـ زـعـمـواـ سـؤـالـهـ	ـ فـطـلـقـهـاـ طـلـاقـ فـتـيـ كـرـيمـ
ـ فـإـنـ طـلـاقـهـاـ رـأـيـ رـشـيدـ	ـ تـحـقـقـ رـشـدـهـ تـلـكـ الـجـالـلـهـ

^١ - أبو الحسن بن الجياب، ديوان ابن الجياب ، تتح مشهور عبد الرحمن الجبازي واشراق عصمة غوشة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦١.

^٢ - محمد سالم زناتي ، تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م ، ص ٦٢ - ٦٣ .

^٣ - ديوان عبد الكريم القيسي ، ص ٢٤٣ .

^٤ - مونيك بيتر ، المرأة عبر التاريخ ، ترجمة هنريت عبودي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٥ - ٧٩ .

^٥ - ديوان عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ٣٠٤ .

وبعد هذه النصيحة يدعوه أن لا يطيل فترة بقائه بدون زوجة، بل وعليه أن يبادر إلى الزواج من زوجة صغيرة السن ، لما يلاقيه من نعيم وطيب عيش فيقول :

فتاة تسلب الغصن اعتداله بما يلقاء شاكيا اعلاله وتبدى للجفا منك احتماله يفوق دموع باكيك المسئلة ^١	ولا تطل التأيم بعد وانكح ممتعة بيبيت الصب منها تحبك مالها أحببت يوما وتبكى إن تمت عنها بدمع
--	--

وديننا الإسلامي لا يجيز للمطلقة ثلاثة أن تعود إلى عصمة زوجها قبل أن تنكح رجلاً نكاحاً صحيحاً مقصوداً لذاته، إلا أن قاضي بسطة أجاز و بلا تقوى منه لمن تهوى من المطلقات ثلاثة الرجوع إلى زوجها مباشرة، ولهذا نرى الشاعر عبد الكريم القيسي يعرض بهذا القاضي، حيث قال :

عليك بقاضي بسطة ابن مفضل يجيز بلا تقوى نكاح المحلل ^٢	أمبتوته تهوى الرجوع لزوجها تجد قاضياً ذا مذهب غير ضيق
--	--

وهنالك من الرجال من طلقوا زوجاتهم، فقضى قاضٍ بردهن إلى أزواجهن لكن الأزواج امتنعوا عن ذلك. كما هو الحال عند عبد الكريم القيسي عندما عرض ابن الأحول حين حرمت عليه زوجته، فقضى قاضٍ بردها إليه، بينما تشتبث ابن الأحول بتحريرها عليه فيقول :

ما لابن الأحول والغورو بوصفه ولزوجة قد حرمت رد الذي ^٣	في الفقه بالتفضيل والتقديم رد الفراق، اختار بالتحريم
---	---

وعدة المرأة الحامل عند تطليقها بأن تضع حملها، لكن ابن الأحول جعل عدة زوجته الحامل المطلقة أربعين يوماً، فقال عبد الكريم القيسي شعراً معرضاً به ومبيناً له أن نكاحها في هذا الموضع يعتبر زنى يؤثم عليه فيقول :

^١ - نفس المرجع ، ص ٤٠٣ - ٣٠٥ .

^٢ - عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ٤٠٩ . والمبتوة : المطلقة ثلاثة .

^٣ - عبد الكريم القيسي ، ص ٢٤٥ .

عدد الطوالق أن يحضرن حرائرنا
جعل ابن أحوال أربعين صباحا
فنكاحهن زنى عليه وزره لعظيم ما بالجهل منه أباحا^١

وقد حرم الإسلام على الزوج أن يتزوج بذات زوجته أو حفيذاتها من غيره لما يؤدي
من اختلاط في الأنساب ينجم عنه أذى كبير، إلا أن ابن الأحوال أجاز لنفسه هذا الزواج، فقال
فيه عبد الكريم القيسى شعراً معرضاً به :

نقد ابن الأحوال ما رأه شيخنا
مستعملاً ومتتمماً عقد الهمة
سحقاله فنكاح بنت رببه^٢
بعد الدخول بالأم أضحى مذهبها

وتعدّ زوجات ﷺ خير قدوة لنساء العالمين، فهنّ المثل الأعلى في الأدب والأخلاق،
كيف لا وهنّ أمهات المؤمنين وزوجات النبي ﷺ . فقد نظم ابن الحباب شعراً يبيّن فيه حبه
لزوجات النبي ﷺ ، وهنّ أمهات المؤمنين، حيث يبيّن أن حبه هذا مذهبها في الحياة فيقول:

مطهرات مذهبها	حب ثلاث نسوة
فخر العظيم الرتب	عائشة التي لها الـ
فريدة أهل الكذب	برأها الرحمن من
فات العلي والنسب	و قبل افاطمة
ربة بيت النصب ^٣	وابدا بأذكى منها

وقد كان لميل القلب دورٌ في النكاح، " وكان هذا الميل والإعجاب سبباً مباشرأً في كثير
من الزيجات، فقد يعجب الرجل بسرعة بديهتها وحسن ذكائها وجمالها، فقد قيل: المرأة
الصالحة كمثل التاج على رأس الملك والمرأة السوء كمثل الحمل التقيل على ظهر الشيخ
الكبير"^٤.

^١ - ديوان عبد الكريم القيسى ، ص ٤٠٩ .

^٢ - نفس المرجع ، ص ٤١٧ .

^٣ - ديوان ابن الحباب ، ص ٧٩ .

^٤ - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي) ، صيد الخاطر ، تتح السيد الجميلي ، بيروت ، دار بن زيدون ، ١٩٨٦م، ج ٢ ص ٤٧٧ .

لهذا نرى ابن زمرك يقول في خطاب استعد أن يقدم كل ما يستطيع من مجوهرات وحلياً ومذهبات في سبيل استرضائهما حتى تقبل أن تكون شريكة حياته:

عَدْلَتْ بِهَا عَنْ خَاطِبٍ بِقَرِيبَةِ	يَقْرُضُهَا فِيهِ الْمُبْرَةُ وَالْمَدْحَا
وَسَاقَ لَهَا الْجِوَزَاءَ قَرْطَا مَجْوِهِرَا	وَمِنْ مَهْبَاتِ الْبَرْقِ أَهْدَى لَهَا وَشَحَا
وَلَوْ طَلَبَتْ تَاجَ الْهَلَالِ مَكْلَلاً	بِدِرَّ الدَّرَارِيِّ لَمْ يَضْنَ بِهِ شَحَا ^١

ويقول ابن زمرك في فتاة أحّبها، أنه بارتباطه بالمحبوبة وعقد قرانه عليها كأنه ملك الدنيا وما فيها:

خَطَبَتْ مِنْهَا خَطَابًا كَانَ مَوْقِعَهُ	أَشَهِي إِلَيِّي مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
ضَنَّتْ عَلَيَّ وَلَيْسَ الْبَخْلُ شَيْمَتَهَا	لَكُنْ لَعْدَرَةٌ لَمْ يَبْدِ خَافِيَهَا ^٢

ومن النساء من لامت زوجها على إنفاقه المال بكثرة، وقد بين الشّعراء من خلال جملهم وحوارهم مع العاذلة الأسباب والعوامل التي دفعتهم للكرم والعطاء السّخي، والشّاعر لا يسمع لها العذر وإنما يستمر في ذلك لأن الكرم صفة جبل عليه منذ مولده. ويصور ابن زمرك حواراً دار بينه وبين زوجته التي تلومه على إنفاقه المال، بينما هو يردّ عليها بأنه ينفق هذا المال عن اقتداء تام ومطلق بوجوب إنفاقه فيقول:

أَلَائِمِي فِي الْجُودِ وَالْجُودِ شَيْمَتِي	جَبَلَتْ عَلَى آثَارِهَا يَوْمَ مَوْلَدِي
ذَرِينِي فَلَوْ أَنِي أَخْلَدُ بِالْغُنْيِ	لَكُنْتُ ضَنِينَا بِالذِّي مَلَكَتْ يَدِي ^٣

وهذه الظاهرة وجدت في العصور القديمة وتحديداً في العصر الجاهلي، وذلك من خلال قراءة الشعر الجاهلي، حيث يصوّر طهمان بن عمرو الكلابي في شعره حواراً دار بينه وبين زوجته التي تلومه على إنفاق المال فيقول:

^١ - ديوان ابن زمرك، ص ١٩٩.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٠٠.

^٣ - نفس المرجع، ص ٣٨٤.

تقول ابنة الطائي مالي لا أرى بـكـفـيكـ منـ مـالـ يـكـادـ يـلـيقـ
يـزـينـ ماـ أـغـطـيـتـ منـيـ سـماـحةـ وـوـجهـ إـلـىـ منـ يـعـتـرـيهـ طـلـيقـ^١

ويقول تأبـطـ شـرـاـ مـعـلـاـ سـبـبـ اـسـرـافـهـ فـيـ إـنـفـاقـ المـالـ :

يـقـولـ أـهـلـكـتـ مـالـ لـوـقـنـعـتـ بـهـ مـنـ ثـوـبـ صـدـقـ وـمـنـ بـزـ وـأـعـلـاقـ
عـاـذـلـتـيـ إـنـ بـعـضـ اللـوـمـ مـعـنـفـةـ وـهـلـ مـتـاعـ وـاـنـ أـبـقـيـتـهـ بـاـقـ^٢

ومن الملاحظ أن شعراء الأندلس بشكل عام لم يتغزل أحد منهم بزوجته فقط، ما خلا الشاعر أبي حيّان الغرناطي، وربما يعود التعليل في ذلك إلى أنّ الشعراء أرادوا الحفاظ على خاصتهم من النساء وعدم الرغبة في إظهار محاسنهم وجمالهن أمام العامة، من باب الغيرة عليهنّ. أما غزل أبي حيّان فيتجلى في حبه لزوجة زمردة (أم حيّان) فقد بث لوعته في أشعاره وتحدى عنها وجّن بها فيقول :

جـنـتـ بـهـ سـوـدـاءـ لـوـنـ وـنـاطـرـ	وـيـاـ طـالـاـ كـانـ الجـنـونـ بـسـوـدـاءـ
وـجـدـتـ بـهـ بـرـدـ النـعـيمـ وـإـنـ يـكـنـ	فـوـاديـ مـنـهـاـ فـيـ جـحـيـمـ وـلـأـوـاءـ
وـشـاهـدـتـ مـعـنـىـ الـحـسـنـ فـيـهـ مـجـسـداـ	فـاعـجـبـ لـمـعـنـىـ صـارـ جـوـهـ رـأـشـيـاءـ
أـطـاعـنـتـ مـنـ قـدـهاـ بـمـثـةـ فـ	أـصـبـتـ وـمـاـ أـغـنـىـ الـفـتـىـ لـبـسـ حـصـدـاءـ
لـقـدـ طـعـنـتـ وـالـقـلـبـ سـاـهـ فـمـاـ دـرـىـ	أـبـالـقـدـ مـنـهـاـ أـمـ بـصـعـدـةـ سـمـرـاءـ ^٣

ويختلط الغزل بالمديح والإعجاب في هذه الأبيات، ولا غرو في ذلك، فقد أحّبها وهام بها وكانت أنيسة في الغربة وسميره في الوحشة.

^١ - طهمان بن عمرو الكلابي ،ديوان طهمان عمرو والكلابي، تج محمد جبار المعيد، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ما يكاد يليق: ما يبقى ولا يلتصق .

^٢ - أبو زهير ثابت بن سفيان ،ديوان تأبـطـ شـرـاـ ، تج علي ذو الفقار شاكر، بيروت، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٤ م ، ص ٥٠ - ٥١ ، البـرـ : الشـيـابـ أوـ السـلاحـ ، الـأـعـلـاقـ : كـرـائـمـ الـأـمـوـالـ .

^٣ - ديوان أبي حيّان الغرناطي ، ص ٤٢٣ . انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرم ، ص ٨٦ . بتصرف .

المطلب الثاني

صورة الابنة

أظهر الشعر الأندلسي قوة العلاقة وعمقها بين الأب وابنته، فقد ظهرت الابنة في مظاهر المحبة لوالدتها المتعلقة به، وظهر الوالد كذلك محباً لها مشفقاً عليها من كل ما يمكن أن يسبب لها الأذى سواء في حال وجوده أو بعد موته. ففكرة كون البنات الأكثر تأثيراً في نفس الوالد فكرة متوارثة في شعرنا، فقد قال فيها غير شاعر، ربما لأنهم يرون أن البنت عنصر ضعيف في الأسرة وفي المجتمع، وبالتالي فإنها تثير في نفس والدها الإشراق على حالها^١.

ومن مظاهر حب الأب لابنته ذكرها في شعره ومحاورته لها في قضايا الحياة المختلفة. وصورة الابنة في شعر عصر بنى الأحمر لم تختلف عن صورتها في بقية العصور من حيث قلة الشعر وندرته، فلو استثنينا الشاعر أبا حيان لوجدنا أننا لم نعثر في دواوين الشعراء إلا على خمس قصائد تناولت الحديث عن بعض جوانبها، فلقد عثرت على قصيدتين في باب التهنئة بقدوم مولودة وقصيدة في المديح وقصيدة في وصف زيارة وقصيدة في الرثاء، أما أبو حيان فقد وجدت له اثنتي عشرة قصيدة في رثاء ابنته نضار^٢.

وربما يعود قلة الشعر الذي قيل في الابنة في تلك الفترة إلى الاضطرابات السياسية التي شهدتها الأندلس آنذاك، فقد وجدت كثيراً من الشعر قيل في المواليد الذكور، وذلك لأن فرحتهم بالمولود الذكر أكثر منها من الأنثى، ل حاجتهم إلى من يقف في وجه تهديدات النصارى.

وكانت الابنة في نظرهم عنصر الضعف في الأسرة، فكان هذا القلق ملزماً لهم خوفاً من انتهاك حرمتها فيما لو احتلوا من قبل العدو. وعلى الرغم من هذا كله إلا أننا نجد لسان الدين بن الخطيب يهنيّ الأمير أبا عبد الله يوم ميلاد ابنته مبيناً له أنها وبقدومها أصبح الدين عزيزاً فيقول:

بشرى تقوم لها الدنيا على قدم حيّا بها الله حي النصر في القدم

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٨٧ . بتصرف .

^٢ - نفس المرجع والصفحة .

يُثني بكل لسان ناطق وفم
وأصبح الدين جذلنا بموقعها
لك البشارة مما شئت فاحتكم
ويابشيرابنعمى جل موقعها
وصولة العقد جلت عن النعم
وياميرالهدى هنيتها انعما
وصولة العقد جلت عن النعم^١
وياماً ميلاده

ولابن فركون نصيب من هذه التهاني، فنراه يهنئ السلطان يوسف الثالث ببنت ولد له،
مبيناً أن شرف قدومها وصل إلى قاضي البلاد لسمعة أبيها الطيبة فيقول :

هنئاً هنئاً إمام الهدى
وغوث الوجود وغيث الندى
وبشرى بواحدة قد أقتلت
لها شرف حاز أقصى المدى
لقد طلعت هذه عندمَا
رأت سيفه في الشري أغمدا
فأيمن وأسعد بها طلعة
وأعظم وأكرم به مولدا^٢

ولقد كان للبنت نصيب من المدح في عصر بني الأحمر، فقد نظم الخطيب مقطوعة
يمدح بها ابنة السلطان صاحب تونس، مبيناً أنها من بيت ملكي مشهور بالحسب، وأن النجوم
تدور عليها كالحرس لحمايتها، وقد وجّه هذه الأبيات إلى زوجها عامر بن محمد بن علي
مهنئاً إياه بزواجه منها فيقول:

وَجَدَدَتْ نَصْرَ الرِّجْدِ فِي ابْنِ ابْنِهِ الَّذِي
عَقِيلَةَ مَلَكٍ فَرَزَتْ مِنْهَا بَطَائِلَ
يَزِرَ عَلَيْهَا هَوْجَ الْمَلَكِ هَالَّةَ
فَلَوْ أَنْصَفَتْ فَوْقَ الْعَيْنِ ابْتَغَوْا لَهَا
وَفِي نَسْبَةِ الْأَشْيَاءِ يَظْهَرُ حَسْنَهَا
فَهَنَاكَ اللَّهُ إِلَيْابَ وَلَا نَةَ ضَتَّ
رَعَيْتَ لَهُ حَقَ الذِّمَامَ الْمُؤْكَدَ
عَزِيزٌ عَلَى النَّفْسِ الْكَرِيمِ الْمَجْدَ
يَدُورُ عَلَيْهَا كَلَّ غَرْفَ وَفَرَقَ دَ
طَرِيقاً فَتَمْشِي فَوْقَ صَرْحِ مَسْمَدَ
مُوْحَدَةَ زَفَتْ لِخَيْرِ مَوْهَدَ
سَعُودَكَ تَتَرَى بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْهَدَ^٣

ووصف أبو حيّان الغناطي زيارة ابنته نضار إلى الأراضي المقدسة وحجّها البيت
الحرام وزيارتها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

^١ - انظر الصيّب والجهام، ص ٥٧٩ .

^٢ - ديوان ابن فركون، ص ١٣٧ .

^٣ - الصيّب والجهام، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

وَلِلْحَجَرِ الْمُسْوَدِ كَانَ التِّثَامَكُ
وَكَانَ كَثِيرًا بِالْمَقَامِ مَقَامَكُ
عَلَى الْأَرْضِ وَاحْتَلَتْ هَنَاكَ خِيَامَكُ
وَزُورَةُ خَيْرِ الْخَلْقِ كَانَ اخْتِتَامَكُ^١

وَبِالْكَعْبَةِ الْغَرَاء طَفَتْ بِمَكَةَ
وَجَاءَوْرَتْ أَيَّامًا بِهَا وَلِيَالِيَّا
وَزَرَتْ رَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَّى
فَكَانَ بِبَيْتِ اللَّهِ رَوْيَاكَ أَوْلَى

ويقول في قصيدة أخرى واصفاً غزارة علمها وتنوعها وسعة بصيرتها وحسن منطقها
وبعدها عن اللحن فيقول:

وَلَحْظَ فَكِرٍ إِلَى نَيلِ الْعِلُومِ رَنَا
فَلَمْ يُضِيعْ لَهَا فِي غَيْرِهَا الزَّمْنَا
لَمْ تُنْزَقْ أَحْرَزْتَ أَجْرًا وَحْسَنْ ثَنَا
فَلَنْ تَرَى فِيهِ لَا لَحْنًا وَلَا لَكَنَا^(٢)

فَقَهِ وَنَحْوٍ وَتَأْرِيَطٍ وَمَعْرِفَةٍ
قَدْ نَوَرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بِصِيرَتِهَا
حَجَّتْ وَزَارَتْ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ أَتَتْ
فَصِيحَّةٌ ثَقَفَتْ بِالنَّحْوِ مَنْطَقَهَا

ولقد احتلت البنت مكانة مرموقة عند أبيها في الأندلس، وبفقدانها أحسن الأب لوعة وحرقة على رحيلها، ولهذا بكاه بقاءً حاراً. وهذا ابن زمرك يقول في إحدى مرااثيه وهو يُحمس أبيباتهاً أنسده إياها السلطان أبو العباس^(٣) رحمه الله تعالى من نظمه يرثي ابنة له اسمها عشق:

فَرَاقَ عَلَيْنَا جَارٍ فِي الْحُكْمِ وَاعْتَدَى
(لِنَظَمِ مِنْ شَمْلِ الْهُوَى مَا تَبَدَّدَ)
وَلَكِنْ رَهِينَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ فَدَا

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا عَدَا بَعْدَمَا بَدَا
وَلَوْ كَانَ وَعْدَ الْيَوْمِ يَنْجَزَهُ غَدَا
فِي سَائِلِي عَنْ حَالِي وَلَكَ الْبَقَا

فَقَدِتَ الْذِي أَهْوَى فَعَرَّنِي الْلَّقَا
(وَنَفْسِي مَعَ الْأَنْفَاسِ تَفْنِي تَشْوِقاً)
وَدَمَعَ جَفُونِي بَعْدَ بَعْدِي مَا رَقَا

(وَرَوْحِي فِي مَثْلِ الْخَلَالِ تَرَدَّداً)^(٤)

ولعلّ أبا حيان الغرناطي من أكثر الشعراء الذين رثوا بناتهم وبكوا عليهن بكاءً مرآ، فقد رثى ابنته نُصار وكان يعزّها كثيراً ويفضلّها على أخيها حيّان لأنّها كانت عالمة معربة مؤدبة، حضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر، وكانت تقرأ الكتاب، وخرجت لنفسها جزءاً

^١ - ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٧٢.

^٢ - ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٤٠١.

^٣ - هو أحمد بن سالم المريني المغرب، يُو碧ع له بعِدَالْهَةِ الْغَنِيَّ بِاللهِ سَنَةٌ (٧٧٦)

^٤ - ديوان ابن زمرك، ص ٣٣٢-٣٣١.

من الأحاديث ونظمت شعراً وكانت تعرب جيداً، وكان أبوها يقول: "لَيْتَ أَخَاهَا حَيّانَ مُثْلَهَا". ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ هـ فحزن عليها حزناً عظيماً وجمع في ذلك جزءاً سماه: "النضار في المسلاة عن النصار" ^١.

وكتب عنها البدر النابلسي، فقال: "الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف" ^(٢). ولما توفيت طلع أبوها إلى السلطان الملك الناصر محمد وطلب منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فأدن له في ذلك، وحزن عليها وحزناً عظيماً وانقطع عند قبرها ولازمة سنة.

وفي الديوان اثنتا عشرة قصيدة في رثائهما، وأبو حيّان في كلّ هذه القصائد يتحدث عن لوعته وحزنه وعن علمها وفطنتها وذكائها. فالغالب عن أهله يعود ولكن الميّت لا ترجى رجعته وإنّ دمعه لا يجري فليبكِ دماً عليها، ويخاطب تربتها فيقول:

يا تربة قد حوت نضاراً طبت شذا بالذى حويت ^(٣)

لماذا؟ لأنّها فتاة بعقل ناضج وعلم غزير، وسعت إلى المكارم والعلا، ولكنّها لم تتمتع بشيء، فسرعان ما انتقلت إلى الرفيق الأعلى بعد أنْ آمنت بالقضاء لتعيش روحها في جنة الخلد. ويختتم قصidته بقوله:

وإنّ بيتاً أضحى محلّاً لخير بنت لخير بنت ^(٤)

ومضت الأعياد وأبو حيّان مكبّ على قبر ابنته نصار لا ييرحه ولا يستطيع سلوانا فيقول:

وفؤادي وقف على التبريج	ان جسمي مقيد بالضريج
ونضار تحت الشري والصفريح	راح عيد وبعد عيد كبير

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرم، ص ٩٠ . بتصرف.

^٢ - ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل بن أحمد بن علي، ت訳 محمد سيد جاد الحق، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، القاهرة ، دار الكتب الحديدة، ١٩٦٦ م ، ج ٤، ص ٣٩٥ ، نفح الطيب، ج ٣، ص ٣١٥ .

^٣ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٢٣ .

^٤ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٢٥ .

لَا أَرِي فِيهِمَا وَجْهَ نَضَارٍ يَا
وَنَضَارٌ كَانَتْ حَيَاتِي وَرُوحِي^(١)

ويتحدث بعد ذلك عن ذكائهما وعقولها الراجح وحيائهما ونظرها في علوم الفقه والحديث والنحو والتاريخ، ويشير إلى أنه سيلحق بها عن قريب:

إِنْ تَكُنْ قَدْ تَقْدَمْتَ وَبَقِينَا
فَعَلَى إِثْرِهَا نَرُوحُ وَنَرْجُو^(٢)

ولا ينفك أبو حيّان في قصائده الأخرى عن تردّيد هذه المعاني، ونحسّ في جميعها بالألم الذي كان يعتصر قلبه والحزن الذي جعل عينيه تبكيان، ونشعر بكرهه للحياة وأمله في أن يلحق بابنته فيقول:

أَرْقَبُ الْمَوْتَ وَاسْتَبْطَئُهُ لِلَّيْلَةِ الْيَوْمَ أَتَى أَوْفِيَ غَدِ^(٣)

ونحسّ بعزوفه عن الناس، فلا يشعر بطعم الحياة بعد وفاتها فيقول:

عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ هَذَا السُّورِي
فَبِسَمْعِي صَمِّمْتُ إِنْ حَدَثُوا
كَيْفَ لِي عَقْلٌ بَأْنَ أَصْبَحُوهُمْ
لَا وَلَا أَسْمَعُ مِنْ الْفَاظِهِمْ^(٤)

وفي بعض قصائده حديثٌ عن مرضها وما كانت تعانيه في الأشهر الستة من حمى وسعال وسل أنهك قواها فمضت إلى بارتها قبل أن تتمتّ بجمالها وعلمها الجم الغزير. وقد تحملت الآلام لأنها مؤمنة بالله - عز وجل - إلى أن قضت نحبها يوم الاثنين فيقول:

^١ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٤٣.

^٢ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٤٤.

^٣ - نفس المرجع، ص ١٥٣.

^٤ - نفس المرجع، ص ٢٠١.

فما ضجرت يوما ولا اشتكت الضنى
قضت فجتها في يوم الاثنين بعدهما

ولا ذكرت عما تقاسي من اليأس
تبدى لنا قرن الغزال كالورس^(١)

ويقول:

قضت عندما لاحت ذكاء وأشرقت
لنا عوضا، وأقبح بها من معوض^(٢)

وضاقت الحياة بوجه أبي حيّان وترنّق صفو حياته وظل يردد:

أبعد نضارِ أبتغى صفو عيشة
لقد أشربت قلبي وطرقني وسمعي
واني معمور الزمان بشخصهـا
واعاهدت أني لا أزال إزاءهـا
إلى أن توافيـني من شعوب فنرتقيـها
لئن كان غير قد سها عن حبيـبهـا
وقد كـدرت يا بعد عيشي من الصـفو
ومالي من فـكر ومالـي من عـضـو
يـمثل ليـ فيـ الأمـسـ والـيـومـ والـغـدوـ
مـقـيمـاـ كـثـيـباـ دـائـمـ الشـوـقـ والـشـجوـ
مـنـ الـوـهـدـةـ السـفـلـىـ إـلـىـ الـعـالـمـ الـعـلـوـيـ
فـمـاـ أـفـاـ يـوـمـاـ عـنـ نـضـارـ بـذـيـ سـهـوـ^(٣)

فهو يبين ارتباطه الوثيق بها، وصلته المتنية التي لن تتفك يوماً أبداً، فهو سيظل بالقرب منها حزيناً مفجوعاً على رحيلها حتى توافيـهـ المـنـيـةـ فـيـلـحـقـ بـهـاـ، ولـنـ يـنسـاـهـاـ أـبـداـ ما دـامـ حـيـاـ
يـرـزـقـ. وـفـالـأـبـوـ حـيـانـ شـعـراـ عـنـدـمـاـ مـاتـ اـبـنـهـ قـاضـيـ القـضـاءـ شـرـفـ الدـينـ الـحرـاثـيـ^(٤) وـبـشـرـ
بـمـولـدـ ذـكـرـ مـنـ بـنـتـ الصـاحـبـ تـاجـ الدـينـ بـنـ سـلـيمـ^(٥) فـيـقـولـ:

هـنـيـئـاـ لـكـ النـجـلـ السـعـيدـ الذـيـ بـهـ
سـعـدـنـاـ لـقـدـ وـافـاكـ بـالـبـشـرـ وـالـبـشـرـىـ
لـئـنـ كـنـتـ قـدـ جـفـتـ بـرـوـضـكـ زـهـرـةـ
فـقـدـ أـطـلـعـ الرـحـمـنـ فـيـ أـفـقـكـ بـدـرـاـ^(٦)

^١ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ، ص ٢٩٩ ، الورس: بنت اصفر يكون باليمين.

^٢ - نفس المرجع: ص ٢٥٤ .

^٣ - ديوان أبي حيّان الغرناطي، ، ص ٤٠٩ .

^٤ - هو قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغني بن يحيى الخبلي، ولد التدرس بالصالحة واحتير لقضاء الختابلة، توفي سنة ٧٠٩ـهـ) النجوم الراهنة، ج ٨، ص ٢٧٨ .

^٥ - هو الصاحب تاج الدين بن الصاحب واسمه محمد بن محمد بن علي بن سليم توفي الراحلة، ج ٨، ص ٢٢٨ . انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، ص ٩٢ . بتصرف .

^٦ - ديوان أبو حيّان الغرناطي، ، ص ١٨٥ .

المطلب الثالث

صورة الحب يبة

اهتم الشاعر الأندلسي بذكر حبيبته في شعره ، لدرجة أن ما قيل فيها يتجاوز كثيراً ما قيل في الأم أو الزوجة أو البنت، فقد وجد الشعراء بفراقهم للحبيبة أنهم حرموا الحياة الهانئة بقربها، لأنها عندما ترحل تحمل معها زينة الحياة وبهجنها وبقربها منه تمنحه ذلك. "ولذا نراه يحاول جاهداً أن يبقى قريباً منها ملزماً لها حتى ليدفعه ذلك إلى الإحساس بأنّ قلبه يطير مسرعاً لاحقاً بالحبيبة التي فارقته. كانت الحبيبة بذلك موضع حرماني وشكواه فيقول ابن الخطيب من قصيدة له، واصفاً ما يقاسيه من حرارة الشوق ومرارة الحرمان^١ :

ما لقلبي اذا هفا البرق هنا
وصبا للنسيم من ارض لبني
وإذا ما الظلام حل عراه
عايد الشوق والغرام فجنا^(٢)

يصف ابن الخطيب في إحدى مقدماته غادة البين على عادة الشعراء القدماء، ويتسع في هذا الموضوع، فيصور لحظات الوداع، ويرسم مشاهد الرحيل والظعائن التي تتوارى عنه، ويتحدث عن نساء الظعن الجميلات وأحاديثهن وحوارهن، ويصور محبوبته ذات الجمال الساحر، فعيناها كعين الظبي، ووجهها كالهلال، وقدّها كالغرض، ويتحدث عن إحساسها بالألم والحرقة لمفارقة الشاعر :

بناظرتني ديم وسالفتي خشـف
غدائقـذ كتمـل بعضـ الذي تخـفي
هـلاـلاـ علىـ غـصـنـ وـغـصـنـاـ علىـ حـقـفـ
فقـائـلـتـ: سـحـيـ، وـقـائـلـتـ: كـفـيـ
وـأـفـطـعـ خـطـبـاـ منـ مـفـارـقـةـ الـإـلـفـ
ظـهـورـ المـطـايـاـ كـلـ فـاتـنـةـ الطـرفـ
عـلـىـ مـهـمـةـ تـسـفـيـ بـهـ الـرـيـحـ مـاـ تـسـفـيـ

أشـارتـ غـدـاءـ الـبـينـ مـنـ خـلـلـ السـجـفـ
وـأـبـصـرـتـ التـوـدـيـعـ حـقـاـ فـلـمـ تـطـقـ
أـمـاطـتـ عـنـ الـخـدـ اللـثـامـ فـأـطـلـعـتـ
وـقـالـتـ لـأـتـرـابـ لـهـ قـمـنـ دـونـهـاـ
أـخـلـايـ هـلـ طـعـمـ أـمـرـ مـنـ النـوـيـ
وـلـمـ تـكـ إـلـاـ سـاعـةـ وـتـسـنـمـتـ
أـمـالـواـ السـرـىـ قـصـدـ العـرـاقـ وـأـمـعـواـ

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٩٢ . بتصرف .

^٢ - الصيّب والجهام ، ص ٥٩٥ .

ودل عليهم من تخلف منهـم بما أودعوا طيب النسيم من العـرف^(١)

فالشاعر هنا يرسم صورة مؤثرة لبكائه خلف ظعائن الأحباب، ألا أن هذا البكاء لن ينفعه، ولن يعيد الماضي الجميل، والحنين الذي يبيّنه لن يشفيه من مواجهة الحب. وفي موضوع آخر يصور ابن الخطيب رحيل الأحباب – كما فعل القدماء – وما أثار ذلك في نفسه من الحزن والأسى فقال يصف يوم الفراق وارتحال المحبوبة عنه، وما خلفه فراقها في نفسه من مرارة وأسىًّا:

من أودع القلب الذي أودعا	ما ضرَّ لو سلم أودعا
هلا رعى عهدي كما أرعى	ضُنْ برجع الطرف يوم النوى
أسأل عنها الطل البليقعا	زم المطايَا وتخلفني
فصرت أبكيه وقلبي معا	وارتحل القلب على إثره
للله ما أحلى وما أفظعا	يا سائلِي كيف طعم الهوى
يهفو إذا ما صادح رجعا	كأنما في أصلعي بـسارق
لوعاج الشوق به أسرعا ^(٢)	كأنما دمعي إذا استنصرت

ثم يذكر لنا أنَّ الحبَّية لا تزال ساكنة في عقله ووجوده وإن طال البعد فيقول:

عنـا فـما زـلتـم بالـقـلـبـ سـكـانـا	أـحـبـابـنـا إـنـ نـأـتـ يـوـمـاـ دـيـارـكـم
نـفـوسـنـا، قـامـتـ الأـشـوـاقـ تـنـهـاـ	إـذـاـ دـعـتـنـا إـلـىـ السـلـوانـ بـعـدـكـم
إـنـسـانـ عـيـنـيـ لـمـ غـبـتـ أـعـيـانـا ^(٣)	وـمـ رـأـيـ يـاـ مـنـيـ نـفـسـيـ وـبـغـيـتـهـا

فالشاعر في هذه المقطوعة يوضح عن مدى حبه لها وصبره على البعد فأصبح حبهـاً أمراً من الصعب تغييرهـ وتلك سمة المحبين الأوقياءـ . ولقد كان يوسف الثالث محبـاً صادقاًـ في حبهـ ويظهر ذلكـ جليـاًـ واضـحاًـ من خـلـالـ غـزـلـهـ، فقدـ حـالـتـ الأـيـامـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـحـبـوـتـهـ، حيثـ عـاشـ فـتـرـةـ طـوـيـلـةـ منـ حـيـاتـهـ أـسـيرـاًـ فيـ المـنـكـبـ يـتـجـرـعـ الـآـمـ الـبعـادـ وـالـحرـمانـ يـحـلـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ

^١ـ لسان الدين بن الخطيب، ديوان الصيّب والجهام والماضي والكهان، تتح محمد الشريف قاهر، الجزائر، الشركة الوطنية، ١٩٧٣، ص ٦٢٤ – ٦٢٥ – الخشنـ: ولـدـ الـظـيـ – السـوـالـفـ: جـمـعـ سـالـفـةـ وـالـسـجـفـ: السـترـانـ بـيـنـهـماـ فـرـحةـ – حـقـفـ النـقاـ: كـثـيـرـ مـسـتـدـيرـ منـ الرـمـلـ. لـسانـ الـعـربـ مـادـةـ، (خـشـفـ)، (سـلـفـ)، (سـجـفـ)، (حـقـفـ).

^٢ـ نفسـ المرـجـعـ، صـ ٦١٣ – ٦١٤.

^٣ـ دـيوـانـ الصـيـبـ وـالـجـهـاـمـ وـالـمـاضـيـ وـالـكـهـاـنـ، صـ ٥٩٦ – ٥٩٧.

وطنه، ولقاء أهله وأحبابه وظلّ وفياً لمحبوبته، فيجد في الشكوى متنفساً لهمومه وآلامه التي ازدادت عليه في غربته وسجنه فيقول:

وقال ابن فركون يصف لوعة قلبه وأساه على بعد محبوبته عنه وأنّها بفعلها هذا قد
أُنْتَفَتْ قلبه ولم تصله لتخف عنده:

فِي الْحَرَى زَارَهُ الْعَطِيفُ مِنْهَا	الْكَرِي بِهِ وَالسَّهَدُ قَدْ أَلْفَ الْجَفَنَ
أَطَارَ فَوَادِي الشَّوْقِ بَعْدَ بَعْدِهَا	فَلَمْ يَتَخَذْ فِي الصَّدْرِ وَكَرَا وَلَا وَكَنَا
عَجِبْتُ لِهَا إِذْ أَتَلْفَتَهُ بَعْدَهَا	وَمَا اتَّخَذْتُ لَمَّا نَأْتَ غَيْرَهُ سَكَنِي
لَقَدْ عَذَرْتَنِي ثُمَّ ضَئَّتْ بِوَصْلَهَا	وَأَعْجَبْ شَيْءٌ عَاذِرٌ بِالْمَنِي ضَئِّنَا ^(٢)

وقال في موضع آخر يشكو بعد محبوبته عنه، وأنّها لم ترحم قلبها حين أُسْكنت الشوق
واللوعة بداخلة بسبب هجرها وبعادها، ورغم ذلك يؤكّد أنّه سيبقى محبّاً لها لا يريد سواها:

فَضَّلَتِ الْلَّيْلَى أَنْ تُطْلِيلَ نَوَاهِي	إِنَّ الَّتِي شَغَفَ الْفَوَادَ هُوَا هَا
قَلْبًا مَشْوَقًا لَمْ يَزِلْ مُثَوَّهَا	عَجَبًا لَهَا إِذَا تَلْفَتْ بِيَعَادَهَا
لَمْ يَدْرِ مَا مَعْنَى الْهُوَى لَوْلَاهَا	يَا لَيْتَهَا رَحْمَتْ مَعْنَى مَغْرِمَا
صَدَقُوا وَلَكِنْ لَا يَرِيدُونَ سَوَاهَا ^(٣)	زَعْمَ الْعَوَادُلَ أَنْ قَلْبِي عَاشَقَ

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٩٢.

^۲ - دیوان ابن فرکون، ص ۱۲۶.

^۳- دیوان این فر کون، ص ۱۶۸.

ويشكو أيضاً بعد محبوبته عنه وأنّ وصالها لا يتُم إلّا بالخيال والفكـر:
وظـيـة إـنـس لـيـس يـرجـي وـصـالـهـا
كـلـفـت بـهـا كـالـهـرـمـن الرـبـيـ
مـدـى الـدـهـر إـلـا بـالـتـوـهـم وـالـفـكـر
لـاـرـاق مـنـ بـشـرـوـمـاـرـقـمـنـذـشـرـ(١)

ورغم أنَّ ليلى محبوبة ابن فركون قد عذبتـه بهجرـها وصـدـها وعـدـم عـطـفـها عـلـيـهـ
بالوصـالـ إـلـاـ أنـَّ ابنـ فـرـكـونـ يـدـافـعـعـنـهـاـعـنـدـمـاـلـامـهـالـنـاسـفـيـحـبـهـلـهـفـيـقـولـ:

قلت هلا للعاشقين قلوب قلت فيها يستعبد التعذيب قلت مهلا فالاعطف منها رطيب قلت دون الوصال كيف يطيب ^(٢)	قال دعها وسل قلبك عنها قال قد عذبتـك هـجـراـ وـصـداـ قال لي قد تمـئـعـ العـطـفـ منـهـاـ قال هل طـابـ بـعـدـهـاـ لـكـ عـيـشـ؟ـ
--	--

ويصـوـرـ ابنـ خـاتـمـةـ هـلـعـ قـلـبـهـ وـقـلـةـ حـيلـتـهـ وـضـعـفـ وـسـيـلـتـهـ،ـعـنـدـ فـرـاقـ مـنـ أـحـبـ،ـ فـتـمـنـىـ
المـوتـ حـلـاـ لـمـاـ هوـ فـيـهـ فـيـقـولـ:

فياليـتـيـ مـيـتـ وـلـمـ أـتـعـشـقـ سـواـهـمـ وـلـوـ بـالـبـارـقـ المـتـائـقـ ^(٣)	تعـشـقـتـ فـيـ قـوـمـ غـرـابـ فـوـدـعـواـ وـيـاـ لـيـتـ عـيـنـيـ إـذـ رـأـتـهـ تـعـلـقـتـ
---	--

ويـخـبـرـناـ ابنـ خـاتـمـةـ المـعـذـبـ المـحـرـومـ أـنـ سـعـادـتـهـ لـاـ تـكـوـنـ إـلـاـ بـلـقاءـ المـحـبـوـبـةـ:

فقد نـالـ مـنـيـ فـوـقـ ماـ شـاءـهـ الـبـعـدـ وـقـدـ دـانـتـ الدـنـيـاـ وـقـدـ سـاـعـدـ السـعـدـ ^(٤)	عـسـىـ اللـهـ أـنـ يـحـيـيـ سـرـوـرـيـ بـقـرـبـهـ فـيـصـبـحـ قـلـبـيـ وـهـوـبـيـنـ جـوـانـحـيـ
--	---

وـكـانـ الشـاعـرـ الـمـلـكـ يـوـسـفـ الثـالـثـ وـفـيـاـ لـمـحـبـوـبـتـهـ،ـ مـتـمـسـكاـ بـهـاـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ بـقـائـهـ وـحـيـدةـ
فـيـ قـلـبـهـ،ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـمـاـ قـاسـاهـ مـنـ غـرـبـةـ وـبـعـادـ وـحـرـمانـ،ـ فـلـوـفـاءـ مـنـ طـبـعـهـ،ـ وـهـوـ يـفـتـخـرـ بـهـذاـ
الـوـفـاءـ كـثـيرـاـ فـيـ شـعـرـهـ فـيـقـولـ:

^١ نفس المرجع، ص ٢٤٨.

^٢ نفس المرجع: ص ٢٥٧.

^٣ ديوان ابن خاتمة الأنصارى، ص ٨٤.

^٤ نفس المرجع: ص ٥٥.

إذا بان من أهواه عنِي أو صدًا
وقطرد عن قلبي الصباية والوجدا
ولا أن يغيب الخل أنقضه العهدا
فلا تخشين صدًا ولا ترهبن بعدها^(١)

خليلى هل للقلب في العيش راحة
فروفيته تهدى المنى بجوانحى
فلا تحسبني قد سلوت عن الهوى
وفائى وودى ما علمت طبيعة

ويؤكد لمحبوبته أنّ ودّه صحيح ثابت، لا تبدلّه الأيام، وهو بعدها لا ينظر إلى امرأة أخرى، فهي وحدها تشغّل قلبه وفكرة فيقول:

جديد وحالى بعدكم لا يغير
ولا راقني من سائر الناس منظر^(٢)

أحبابنا والود باق كعهدكم
ووالله ما حالت بي الحال بعدكم

إنّ المرأة الحبيبة عندما كانت تفارق حبيبها تحمل معها زينة الحياة وبهجتها وتحرم حبيبها من أنْ ينعم بحياة جميلة هائلة بقربها، إذْ هي التي تمنّح حياته الزينة والبهجة، فابن الخطيب يصوّر همومه وأحزانه وآهاته في ليله ونهاره جرّاء بعد محبوبته فيقول:

فرق عندي بين صبح وعشا
أمتطي من نار شوقي فرشا
مات الأرض لما بي دهشا^(٣)

بعث فيك النوم بالسهد فلا
كم ليال بت في ظلمائها
كلما صحت بها واكبدي

ويصوّر ابن فركون ما يعتريه من أحوال الحب جرّاء الفراق، وما يعتمل في داخله من شوق وصباية، ويشبّه تلك الأحوال وغضيانها له بالجيوش الراحفة فيقول:

فأنجد ما بين الضلوع وأتهمما
فأصبح في أيدي الصباية مغنمًا^(٤)

ويا لغرام قد ثوى بجوانحـي
غزت قلبي المضنى المشوق كتائب

^١ - ديوان ملك غرناتة يوسف الثالث، ص ٣٢.

^٢ - نفس المرجع: ص ١٨١.

^٣ - الصيّب والجهم، ص ٦٥٣.

^٤ - ديوان ابن فركون، ، ص ٢٦١.

"ولقد لجأ الشعراء المحبون إلى إرسال الرسائل إلى حبيباتهم لعلم يظفرون منها برد يخفف عنهم مراة الفراق، فقد انتشرت هذه الظاهرة بين شعراء العصر الغرناطي، وكان أكثر وضوحاً وشيوعاً في غزل الشاعر الملك يوسف الثالث، رسائله التي وجهها إلى محبوبته وهي تعكس صدق عواطفه وترصد انفعالاته^١، وتكشف عما يختلج في نفسه من مراة وحسرة، فهو في إحدى رسائله يصور معاناته، يحكى حكاية قلبه الموله فيقول:

غراما وأجفاني من الشوق تدمع يكاد إذا سكنته يتقطع أناجييك بالأشجان من حيث تسمع وعندي منبودة لديك منضي مع ^(٢)	كتبت وأحسائي من الوجد تلتقطي ولي فيك قلب قد أضر به الجفا تمثلك الأسواق حتى كأنتي فعهدك محفوظ لدى رعيته
---	---

ومثل هذا ما كتبه في رسالة أخرى، يبوح فيها لمحبوبته بعشقه وهياته:

يروح ويغدو هائم القلب متعبا وحبل هوى بعد الفراق تقضها فيسهل من أمر الهوى ما تصعبها يحبك ما غنى العhamam فأطربها ^(٣)	كتاب محب ناحل الجسم مدنف تذكر وصلا قد تصرم عهده ألم يأن المشتاق أن يبلغ المنى عليك سلام الله من ذي علاقة
---	---

ويبدو أن المحبوبة قد انشغلت عنه، ومالت إلى الصد والجفاء، وكثيراً ما تدخل رسائلها عليه فيعاتبها لفرط صدورها، ولتأخرها في الرد على رسائله فيقول:

لطارق طيف أو لبعث كتاب صدور ملام لا صدور عتاب ولا سهرت يوماً لذكر تصاب وقد بخلت حتى برد جواب ^(٤)	كفى حزناً أن لا أرى وجه حيلة ولا أمل إلا وظل يروعه ومحبوبية بالقصر لم تدر ما الهوى أخادع فيها النفس بالوعد والمنى
--	--

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهاדי ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٩٩. بتصرف .

^٢ - ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، ص ١٧٤.

^٣ - نفس المرجع، ص ١٨٠.

^٤ - ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص ٦.

وأما رسائل المحبوبة إليه فكانت قليلة جداً، وهي تدور حول موضوع واحد، حيث تتهمه بالغدر وتعمد الهرج، غير أنه ينفي مزاعمها، ويؤكد صفاء وده فيقول:

لقطعـيـعـ أـسـبـابـيـ منـ الخـفـقـانـ سوـيـ خـبـهـاـ مـالـيـ بـذـاكـ يـدانـ وـهـلـ مـنـ هـوـيـ يـلـقـىـ بـغـيرـ هـوـانـ^(١)	وـخـطـتـ بـيـمـنـاـهاـ كـتـائـبـ أـرـهـفـ تـبـالـغـ فـيـ التـأـيـبـ مـنـ غـيرـ رـبـةـ فـيـ سـامـعـ الشـكـوـيـ لـعـلـكـ عـاذـرـ
--	---

ويشير هؤلاء الشعراء في ركاب الق Kami حين يستخدمون الريح وسيلة للإرسال والاستقبال، وإيصال الرسائل واستلامها. فابن الخطيب يحمل الريح المتوجه صوب ديار الحبيبة أخباره وتحياته المفعمة بالشوق والحنين فيقول:

إـنـ أـتـيـتـ الـرـيـحـ أـوـ جـهـتـ حـمـاهـ تـبـدـأـ الـرـيـحـ بـتـقـبـيلـ ثـرـاهـ^(٢)	يـاـ نـسـيمـ الـرـيـحـ بـلـغـ خـبـرـيـ وـاقـرـ أـحـبـابـيـ سـلـامـيـ بـعـدـ آـنـ
---	---

وينتظر ابن فركون أن تبعث المحبوبة سلاماً مع الريح، لعله يشعر بالطمأنينة، والراحة فيقول متمنياً:

لـيـنـفـعـ قـلـبـاـ جـمـرـهـ قـدـ تـضـرـمـاـ^(٣)	وـيـاـ لـيـتـهـ تـهـدـيـ سـلـامـاـ مـعـ الصـباـ
---	--

ويطلب ابن خاتمة من النسيم الساري أن يمرّ بديار الحبيبة، ويزف إليها شيئاً من أخبارها فيقول:

بـحـمـاـهـمـ حـدـثـتـنـيـ الـأـخـبـارـاـ حـبـذـاـ السـاـكـنـوـنـ تـلـكـ الـدـيـارـاـ نـورـعـيـنـيـ،ـ الـجـآـذـرـ الـأـقـمـارـاـ أـمـ أـنـاخـواـ بـهـاـ وـقـرـواـ قـرـارـاـ^(٤)	يـاـ نـسـيمـ سـرـىـ لـأـقـرـبـ عـهـدـ كـيـفـ غـرـناـطـةـ وـمـنـ حلـ فـيـهـاـ كـيـفـ أـحـبـابـ مـهـجـتـيـ رـوـحـ روـحـيـ هـلـ لـهـمـ مـنـ تـشـوـفـ لـإـيـابـ
---	--

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث: ص ١٢٩.

^٢ - الصيّب والجهام، ص ٦٥٥.

^٣ - ديوان ابن فركون، ص ٢٦١.

^٤ - ديوان أبي خاتمة الأنصارى، ص ٦٨-٦٩. الجاذر جمع حؤذر وهو ولد البقرة.

ويذوب الشاعر الملك يوسف الثالث حينيناً وشوقاً، فإذا به يتعلق بالريح، ويرجوها أن تبلغ
أشواقه إلى حبيبته فيقول مناجياً:

أيلقى سلامي من حبيب قبولي ديارا خلت مني فهن طلـول فإن به أهل الحبيب حلـول له آثـة لا تنقضي وعوـيل وشـوق باـحناء الضـلـوع يـجـول ^(١)	فـبالـله يـا رـيحـ الـجنـوبـ تـأـمـلـي وـانـ جـلتـ بـالـحـمـراءـ فـاقـريـ تـحـيـتـي وهـبـيـ عـلـىـ القـصـرـ الـكـبـيرـ عـلـيـلـةـ وـقـوليـ غـرـيبـ أـتـلـفـ الـحـبـ قـلـبـهـ خـلاـمـنـ سـوـيـ الأـشـجـانـ وـالـوـجـدـ قـلـبـهـ
--	--

فهذه حسرة شاعر مصاب في هواه، حاول أن يشرك الطبيعة معه في أنساه فناجاهـاـ،
واتخذ من النسيم وسيلة للتعبير عن وجده وشغفـهـ بـحـبـيـتـهـ.

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٩٢ - ١٩٣.

المطلب الرابع

صورة التذلل للمحبوبة

جاء في كتاب الزهرة للأصفهاني : " إن التذلل للحبيب من شيم الأديب... والحازم من صبر على مضايقة التذلل والتمس العز في استشعار التذلل فحينئذ يتمكن من وداد محبوبه، ويظفر من هواه بمطلوبه " ^(١) .

والمعشوقة كما ينعتها هؤلاء الشعراء، " هي القاسية الممنوعة في الصدّ والهجر وتعذيب الحبيب، فقد تطمعه ثم تتنمّع، وتعده ثم تماطل وهو لا يستطيع هجرها والبعد عنها، ولا يتصور كيف تكون الحياة بدونها " ^(٢) . ويقول ابن الخطيب في إحدى قصائده شاكياً همومه، ومتحدثاً عمّا آلت إليه الحال، ومستعطفاً كي تجود عليه بالوصل والحب:

يَا ملْبِسِي ثُوبَ السَّقَامِ وَتَارِكِي رَحْمِي وَلَا تَنْتَظِرْ لِسُوءِ صَنيعِ مَا قَلَ يَكْثُرُ مِنْكَ عَنْدَ قَنْوَعِي ^(٣)	عَامِلٌ بِمَا عُودْتَ مِنْ لَطْفٍ وَمِنْ وَاعْطَافٍ عَلَيِّ وَجَدْ بِأَيْسِرِ نَائِلٍ
---	--

فكأنّما هو في هذه الأبيات مسكين يستعطف، يرضي بالقليل منها الذي سيقنعه بقربها منه. ويتهم الملك الشاعر يوسف الثالث حبيبته بالبخل والتمنم، ويطلب الرحمة كالعبد المستجير بقوله:

فَلَمْ تَسْعِيْ مِنْ جَاءَ بِالذَّلِّ مُضطَرِّا يَضَاعِفُ لِي الْبَلْوَى وَيَجْرِي لَكَ الأَجْرَا فِيهِنِيكَ أَنْ عَادَتْ ضَلَوْعِي جَمْرَا ^(٤)	مَدَدْتَ يَدَ الْمَضْطَرِنَ حَوْكَ ذَلَّة وَمَا ضَرَّ ذَلَّكَ الْحَسْنُ لَوْ مِنْ بِالذِّي أَرْدَتْ بِطُولِ الْبَخْلِ إِشْعَالَ لَوْعَتِي
--	---

إنه ملك مرهوب الجانب، كريم الشمائل، ومع هذا تألم وتوجع وبكي وتفاني في سبيل المحبوبة، إذ نلحظ في شعره كثيراً من الاستعطاف والتذلل.

^١ - أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، الزهرة ، تج ابراهيم السمرائي ، ط٢ ، الزرقاء، مكتبة المنار ، ١٩٨٥ م، ص ٥٢.

^٢ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الاندلسي في ظل بنى الأحر ، ص ١٠٢ . بتصرف .

^٣ - الصيّب والجهام، ص ٦١٦ .

^٤ - ديوان ملك غرنطة يوسف الثالث، ص ١٧٧ .

فيوسف الثالث - وهو الملك الجليل - يعلن إذعانه وخضوعه لأوامر المحبوبة، فهي وحدها سيدة مصيره فيقول:

فقولوا الذي شئتم فعرضي لكم حل
فلا قود يخشى عليكم ولا عقل
وجوروا فإن الجور منكم هو العدل^(١)

رضيت بما ترضون في الأمر كله
وأحيوا إذا شئتم حياتي أو اقتلوا
وصدوا فإن الصد منكم هو الرضا

إنه يخضع للمرأة إلى حد الإذلال، ويتهالك في الحديث عنها، ويستصغر ملكه أمام عاطفته وسلطان وجده، وهذه سمات تبرز بوضوح في غزل الملك يوسف الثالث. وأشعار ابن فركون تؤكد هذا الاتجاه، فهو يرضى بما ترضاه المحبوبة له إذ يقول:

وان أساءت يا حسان أجازيها^(٢)

أنا الذي حين تقصيني أقربها

ويخاطب ابن الجياب محبوبته نجمة معلناً نفسه تابعاً أميناً لها فهي بموجب شريعة الحب سيدة مصيره والأمرة الناهية التي لا يردد لها طلب فيقول:

بشرع حب وما للشرع تغيير
لدي أو تحسني فالفضل مشكور
ملك القلوب له حكم وتدبير^(٣)

فأنت مملوكتي رقا ومالكتي
فإن تسيئي فإن الذنب مغتفر
أطيعها وهي ملكي إن ذا عجب

ويترك البسطي الأمر للمحبوبة، فهو يرجو رضاها، ويؤكد حبه وإخلاصه لها فيقول:

ومن رضاها إلى القصد والطلب
روحى بجسمي مالي عنك منقلب^(٤)

فقلت يا منتهى سولتي ويا أ ملي
الحبا أرعى لذاك الحسن ما بقيت

وابن خاتمة يجعل من صاحبته التي يحبّها أميرة يؤمرها على نفسه بل هي الحكم الذي لا ينقض له حكم مهما كان حكمه فيقول:

^١ - ديوان ملك غرنطة يوسف الثالث، ص ١٩١ - ١٩٢.

^٢ - ديوان ابن فركون، ص ٢٦٠.

^٣ - ديوان ابن الجياب، ص ٢٧٤.

^٤ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٦١.

أنت الأمير وانت خصمي فاحكمي لي أعلى فلن أسائل ذاتك^(١)

وهو لاء الشعرا يستعدبون الشقاء في الحب، ويجدون المتعة في التذلل للمحبوبة، وهذه سمة نجدها عند العذريين في كل عصر. وفي طوق الحمامنة روايات تدل على ما يستشعره المحبّون من لذّة التضحيّة، واستعذاب تباريحة الهوى فيقول ابن حزم: "ولقد علمت أنَّ فتى من بعض معارفي قد حلَّ في الحبِّ، وتورط في حبائهن وأضرَّ به الوجد، وأنضجه الدُّنف، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء إلى الله عز وجل في كشف ما به، ولا ينطق به لسانه، وما كان دعاؤه إلَّا بالوصال والتمكن ممَّن يحب على عظيم بلائه وتطويل همه، فما الظن بسقير لا يريد فقد سقمه! ولقد جالسته يوماً، فرأيت من إكبابه وسوء حاله وإطرافه ما ساعني، فقلت له في بعض قوله: فرج الله عنك، فقد رأيت أثر الكراهة في وجهه.^(٢)

^١ - ديوان ابن حاتمة الأنباري، ص ٨٧.

^٢ - ابن حزم: طوق الحمامنة، ضبط نصه د/ الطاهر احمد مكي، ط ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، م، ص ٦٨ - ٦٩. و انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسى في ظل بنى الأحمر ، ص ١٠٤ . بتصرف .

المطلب الخامس

صورة العلاقة

بين العشاق والمجتمع

غالباً ما يعيش المحبون وسط عالم مليء بالحساد والرقباء الذين يسعون لتعكير صفو علاقة المحبين ببعضهم البعض، فلقد سعى الوشاة للتفرق بين الشاعر الملك يوسف الثالث ومحبوبته، فإذا بها تسمع لأقوالهم وتتقلب وتميل إلى الصدّ والجفاء، ومن هنا نجده يُعرض بالرقباء والوشاة كثيراً في شعره يقول من قصيدة له معاذياً محبوبته لتغييرها عليه، ومعرضاً بالوشاة الذين كانوا سبباً في صدودها وجفائها:

أتوك بزور بين وكذاب	حسبت مقال القوم صدقوا وإنما
وأنعمت عذالي بطول عتاب	صددت وأشتمت العداة بهجرنا
وكان بغیر الهرج منك عقابي	وهلا بقدر الذنب كنت جزيتني
مراد وشاتي أن تطيل عذابي ^(١)	فلا تقبلن قول الوشاة فإنما

وهو يُعرض بالعذال الذين سرّهم ما كان يعانيه من بكاء وسهر وألم:

وعهدي بالعدل لا در درهم ثغورهم من عبرتي تتبسئ^(٢)

ويرجو الحبيبة أن تتعطف عليه بالرضا ليكيد هؤلاء الوشاة:

وأني لأرجو من رضاه تعطاها ليرغم واش بالرضا ورقيب^(٣)

ويطلب منها أن تترى في أهابيل هؤلاء الوشاة، وأن تتبذل أقوالهم وما لفقوه من أكاذيب، كما يفعل هو، ويؤكد بقاءه على العهد محبأ لها رغم سعيهم في التفرق بينهما فيقول:

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٧٥.

^٢ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٢١.

^٣ - نفس المرجع ، ص ١٢

مراد قلبي أن أحظى بودكم
وأن يكون رهينا طوع وعدكم
لما عدمنت اصطباري يوم بعدكم
قال الوشاة بأني خنت عهدكم
فلا وحقك ما كان الذي زعموا

راموا التقطاع عنك إذ قطعتهم
ونمقوا زورهم لما منعتهم
صرفت سمعي عنهم لأنسعتهم
وأنت يا سؤل قلبي إن أطعتهم
^(١)
أثمت في كما في قولهم أثروا

وابن خاتمة يعصي في حبه محبوبته العذال واللوم، ولا يلتقت لشخص غير شخصها
فيقول:

نهاني عنها عذلي فعصيتهم
فيما غيهم فيما أتوه، وبأنا رشدي
حرام على قلبي غرام بغيرها
وإن جل ما ألقاه فيها من الوجود^(٢)

ويطلب منها أن تعرض عن الرقباء، كما يفعل هو، ويعصي عوادله فيقول:

الله يكفي عاذلي ورقبيها
حتى تثيب على الهوى وأثيبها
ما كان ضرر وقد عصيت عوادلي
إن لم تكن تعصي كذلك رقبيها^(٣)

وابن الخطيب يحذر محبوبته من العذال، ويطلب منها أن لا تصغي إلى أقوالهم، لما
فيها من كذب وافتراء فيقول:

يا سامعين من العذال إفكهم بالله لا تسمعوا زورا وبهتانا^(٤)

ويحدثنا ابن فركون عن سعي الوشاة في التفريق بينه وبين المحبوبة، إذ اتهموه بأنّه
ملّها، وانشغل عنها، لكنه، يؤكّد إخلاصه لها، ودوام هذا الحب في قلبه فيقول:

وقد زعم الواشون أني تارك
هواها ومرآها وأصبر مرغما

^١ - ديوان ملك غرنطة - يوسف الثالث، ص ١١١ - ١١٢.

^٢ - ديوان ابن خاتمة الأنباري: ص ٤٧.

^٣ - نفس المرجع، ص ٦٤.

^٤ - الصيّب والجهم، ص ٥٩٧.

فُطِنْتَ بِأَنِّي قَدْ سَلَوْتُ عَنِ الْهُوَى
وَهَيَّهَاتٌ يَمْحُوا الْدَّهَرَ أَوْ يَنْسِطُ الْعُدُى
وَأَنِّي إِذَا لَا أَسْهَرُ اللَّيلَ مُغَرَّرًا
لَهَا فِي حَصَّةِ الْقَلْبِ مَا قَدْ تَرَسَّما^(١)

وهو لا يبالى عذل العاذلين، ولا يغير أدانا صاغية لمن ينهاه عن حبّها، فهذا اللوم لا
يزيده إلاّ تعلقاً بحبيبته فيقول:

جَمْرَهُ فِي جَوَانِحِي مَشْبُوبٌ
قَلَتْ: مَا لِي مِنْ بَعْدِهَا مَطْلُوبٌ
قَلَتْ: هَلَالِ الْعَاشِقِينَ قُلُوبٌ
فَلَهُ طَيِّبٌ أَضْلَاعِي تَقْلِيبٌ^(٢)

وَعَذْلُ جَفَا وَلِلْقَلْبِ وَجَدَةٌ
قَالَ لِي: أَيْ مَطْلُوبٌ تَبْتَغِيهِ
قَالَ: دَعْهَا وَسْلَنْ قَلْبَكَ عَنْهَا
أَصْبَحَ الْقَلْبُ عَاشِقاً فِي حَلَاهَا

فقد لجأ ابن فركون إلى أسلوب الحوار بينه وبين الواشي حين طلب منه أنْ يترك
التفكير بمحبوبته وأنْ يصرف تفكيره إلى غيرها، لكنه ردّ عليه أنه ليس له إلاّ قلبٌ واحدٌ
متعلق بها.

^١ - ديوان ابن فركون، ص ٢٦١-٢٦٢.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٥٧-٢٥٨.

المبحث الثالث
صورة المرأة
في الأغراض الشعرية الأخرى
المطلب الأول
صورة المرأة في المديح والتهنئة

يشكل شعر المديح مساحة كبيرة من الشعر العربي منذ أقدم العصور، حتى أنها لا نكاد نجد شاعراً عبر العصور العربية لم يمدح بشكل أو باخر، وقد توجه الشعراء إلى مدح المرأة فيما تفوقت فيه من مجالات، فنجد عبد الكريم القيسى يمدح امرأة بحسن جمالها وروعة نظمها من شعر ونشر وبلاغة لسانها وقدرتها على التنقيح والسبك فيقول:

فأصبح مشفوفاً بها كل ناظر تفوق على مرقى النجوم الزواهر وصحّة مداها عقود الجوهر لدى كل نقاد لذى النقد ماهر فقد أعجزت في عصرنا كل شاعر ^(١)	جلت بعد حجب حسنها للنواظر عقيلة آدابها ببلغتها افتقدت دون مداها في براعة نظمها وفي السبك والتنقيح قلن مثالها وأما معانيها لطفاً اختراعها
---	--

فالشاعر هنا يبدي إعجابه واحترامه لهذه المرأة الأدبية، أما صفاتها التي مدحها الشاعر فهي أنها من أهل الأدب في بلاغة نظمها، وجملها قوية في السبك والبناء حيث شبهها بعقد الجوهر ذي الترتيب الجيد، ومعانيها التي أعجزت الكثير من الشعراء عن الإتيان بمثلها.

ويقول ابن الخطيب مادحاً ابنة السلطان صاحب تونس وموجهاً الكلام على زوجها عامر بن محمد بن علي بأنه تزوج أفضل النساء وإنها كريمة الأصل والنسب من بيت معروف بالشهرة والحسب فيقول:

^١ - ديوان عبد الكريم القيسى، ص ٣٥٩. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، وانظر صورة المرأة في الشعر الأندلسى في ظل بنى الأحرر، ص ١٠٩ . بتصرف .

رعيت له حق الذمام المؤكدة
عزيز على النفس الكريم المجد
طريقا فتمشي فوق صرح ممزد
موحدة رفت لخير موحد
سعودك تترى بين مثنى وموحد^(١)

وجددت نصر العجد في ابن ابنة الذي
عقيلة ملك فزت منها بطاليل
فلو أنصفت فوق العيون ابتغوا لها
وفي نسبة الأشياء يظهر حسنها
فهناك الله الإيات ولا انقضت

كما نجد عند شعراء المدح ما يسمى بظاهر لف الغزل بالمدح، إذ يميل المادح بصورة مدوحة إلى واحدٍ من معالم الجمال المعتادة في أحاديث الغزل، فهذا الشاعر ابن فركون يمدح محبوبته مبيناً طيب رائحتها وحسن شمائلها فيقول:

منها فأحيا النفس إذ حياما فأبيت من كلف بها أرعاها تركت فؤادي هائما بحلاما ^(٢)	عهدي بها والطيب يذكرى عرفه تحكي الكواكب رفعه وتهلا للله ما أحلى شمائلها التي
--	--

ومن الشعراء من راح يمدح أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ابن الجياب يمدح عائشة بنت أبي بكر وخدية بنت خويد وابنتها فاطمة الزهراء رضي الله عنهن فيقول:

فخر العظيم الرتب فربيت أهل الكذب ذات العلي والنسب ربة بيت النصب	عائشة التي لها الـ براهما الرحمن من و قبلها فاطمة وابدا بازكى منها
--	---

أما ابن زمرك فعاد إلى قدم التاريخ مدح ملكة سباً بأنها عابدة ساجدة لله ذاكراً بعض الصفات الحسنة لها فيقول:

وبيوتها من جملة السابعين ضللت بها من أمم مصريين عنها يتم القوت للأكلين ^(٣)	ساجدة في ليلاها كله مبصرة من غير عين وكم تعطي لمن يسألها قرصاة
---	--

^١ - الصيّب والجهام ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

^٢ - ديوان ابن فركون ، ص ١٦٨ .

^٣ - ديوان ابن زمرك ، ص ٢٣٠ .

وقد مدح أبو حيان الأندلسي زوجته بحسن آدابها، فقد شبهها بالغراس الطيب الذي لا يخرج إلا طيباً، وآدابها طيب يتزود به، كمثل تلميذ يأخذ من أستاذه أفضل الآداب والعلوم فيقول:

وأقطف من آدابه الرهريانعا
وأشتم ريحانا نجداً وزد
وها أناذا قد رحت منه مودعا فيا ليت شعري هل له بعد اغتندي^(١)

ويعادد الحديث عنها في مقطوعة أخرى واصفاً حسن أخلاقها ولين كلامها وحلهما، وبعدها عن كلّ كلام بذيء ومساعدتها لكلّ محتاج، ومعرفتها بأمور البيع والشراء فيقول:

تأثير من إيهام كلّ مشعوذ
ولين كلام ظاهر ليس بالبدي
ولا منعت رمزاً من جاء يحتذى
وأتماه من فحمة للرمز^(٢)
وزينة حلم عقلها ثابت فلا
وحازت لسحن الخلق خلقاً مدهثاً
فما دفست فها بغيضة غائب
وتعرف أجناس المبيع جميعه

وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية جنباً إلى جنب مع الرجل. إن نصيب المرأة من شعر المديح قليل جداً في عصر بني الأحمر، وذلك عائد لعدة أمور:

أولها: أولى الشعراء جُلّ مدائحهم لسلطين بنى الأحمر، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية التي عاشها شعراء غرناطة، حيث كثرت الفتن الداخلية واشتد سعيروها، وأضطر كثيرٌ من الشعراء إلى الوقوف في صف سلطانهم لتفوقة مراكزهم في الحكم وتدعمها، إما بداع الحب والإخلاص، أو نيل الحظوة والجاه لديهم، فمدحوهم بقصائد متعددة تؤكد شرعية خلافتهم ورضاء الناس عنهم.

ثانيها: عدم رغبة الشعراء بذكر النساء خاصة الحرائر حرصاً عليهم، ونساء الطبقة الخاصة لأنهم لا يملكون المرأة على ذكرهن خشية على أنفسهم. ومع أنَّ المرأة لم تقل من شعر المديح إلاّ القليل، فإنّها كذلك لم تقل من شعر التهنئة إلاّ يسيراً أيضاً. وقد شاركت المرأة الرجل في التهنئة فجعلها الشعراء جزءاً من التهنئة بالزواج عروسًا جميلةً ناسبت زوجها مقاماً

^١ - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٢.

^٢ - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٨.

وكرماً وحسباً^١ فهذا ابن الخطيب يُهْنِي عامر بن محمد بن علي بزواجه من ابنه السلطان صاحب تونس مبيّناً له أنها من خيرة النساء فيقول:

وفي نسبة الأشياء يظهر حسنها موحدة زفت لخير موحد
فهناك الله الأيات ولا انقضت سعودك تترى بين مشنى ومن وحد^(٢)

وقال أبو حيان مهنياً علي ابن قاضي القضاة شمس الدين السروجي^(٣) بعد قرائته على بنت قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، حين ذكرها أحسن ذكر وأروع وصف وأنها من بين ذي سيادة فيقول:

هنئاً بتأليف غريب نظامة لقد حارفي أو صافه نظم عارف
غدت شمس حسن بدر تم سيادة تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للظهور البتول وللرضا علي ونجلا الأكرمين الغطاري^(٤)

وقال ابن فركون مهنياً السلطان يوسف الثالث بمولودة وُهبت له:

ونعوت الوجود وغيث الثدى	هنئاً هنئاً إمام الهدى
لها شرف حاز أقصى المدى	وبشري بواfade قد أتت
رأت سيفه في الشرى أغمدا	لقد طلعت هذه عندما
أعظم وأكرم بها مولدا ^٥	فأين وأسعد بها طلعة

^١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ١١٢ . بتصرف .

^٢ - الصيّب والجهمان ، ص ٤٤٣ .

^٣ - هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني قاضي القضاة شمس الدين السروجي . توفي بالمدرسة اليوسيفية القاهرة سنة ٧١٠ هـ ، تاج الترجم : ص ١١ .

^٤ - ديوان أبي حيان الأندلسي ، ص ٢٩٩ ..

المطلب الثاني

صورة المرأة في الهجاء

يشكل الهجاء غرضاً من أغراض الشعر العربي كلّه، ويمثل نوعاً من أنواع الفن الغنائي فيه وقد يلجم الشعراء إلى هذا الفن الشعري لأغراض مختلفة: منها الاحتراف أي يتخذ الشاعر فن الهجاء وسيلة أو حرفة يرتق بها، ومنها المنافسة، بمعنى مساجلة شاعر لشاعر آخر، فيحاول كل منهما أن يتفوق على الآخر، ومنها الوضع الاجتماعي الذي يجعله يشعر أنّ الناس لا يأبهون بشخصه وقدره، ومنها ما يكون ناتجاً عن التكوين الجسمي للشاعر، يعني ما في خلقه وأوصافه من عاهة أو عيب أو تشويه أو نقص.^(١)

ويعرفه الدكتور محمد محمد حسين الهجاء بقوله: "الهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب.^(٢) ويأتي الهجاء في عدة صور: إما شتمية مؤذية، أو فكاهة مضحكة، أو نادرة طريفة، أو سخرية.^(٣)"

ومن خلال النظر في شعر النساء في هذا الاتجاه لم أجد شيئاً يذكر لهن إلا بعض المقطوعات التي عثرت عليها في ديوان عبد الكريم القيسى فقد هجا عبد الكريم القيسى زوجة أحد أصحابه ذاكراً صفات ذميمة لها، حيث إنها أصبحت عجوزاً كبيرة السن لم تعد قادرة على خدمته، كذلك إن عامل الزمن وتقدمها في السن غير من أوصاف وجهها فلم تعد جميلة، وأنه لا بدّ من أن يبحث عن غيرها، لهذا دعاه إلى تطليقها فيقول:

شكوت به عجوزاً أنت منها	وحيث لها بأوصاف قباح
بحالٍ ترجعي لها الاستحالـة	تناسب خلقها منها الرذالتـة
فلم تترك بما أبديت منها	مداعبةٌ لـي قول مقالـة

^١ - نافع عبدالله ، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي ، ط١ ، ١٩٨٤ م، ص ١٧ . انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ١١٤ . بتصرف .

^٢ - الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص ١٢ .

^٣ - الهجاء في الشعر العربي الأندلسي ، ص ١٠٧ .

فطالتها طلاق فتى كريم
فإن طلاقها رأي رشيد
تحقق رشده تلك الجلالـة^(١)

ويدعوه بعد ذلك إلى الإسراع في الزواج من غيرها، ولتكن فتاة صغيرة السن لما يلاقيه معها من نعيم ودلال فيقول:

ولا تطل التأيم بعد وانكح
فتاة تسـبـ الغـصـنـ اـعـتـدـ الـهـ
مـمـئـعـةـ بـيـبـيـتـ الصـبـاـ مـنـهـاـ
بـماـ يـلـقـاهـ شـاكـيـاـ اـعـتـلـالـهـ
تـحـبـكـ مـالـهـ أـحـبـتـ يـوـمـاـ
وـتـبـكـيـ إـنـ تـمـتـ عـنـهـ بـدـمـعـ
يـفـوقـ دـمـوعـ بـاـكـيـكـ المـسـالـهـ^(٢)

ف ERAH في هذه الأبيات يسوقه بصفات الفتاة الصغيرة وحرصها عليه وبكائها عند وفاته لتكون عاملًا مساعدًا للإسراع في التخلص من زوجته العجوز. وللشاعر عبد الكريم القيسي موقف ظريف من امرأة تدعى قسطلة ، إذ نراه يدعو بالسُّقْيَا للمنازل التي تسكن بها بسهولها وجبالها ووديانها، ويرجو أن ينهر المطر ويعم الخصب والخير، ومن الظريف أنه يدعو إلا وجود الغيث على قسطلة ولو ب قطرة ماء واحدة فيقول:

يا غـيـثـ عـاـهـ دـائـمـاـ مـنـ بـرـجـةـ تـلـكـ الرـبـوـعـ حـزـنـهـ وـسـهـلـهـاـ
وـلـاـ تـخـصـ عـنـدـمـاـ تـهـمـيـ بـهـاـ بـقـطـرـةـ قـسـطـلـةـ وـأـهـلـهـاـ^٣

وأبو حيان الغرناطي، يصور كيد النساء في عصره، ويطلب الاحتراز منهنَّ وعدم الثقة بهنَّ فيقول:

جـبـلـ النـسـاءـ عـلـىـ التـكـتـمـ فـاحـتـرـزـ مـنـ كـيـدـهـنـ وـاـنـهـ لـعـظـيـمـ
فـمـتـىـ تـعـفـ فـرـيـمـاـ عـقـتـ فـانـ تـهـمـلـ فـكـشـحـ يـسـتـبـاحـ هـضـيـمـ^(٤)

^١ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٤.

^٢ - نفس المرجع: ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

^٣ - نفس المرجع: ص ٣٧٧.

^٤ - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ٣٧٧.

المطلب الثالث
صورة المرأة
في الفخر والشكوى
والعتاب والرثاء

لم تذكر المرأة في الفخر كما ذكرت في الفنون الأخرى، باستثناء مقطوعات قصيرة قيلت في المحبوبة والابنة فقط، فهذا أبو حيان الغناطي الذي كان يحب ابنته نضار ويعزّها كثيراً لأنها كانت عالمة معربة مؤدبة، قال أبياتاً يفخر بابنته وتحدّث عن ذكائها وعلّمها الرجح وحيائها ونظرها في علوم الفقه والحديث والنحو والتاريخ فيقول:

لم يكن للنظار يوماً نظير	في ذكاء لها وعقل رجيح
وحياءً وحسن ملقي وخط	بارع نادراً ولفظه فصيح
نظرت في العلوم فقه ونحو	وحاديث عن الرسول صحيح
ولكم طالعت تواريط ناس	فاستفادت عقل الحكيم النصيح ^(١)

وعبد الكريم القيسي يفخر بمحبوبته التي أحبها وهي بنت أربع عشرة من عمرها، حيث راودها عن نفسها في خلوةٍ فتمنعت وظهر عليها الخجل فيقول:

راودتها عن نفسها في خلوةٍ	وقد اكتست وجنانها ورد الخجل
فرنلت إلى من الحياة بمقلةٍ	فتانة ما كحلها إلا الكحل ^(٢)

وافخر بعضهم بأخلاق محبوبته، وهذا الفخر يعود على الشاعر نفسه بالمدح، فهذا ابن خاتمة يفخر بمحبوبته حيث شبه أخلاقها العالية بأخلاق أهل الجنة فيقول:

^١ - ديوان أبي حيان الغناطي، ص ١٤٣ - ١٤٤ . انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرر، ص ١١٦ . بتصرف .

^٢ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٨ .

لولا تجنيه قلت: الخلد منشأه وأن رضوان في الفردوس زناه^(١)

ومن خلال النظر في شعر الفخر الذي قيل في النساء نجد أن هذا اللون من الشعر كاد أن ينعدم لدى بعض الشعراء، فقلما نعثر على قصيدة مستقلة في هذا الفن، عدا بعض المقطوعات والأبيات المنتاثرة في غرض المديح خاصة، وهذا عائد إلى انشغال هؤلاء الشعراء بمديح ملوكهم وإسرافهم في هذا اللون الشعري^٢. وسادت صورة الزوجة شعر اللوم والعتاب، فقد لامت زوجة ابن زمرك زوجها على إسرافه وتبذيره وابن زمرك يرد عليها بأنه قد جُبل على الجود منذ طفولته:

الائمي في الجود والجود شيمي
جلبت على آثارها يوم مولادي
ذريني فلو أني أخلد بالغنى
لકنت ضنيناً بالذي ملكت يدي^(٣)

ولقد كان لشعر الشكوى من المحبوبة النصيب الأوفر من هذا الشعر، عن آلام الحب وأوجاع الشوق وتباريحة الجوئ، ووصفوا آهاتهم وسهرهم ودموعهم وكآبتهم، بسبب الحرمان والرغبة في لقاء من يحبون. فيشكو الشاعر ابن زمرك من محبوته التي تضنّ عليه حتى بنظرة منها مع أنه مشتاق لتلك النظارات يقول:

يضنّ على عيني الحبيب بنظره
وعيني بدر الدمع في حبه تسخو
ومن فسط السلوان صفقة حبه
صفقة حبي ليس يدركها فسط
ومن نسخت أيدي النوى عقد وده
عقد ودادي ليس يدركه نسطا^(٤)

ويبيّن لها:

^١ - ديوان أبي حاتمة الانصاري، ص ٥٩.

^٢ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسى في ظل بنى الأحمر ، ص ١١٨ . بتصرف .

^٣ - ديوان ابن زمرك، ص ٣٨٤ .

^٤ - نفس المرجع، ص ٢٥٧ .

أَنْ لَوْ عَطَفْتَ بِنَظَرَةِ الْمُتَرَحِّمِ
مِنْ مَقْلِتِيْكَ وَأَنْتَ لَمْ تَتَأْمِي
فَوَهْبِتُ لِحَظَّكِ مَا أَحْلَكَ مِنْ دَمِيٍّ^(١)

ما ضر إذ أرسلت بنظرة فاتك
فرأيت جسما قد أصيّب فؤاده
ولقد خشيت بأن يقاد بجروح

وَبَعْدَ أَن نَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظَرَةً تَرَحِّمَ يُشَكُّو عَيْنُهَا الَّتِي جَنَّتْ عَلَى قَلْبِهِ، وَيُشَكُّو عَذَابَهُ فِي حُبُّهَا
فِي قَوْلٍ:

ويشكو أبو حيان بعد محبوبته وهجرها له، ويقول بأنها أُسْكِنَت الشوق واللوعة داخل قلبها ولا يريد أن يصرّح باسمها حتى لا تتبعها عيون الحساد والرقباء فيكيدوا لها وسيظل يقترب منها على الرغم من جفافها منه فيقول:

وثني الأسى عندى وانسى راحا
ومن الإشارة ما يكون صراحًا
ويروم عنى جفوة وجماحًا
ولكم بأرواح آثار جراحًا
^(٣) دامت ومدت للوصال حناحًا

كتم اللسان، ومدمعي قد باحا
وبمهجتي من لا أصرح باسمه
ريم أروم حنوه وجنوحه
عجباله يأسو الجسوم بطبعه
يا حستها من ليلته لو أنها

فالشاعر هنا يبين لها أنه لم يعرف طريق العشق إلا من خلالها، فكان لزاماً عليها أن ترحم قلبها وتضع حداً للامه ثم يشكوا لوم محبوبته له بأنه دائم الهرج لها، ويردّ عليها بأنه مطيع لأمرها فيقول:

^١ - دیوان ابن زمرک، ص ٤٨٤.

٢ - نفس المرجع، ص ٢٦٠.

^٣ من شعر أبي حيان الأندلسي، ص ٦٤ . انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر، ١٢٠ يتصرف.

إذا الأفق لم يسمح برأيق بدرها أعلل قلبي المستهام بذكرها
 ومن عجب، أني مطيع لأمرها وتزعم أني لا أبالي بهجرها
 وأن الهوى مني خداع لها يجري^(١)

وأخيراً يشكو بعد الحبيبة عنه، وأن وصالها: لا يتم إلا بالخيال والفكير فيقول:

مدى الدهر إلا بالتوهم والفكير
 (٢) لما راق من بشر وما رق من نشر وظبيهة إنس ليس يرجى وصالها
 كلفت بها كالزهر والزهر في الربي

ويشكو عبد الكريم القيسي بعد محبوبته عنه، فقد حالت الأيام بينه وبين محبوبته حيث عاش فترة طويلة من حياته أسريراً، يتجرع غصص البعد والحرمان، وراح يبحث محبوبته فاطمة أشعاره التي وجد فيها متنفساً لآلامه الحبيسة^٣. وأشعاره في فاطمة تكشف عن شعور عميق وصدق إحساس فيقول وهو قيد الأغلال:

يا راحتا الروح في أسرى واطلاقي وسلوة النفس في وجدي وإطلاقي
 وما سواك له قلب بمشتاق فما هو لك بغير القلب مسكنه
 أسرى يهيج أشجانى وأشواقى والأسر إن كان يسلى ذا الهوى فانا
 بطيب عيش وارفاد وارفاق إذا ذكرت زماناً كان يجمعنا
 لكن قلبي بنار الشوق خفاق^(٤) أطير من فرط أشواقي إليك هوى

فالشاعر في هذه الأبيات يبين مدى حبه وإخلاصه لفاطمة، لا يسليه عنها البعد، ولا ينال من جذوة وجده بها ما يعتنج من مرارة وحرمان. ويعود البسطي ليشرح معاناته من جراء حبه لفاطمة فيقول:

وما أعنانيه من وجدي بفاطمة أجل خوذ إليها الحسن ينتسب

^١ - ديوان ابن فركون، ص ٢٤٧.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٤٨.

^٣ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ٧٠ . بتصرف.

^٤ - ديوان عبد الكريم القيسي ، ص ١١٤ - ١١٥ .

وهي التي فتنتني من محسنها بغررة من سنها يعجب العجب^(١)

ويقول ابن الخطيب من قصيدة له، واصفاً ما يقاسيه من حرارة الشوق وألم البعد:

**ما لقلبي إذا هفا القلب حنا
وصبا للنسيم من أرض لينا
وإذا ما الظلام حل عراه
عايد الشوق والغرام فجئنا^(٢)**

وهو يشكو من الهجر الذي كاد يقتله، ويصف تباريح الهوى وما تفعل به على الرغم مما
يُعرف عنه من تجلّد فيقول:

**يا حبيبا من لعبني أن تراه
قد رمى حبك قلبي ويراه
لم يدع هجرك لي من رقم
آه مما فعل البيـن وأه
قد جفاني النوم من بعدهم
من رسول بين جفني وكراه
ولقد كنت صبورا إـنـما
صدعـيـنـ فـؤـادـيـ وـكـواـهـ^(٣)**

ويصف لنا جاءه الفراش، ولليله الذي يمضي بين الحسرة والعبرة، فيتحدث عن سهره
ودموعه وسقامه وما اعتبره من شوق وحنين:

**أيقظت لـأـنـمـتـ سـاـكـنـ زـفـرـتـيـ
وحـرـمـتـ أـجـفـانـيـ لـذـيـدـ هـجـوـعـ
وـوـكـلـتـ عـيـنـيـ بـالـفـرـاقـدـ وـالـسـهـىـ
أـبـكـيـتـ عـنـدـ غـرـوبـهاـ وـطـلـوـعـ
فـالـنـجـمـ فـيـ كـبـدـ السـمـاءـ مـسـامـرـيـ
وـالـسـقـمـ فـيـ قـلـقـ الفـرـاشـ ضـجـيـعـيـ^(٤)**

والشاعر الملك يوسف الثالث كثيرون من الشعراء الذين نظموا شعراً في الشكوى، فقد
عاش أسيراً فترة من الزمن المنكب، يتجرع غصص البعد والحرمان، يحلم بالعودة إلى
موطنه، ولقاء أهله وأحبابه، فقد ظلَّ وفيَّاً لمحبوبته، يحنُّ إليها ويشكو من بعادها، فيجد في
الشكوى متৎساً لهمومه وألامه التي ازدادت عليه في غربته وسجنه فيقول:

**وهل لغريب الدار والنفس والهوى
إلى نيله لقيا الحبيب سبيل**

^١ - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١١٢.

^٢ - الصيّب والجهمان، ص ٥٩٥.

^٣ - الصيّب والجهمان، ص ٦٥٥.

^٤ - الصيّب والجهمان ، ص ٦١٦.

تضرّمها بالشوق وهي بليل
فتقهم ما يشكولها

يحمل أنفاس الجنوب رسائلا
ويشكولها ما قد أكّن من الهوى

ويقول:

أيلقى سلامي من حبيب قبولي
فإن به أهل الحبيب حلول^(١)

فبالله يا ريح الجنوب تأملي
وهي على القصر الكبير عليلة

ويؤكد الشاعر للحبيبة أنَّ أساه مهما طال، فإنَّ ذلك لن يتثنّيه عن حُبّها، ولن يتطلع على سلو
أو بديل:

فرحماك بنت العم في نفس هائم تقطع من شق إليك ولا تسلو
أعوذ بك اللهم أن ينسد الهوى بعاد وأن يزري بودي لهم بخل^(٢)

وأما من حيث الراي: فإنه يعد من الأغراض البارزة في شعرنا العربي، عرفه العرب
منذ العصر الجاهلي، وتناوله الشعراء في العصر الإسلامي بصورة جديدة اقتضتها طبيعة
الدين الجديد وقد ارتقي هذا الفن وعمقت معانيه في العصر الأموي والعباسي تبعاً للرقي
الفكري والاجتماعي آنذاك.

ولقد شغل الراي، حيزاً كبيراً من ديوان العرب في الأندلس، حيث بكى الشعراء موتاهم
بدموع غزيرة، وتقجيعوا عليهم، وكثيراً ما كان يشتند وهج بكائهم أيام الحروب والنكبات
والفتنة. وأول مرثية تصادفنا في ديوان ابن الخطيب، هي التي رثى بها فاطمة جدة السلطان
أبي الحجاج المتوفاة سحر يوم الأحد السابع لذى الحجة من عام ٧٤٩هـ وهي تناهز التسعين
من عمرها فيقول:

وبيطرق أمر الله من حيث لا تدرى
فعر الغنى سيان، أو ذلة الفقر
لأتبعاه في ذلك الخطب من نصر
نعم الزماح المشرفية والقنا
هو الدهري جري في البرية حكمه
رمى تبعا بالحتف قصدا فلم يكن

^١ - ديوان ملك غرناطة - يوسف الثالث، ص ١٩٢.

^٢ - نفس المرجع: ص ١٩٢.

**بِذَخْرٍ يُعِيدُ الصَّيْتَ مِنْ شَهْرِ الذَّكْرِ
كَمَا فَضَلَتْ أَمْثَالُهَا لِيَلَةَ الْقَدْرِ
وَهُلْ رُفِعَ التَّذْكِيرُ مِنْ رَتْبَةِ الْبَدْرِ^(١)**

**لَقَدْ فَجَعَ الْإِسْلَامَ مِنْكَ وَأَهْلَهُ
وَوَاحِدَةٌ فَاقْتَلَتْ نِسَاءً زَمَانَهَا
وَهُلْ خَفَضَ التَّأْنِيْثَ لِلشَّمْسِ رَتْبَةً**

وفي هذه المرثية يظهر تأثر ابن الخطيب جلياً بأبي الطيب المتتبى في القصيدة التي رثى بها "أم سيف الدولة الحمداني" أخذ عنه الأفكار والمعانى، وحتى بعض الجمل والألفاظ فيقول المتتبى :

**نَعَّادُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ
وَتَقْتَلَنَا الْمَنُونُ بِلَا قَتْلٍ
وَمَا التَّأْنِيْثُ لَاسْمُ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ^(٢)**

وقد بدأ ابن الخطيب مرثيته بالترحيد في الدنيا، والتحذير من الاغترار بها، ثم يتوجه بالخطاب إلى المرثية، فيذكر أن رحيلها عنهم، ومفارقتهم إياها، قد ترك في النفوس حزناً شديداً، وجراحاً عميقاً، فقد ها شبيه بفقد العيون لرؤيتها، والمسافرين ليلاً لنور البدр وضيائه، كيف لا وهي واحدة زمانها علو مكانة، ورفعه قدر، ففضلها في النساء كفضل ليلة القر في الليالي، فهي وإن كانت أنتى، فإن ذلك لا ينقص من قيمتها ورتبتها، كما لا ينقص التأنيث من منزلة الشمس، ولا يزيد التذكير من رتبة البدر.

ويغالي ابن الخطيب في رثائه لجدة أبي الحاج، فينعتها بالشمس يحيا بها العالم على علوها ورفة منزلتها، بل أن الشمس أقل منها مكانة ومنفعة، فهي كاملة لا يدركها النقص، ونافعة لا تضر أحداً فيقول :

**عَلَى بَعْدِ الْعِلْيَا أَوْ رَفْعَةِ الْقَدْرِ
وَمَا كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ يَحْيَا بِكَ الْوَرَى
كَمَالٌ بِلَا نَقْصٍ وَنَفْعٌ بِلَا ضَرٍ^(٣)**

ويصفها وهي محمولة على الأعناق في نعشها، بالسحابة المباركة السقيا المقدسة القطر، وعند الوصول إلى لحدها في غلس الدجى، رأى المشيعون عجباً، إنهم شاهدوا أفال الشمس في مطلع الفجر !

^١ - انظر الصَّيْبُ وَالْجَهَامُ ، ، ص ٥٢٨-٥٢٩.

^٢ - انظر ديوان المتتبى ، ، ج ٢، ص ١٩-٢٤.

^٣ - الصَّيْبُ وَالْجَهَامُ ، ، ص ٥٣٠.

**حملنا على الأعنق منك سحابة مباركة السقيا مقدسة القطر
ولما أتينا اللحد في غلس الدجي رأينا أفول الشمس في مطلع الفجر^(١)**

وقد نالت الزوجة المتوفاة حظاً كبيراً في شعر الرثاء في هذا العصر، وما ذلك إلا أنها احتلت مكانة مرموقة عظيمة في نفس زوجها، تمثلت برابطة متينة سامية، وعلاقة محكمة الأواصر، أمّا لماذا هذا الحظ الوافر من الشعر في باب الرثاء وتحديداً؟ فلأنني أرى ذلك امتداداً لمعنى الفقد والضياع والخراب التي عمّت شعر هذا العصر، إذ أنّ هذه المعاني هي التي أوقدت أحاسيس الألم والحزن والحرمان في نفوس هؤلاء الشعراء فصبغتها بألوان القتام والظلمة، وبقي فقد الزوجة صورة للألم الكبير الذي يخيّم على حياة الزوج عامة.

ذلك رثى ابن الخطيب زوجته التي توفيت سنة ٧٦٢هـ في مدينة سلا التي كان مغترباً فيها، فتركته وحيداً في منفاه، ولها فقد حزن عليها حزناً عميقاً، وساق إلينا الخبر عبر رثاء محزن نحس فيه لوعة الزوج المفجوع المُغرّب الذي يكاد يموت حسرة وأسى على زوجته التي كانت ذخيرته في الدنيا وعدته يوم اشتداد الأهوال، وكانت ماله وآماله حتى غيابها القدر غريبة في تراب سلا، ولها فإن الشاعر لن يسلو حزنه عليها حتى يلحق بها فيقول:

دُوع بالي وهاج بـ	بـ	لـ	ـاني	ـاني	ـاني
ـ خـيرـتـيـ حـيـنـ خـانـيـ زـمـنـيـ					
ـ عـدـتـيـ فـيـ اـشـتـدـادـ أـهـوـالـ					
ـ ذـهـابـ مـالـيـ وـكـنـتـ آـمـالـيـ					
ـ أـمـاـ وـقـدـ غـابـ فـيـ تـرـابـ سـلاـ					
(ـ وجـهـكـ عـئـيـ فـلـسـتـ بـالـسـالـيـ)					

ويطلب من زوجته أن تنتظره لأنه سيلحق بها، وأن تفسح له مجالاً في قبرها حتى يُواريها معاً فقهاء لـ:

فانتظرني بالسوق يقلقني
ومهدي لي لديك مضطجعاً
وينقتضي سرعتي واعجالي
فعن قريب يكون ترحالى^(٣)

والأبيات في مجملها تعبر عن موقف شعوري حزين ألمًّا بابن الخطيب بعد رحيل زوجته، غير أنَّ لجوء الشاعر إلى أسلوب التكليف في رسم صور هذا الموقف جعل القصيدة تفقد جزءاً من حراراتها ووهجها، ولا سيما بعد أن غصت بالمحسَّنات البديعية من جناس وطبق.

ولقد لجأ الشاعر الملك يوسف الثالث إلى افتتاح بعض مراتيَّه بالغزل، وهذا قليل في الشعر العربي، لأنَّ الغزل لا يليق بمقام الرثاء الذي يمتاز بالحزن والتراجُّع على الميت، وأول قصيدة تصادفنا حينما رثى زوجته، ومقدِّماته في هذه القصائد متشابهة، يكثر فيها من الحديث عن الرحيل والوداع، ويدرك الظعائن والحداء، ويصف أشواقه ووجده وأرقه، وما خلفه البعد في نفسه من حزن وأسى وقد نجد ذكرآ للنساء في مقدمات رثائه، كسلمي وسعاد وغيرهما. فهو يستهل إحدى مراتيَّه في زوجته بذكر سلمي وما فعله ارتحالها في نفسه فيقول:

تذكَّرْ من سلمي حبيباً مناجيا وخلفت القلب المقلب عاتباً معالم من أطلالها ومعانٍ على ثقة أن لا ترى النجم هاديا (يأنسان عيني لا أقول فؤادي)	أعيذُ الحمَى من أن يخيب راجيا لقد جدَّ سيراً ركبها حين ودعت سما النَّظر المغرى بها ملتمحا فايأسني أن ضلت العين قصدها وجلد لي الذكرى رضيع مكانه
---	--

إنه يصف الظعائن التي سارت إلى غير رجعة، وما يعانيه من آلام الفراق وحرقتة وتشعر هنا بسلسة التراكيب، وحنو العاطفة، وتوق الأحساس، كما أسهمت الألوان البديعية التي استخدمها الشاعر في إثراء المعنى وإغناء العاطفة، إذ انقادت من غير تكليف، فجاءت في موقعها المناسب. ومن مراتي ابن زمرك الأندلسي ما قاله وهو يخمن أبياتاً أنشده إياها السلطان أبو العباس^(٢) رحمه الله تعالى من نظمه يرثي ابنة له اسمها عشق فيقول:

ألا ليت شعري ما عدا بعديماً بدا ولو كان وعد اليوم ينجزه غداً	فراق علينا جار في الحكم واعتدى (النظم من شمل الهوى ما تبدداً) (ولكن رهين اللحد ليس له فداً)
فقدت الذي أهوى فعرَّني اللقا	فيسائلِي عن حالي ولك البقا

^١ - ديوان ملك غرنطة - يوسف الثالث -، ص ١٦٥. و انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحمر ، ص ١٢٧ . بتصرف .

^٢ - هو أحمد بن سالم المربي المغربي، بُويع له بمداخلة الغني بالله سنة (٧٧٦)

ودمع حفوني بعد بعدي ما رقا (ونفسي مع الأنفاس تفني تشوقا)

(روحي في مثل الحال تردد) ^(١)

وقال ابن فركون في رثاء زوجة السلطان - يوسف الثالث - حين توفيت أثناء الولادة مع مولودها:

لَيْتْ حَسْنَ الصَّبْرِ فِي مُثْلِهَا يَجْدِي	يَمِينًا لَقَدْ جَازَ الأَسْى مِنْتَهِي الْحَدِيفِيَا
وَضَلَّتْ بِهِ الْأَيَامُ مِنْ سَنْنِ الرَّشْدِ	مَصَابُهُ بِهِ بَانَتْ مِنْ الدَّهْرِ عَثَرَة
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَى حَدِّ	تَعَزَّ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا
هُوَ الْقَدْرُ الْمُحْتَوِمُ جَاءَ إِلَى وَعْدِ	تَأْسَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا

فابن فركون يبيّن للسلطان أنّ أساه وحزنه على وفاة زوجته قد تجاوز الحدّ عنده من شدة الخطب ولم يعد عنده قدرة على الصبر، ويطلب من السلطان أن يتحمل هذا المصاب فكل إنسان لا بد من أن يلقى هذا المصير فلا راد لقضاء الله. وأما أبو حيان الغرياني فقد رثى زوجة زمردة بنت أبرق التي توفيت عام ٧٣٦هـ فبكائها ورثاها أحر الرثاء فيقول:

بِشَنَاءِ وَطَيْبِ التَّذَكَارِ	ثُمَّ رَاحَتْ لِمَا قَضَى اللَّهُ فِيهَا
أَمْ حَيَانَ خِيرَةِ الْأَخِيَارِ	وَدَهَانِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَقَدْ دَي
وَمَنَامِي وَيَقْظَتِي وَسَفَارِي	كَنْتُ أَنْسِي فِي وَحْدَتِي وَاغْتَرَابِي
وَزَمْيلِي فِي حَجَتِي وَاعْتَمَارِي	وَنَدِيمِي فِي رَحْلَتِي وَمَقَامِي
وَأَنَا كَابِنَهَا صَغِيرُ الصَّفَارِ	لَمْ تَكُنْ زَوْجَةً وَلَكِنْ كَامِ

ويلاحظ من خلال قراءة هذه الأبيات حجم الفجيعة التي حلّت بأبي حيان جراء وفاة زوجته ورحيلها عنه، فكانت نعم الأنفاس والصديق له في حله وترحاله في منامه ويقظته، فهي الصديق والزميل والأم حتى أنه من حبه لها وتعلقه بها جعل نفسه كولد صغير يحنّ ويشتاق للقاء أمّه. وأبو حيان لا يرجو الحياة بعد وفاة زوجته وابتعادها عنه فيقول:

أَرْجُو حَيَاةً بَعْدَ فَقْدِ زُمْرَدٍ وَكَانَتْ بِهَا رُوحِي تَلُّ وَتَعْتَذِي

^١ - ديوان ابن زمرك ، ص ٣٣٢-٣٣١.

^٢ - ديوان أبي حيان الأندلسي ، ص ١٣٢-١٣٣ .

^٣ - نفس المرجع ، ص ١٩٣ .

زمرة قد خللت للصب لوعة وحزنا بقلبي آخذًا كل مأخذ^(١)

وبعد وفاة زوجته (زمرة) عاد أبو حيان ليذكر مآثر الفقيدة التي فجعت قلبه بوفاتها، فقد ذكر حجها لبيت الله الحرام، وروايتها لأحاديث المصطفى ﷺ، وذكرها الجميل المخلد كأنه المسك والعنبر فيقول:

وما يك من برتعجل وتنفذ وكان لها روح بسماعي غذى ثناء كعرف المسك والعنبر الشذى لروح وريحان وجنه مفتذ^(٢)	وحبت وزارت مرتين وقدست روت من أحاديث الرسول مساندا مضت ولها ذكر جميل مخلدا إلى العالم العلوى راحوا بروحها
---	--

ولابن الأزرق بيتان من الشعر قالها في توديع والدته عند وفاتها، يبيّن فيهما مرارة الوداع والدموع منهمرة حزناً وألمًا فيقول:

تقول لي ودموع العين ساقطة فقلت أين السرى قالت لرحمتك من قد عز في الملك لم يولد ولم يلد^(٣)

فهذه فيها اقتباس من القرآن الكريم لقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد) فلقد تذكر ابن الأزرق الموت وأنه لا أحد مصيره البقاء والخلود إلا رب الوجود. وبعد هذا الاستقصاء لصورة المرأة الزوجة في هذه القصائد، وجدت أنه قد غاب الجسد ووري التراب وغُيّب الوجه وكلّ ما في هذا الجسم من معالم جمالية، ولم يبق إلا المعنى والذكرى الأليمة وال وجود المقيم، وكانت مصيبة الزوج بفقدانها عظيمة عصرت قلبه وأذابت نفسه.

^١ - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٧.

^٢ - نفس المرجع، ص ٤٢٣.

^٣ - احمد بن محمد المقرى التلمساني (المقرى)، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، أبو ظبي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ج ٣، ص

.٣١٩

الفصل الرابع

صورة المرأة في شعر النساء الأندلسية

وخصائص شعرهن الفنية

المبحث الأول

صورة المرأة في الأغراض الشعرية

تمهيد :

أبدعت المرأة الأندلسية في مجال الشعر والأدب فقد مثلن شواعر الأندلس مدرسة شعرية متميزة وشكلن حركة أدبية واضحة، فمنهن من مثلت الاتجاه المحافظ في الشعر: كـ (الغسانية البجانية)، ومنهن من مثلت الاتجاه الجديد كـ (نرهون الغرناطية) وقسمونة بنت إسماعيل. ومنهن من وقفت موقف الحياد... ومنهن من خف فؤادها واكتوت بنار تجاربها، وكانت مناراً في سمو ثقافتها الأدبية الواسعة، وخفة روحها مما جعلها تصمد وتواجه الشعراء الأفذاذ فتجيز لهم وتساجلهم وتحاورهم^١.

وللتوضيح صورة المرأة في شعر المرأة الأندلسية كان لا بد من الوقوف على الأغراض الشعرية التي تناولتها المرأة حيث نظمت الشاعرة الأندلسية في أنواع مختلفة وسجلت أشعاراً رقيقة في الشكوى وبث الآلام، وفي المداعبة والظرف. والتهكم والمجون. والمراسلات والشعر القصصي ونظمت في الفخر والمديح كما تغنت بالأشعار الغزلية في مجالس الأنس والطرب. ووصفت الميول والأهواء وما يحدث فيها من (لذة وألم العشق وأثره)^٢. ونظمت في ميداني الفصيح والعامي. وفيما يلي عرض للأغراض الشعرية التي تناولتها المرأة :

^١ انظر الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٣٢ – ٤٣٣ . ونفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٧٣ .

^٢ أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٢٤ م ، ص ٤٠ .

المطلب الأول

الغزل

أبدع شواعر الأندلس الجارية والحررة على السواء في نظم الشعر الغزلي، وساعدها على ذلك البيئة والظروف المحيطة بها. فشعر الغزل من الفنون الأدبية الرفيعة التي طرقها الشعراء . وقد قال ابن بسام عن المدينة التي أنجبت ولادة (والشاعر منهم إن تغزل، أربى على الساحرات فنوناً، وأزرى بالغانيات مجونة) ^١.

ولا شك في أن غزلهن كان كذلك. فقد تحدثت المرأة للرجل وتوددت إليه. " وقد يكون لكتاب طوق الحمامنة في الألفة والإيلاف الذي ألفه ابن حزم عام (٤١٧هـ) أثر على النسوة اللائي بدأن المجاهرة في عشقهن، لذا أظهرت إيهادهن الجانب المحسوس للرجل وتغزلت في حرقة ^٢، وصورت ما وقع بينها وبين الحبيب، كما صورت هوهاه وبلواهها. فظهرت متميزة، فهي عاشقة لا معشوقة، ومنهن من خرج غزلها (عن محمود التقاليد لدرجة القرب من الخلاعة) ^٣ .

وقد أثرت معاناتها وتجربتها الشعرية في شعرها الغزلي فتميز بالصدق في نقل وتصوير انفعالاتها العاطفية، ودل على معرفتها بصور ومعاني الحب وأحواله). وكانت في غزلها قد ملأ الحب قلبها فشغفت وأطلقت لنفسها العنان (والعشق يطلق لسان العي) ^٤. وأكثر ما وصل إلينا في مجال الغزل من صراحة في إعلان العشق مطروحة كل معاني الكبراء التي هي من مستلزمات طبيعة المرأة قول أم الكرم ^٥ بنت المعتصم بن صمادح : -

^١- انظر الذخيرة ، ج ١ ، ص ٣٣-٣٤.

^٢- جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص ١٨٦ .

^٣- د. اسماعيل شلبي ، البيئة وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، ص ٤٤٩ . بتصريف .

^٤- أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، تتح إبراهيم الكيلاني ، ج ١ ، ص ٤٣٢ .

^٥- انظر المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٢ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي ، ص ٣٢٠ . بتصريف .

يَا مُعْشِرَ النَّاسِ أَلَا فَلَا عَجِبُوا
 لَوْلَاهُ لَمْ يَنْزَلْ بِبَدْرِ الدَّجْنِ
 حَسْبِيْ بِمَنْ أَهْوَاهُ لَوْأَنْهُ
 مِمَّا جَنَّتْهُ لَوْعَةُ الْحَبِّ
 مِنْ أَفْقَهِ الْعُلوِّ لِلتَّرْبِ
 فَارْقَنِي تَابَعَهُ قَلْبِي

وتقول ممنية خلوة عن أعين الرقباء متعجبة من شدة الاشتياق ومسكن الحبيب في الأحشاء
 - والأعمق^١ :

أَلَا لَيْتْ شَعْرِي هَلْ سَبِيلٌ لِّخَلْوَةٍ يَنْرَهُ عَنْهَا سَمْعٌ كُلَّ مَرَاقِبٍ
 وَيَا عَجَبًا أَشْتَاقُ خَلْوَةً مِّنْ غَدًا وَمِثْوَاهُ مَا بَيْنَ الْحَشا وَالْتَّرَائِبِ

وقد كتبت ولادة إلى ابن زيدون شاكية الفراق بعد الغياب ، تقول^٢ :

سَبِيلٌ فِي شَكْوَكِ كُلِّ صَبٍ بِمَا لَقِي أَبِيتُ عَلَى جَمْرٍ مِّن الشَّوْقِ مُحرِقٍ لَقَدْ عَجَلَ الْمَقْدُورُ ^٣ مَا كَانَتْ أَتَقِي وَلَا الصَّبْرُ مِنْ رَقِ التَّشْوِقِ مُعْتَقِي بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلُ الْوَبِلِ مُغْدِقٍ	أَلَا هُلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرِيقِ وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتَ التَّزاوِرِ فِي الشَّتَاءِ فَكَيْفَ وَقَدْ أَمْسَيْتَ فِي حَالٍ قَطْعَةً تَمَرًا لِلَّيَالِي لَا أَرِي الْيَيْنَ يَنْقَضُّ سَقِيَ اللَّهُ أَرْضًا قَدْ غَدَتْ لَكَ مَنْزِلاً
--	--

وفي الوقت الذي فيه تمنى أم الكرم لقاء الحبيب نجد ولادة دون خوف أو وجع تحدد زمان
 الزيارة وتضرب موعداً لابن زيدون قائلة^٤ :

^١ - انظر المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

^٢ - انظر ديوان ابن زيدون ، ص ١٣٣ ، وص ٧٨٢ . ص ١٥٤ .

^٣ - المقدار ، القدر .

^٤ - انظر ديوان ابن زيدون ، تحقيق علي عبد العظيم ، ص ٣٣ .

**ترقب إذا جن الظلام زيارةٌ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح**

**فأني رأيت الليل أكتم للسرِّ
ويالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسرِّ**

ومن الغزل الذي نسب^١ إليها :

ذائع من سره ما استودعك زاد في تلك الخطأ إذ شيعك حفظ الله زماناً أطلاعك بتأشك وقصر الليل معك!	ودع الصبر محب ودعك يقرع السن على أن لم يكن يا أخي البدر سناء وسنا إن يطل بعده ليلي فلكم
---	--

ومن الشواعر اللائي تحدثن حديثاً مكتشوفاً عن العشق. لم يألف الأدباء والشعراء مثله
بإظهار العواطف وإطلاق العنان^٢ :-

لله در الليالي ما أحيسنه لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمرٍ بل ديم خازمتا في ساعدي أسدٍ	وما أحيسن منها ليلة الأحد عين الرقيب فلم تتظر إلى أحدٍ
---	---

ومن الشاعرات اللائي ارتفع صوتهن في الصباية والغزل أم العلاء بنت يوسف
الحجاريَّة، فالحياة في نظرها تفقد طعمها بدون الحبيب تقول^٣ :

كل ما يصدر منكم حسنٌ تعطف العين على منظركم	وبعلياً كم تحلى الزمن وبذكركم تلذ الأذن
---	--

^١ - انظر نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧. الأبيات لولادة كتبت بـهما إلى الأصبهي نسبها محقق ديوان ابن زيدون د. علي عبدالعظيم لابن زيدون، انظر الديوان ص ١٦٧ وص ٧٧٩. انظر، سعد إسماعيل شلي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٨، ص ٤٤٩ . والحقيقة أن ولادة كتبت الأبيات إلى الأصبهي كما أشار صاحب نفح الطيب. ج ٥، ص ٣٣٧.

^٢ - ابن الآبار، تحفة القادر، ص ٥٨٤ عن مجلة المشرق — نشر البستاني — ١٩٤٧ . نفح الطيب، ج ٦، ص ٣٤.

^٣ - المغرب ، ج ٦، ص ٣٨ . وانظر نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي، تتح / صالح المنجد، بيروت، ط ١، ١٩٥٥ ، ص ٢٢ – ٢٣. وانظر نفح الطيب ، ج ٥، ص ٣٠١ .

من يعش دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يغبن

وبالرغم من أن غزل بعض شواعر الأندلس قد كان تقليديا إلا أنه في مجمله قد اشتمل على صور جميلة، وألفاظ عذبة، كالذي جاء في مطلع قصيدة الغسانية حيث اتسم بالأصالة والعمق، وهي تعارض ابن دراج القسططي في مدح الأمير خيران العامري المتوفى سنة (٤١٩ هـ) تقول^١:-

وكيـف تـطـيق الصـبـر وـيـحـك إـنـ بـاـنـوا
وـالـأـفـعـيـشـ تـجـتـنـىـ مـنـهـ أـحـزـانـ
أـنـيـقـ وـرـوـضـ الـدـهـرـ أـزـهـرـيـانـ
عـتـابـ لـاـ يـخـشـىـ عـلـىـ الـوـصـلـ هـجـرانـ
كـمـ اـعـتـنـقـتـ فـيـ سـطـوـةـ الـرـبـحـ أـفـانـ

أـتـجـزـعـ أـنـ قـالـواـ سـتـظـعـنـ أـطـعـانـ
وـمـاـ هـوـ إـلـاـ مـوـتـ عـنـدـ رـحـيـلـهـمـ
عـهـدـهـمـ وـالـعـيـشـ فـيـ ظـلـ وـصـلـهـمـ
لـيـالـيـ سـعـدـ لـاـ يـخـافـ عـلـىـ الـهـوـيـ
وـيـسـطـوـبـنـاـ لـهـوـ فـعـنـقـ الـمـنـ

وقد عبرت أنس القلوب عن شدة ما تلقى من الوجد وغنت متغزلة متنمية الوصل إلى من تحب^٢ فقالت:-

وـبـدـاـ الـبـدـرـ مـثـلـ نـصـفـ سـوارـ
وـكـانـ الـظـلـامـ خـطـ عـذـارـ
وـكـانـ الـمـدـامـ ذـائـبـ نـذـارـ
كـيـفـ مـمـاـ جـنـتـهـ عـيـنـيـ اـعـذـاريـ
جـائـرـ فـيـ مـحـبـتـيـ وـهـوـ جـارـيـ
فـأـقـضـيـ مـنـ حـبـهـ أـوـطـارـ

قـدـمـ الـلـيـلـ عـنـدـ سـيـرـ النـهـارـ
فـكـانـ النـهـارـ صـفـحةـ خـدـ
وـكـانـ الـكـؤـوسـ جـامـدـ مـاءـ
نـظـريـ قـدـ جـنـىـ عـلـىـ ذـنـوبـاـ
يـاـ لـقـومـيـ تـعـجـبـواـ مـنـ غـزـالـ
لـيـتـ لـوـكـانـ لـيـ إـلـيـهـ سـيـلـ

وقد غنت عتبة جارية ولادة وتغزلت وضمت إلى نشوة الغناء حلاوة اللقاء فقالت^٣:-

^١ - انظر جنوة المقتبس ، ص ٣٨٩ . بغية الملتمس ، ص ٥٢٩ .

^٢ - نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

^٣ - انظر ديوان ابن زيدون ، ص ١٢٠ . النخبة ، ج ١ ، ص ٤٣١ . تمام المتن في شرح رسالة ابن زيدون ، حليل بن ييك الصفدي ، تتح محمد أبو الفضل ، بيروت ، مطبعة المدين ، ١٩٦٩ م ، ص ١١ .

واسعدني دهري وواصلني حبي^١
فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

أحبتنا إني بلغت مؤمني
وجاء يهبني البشير بقربه

ومن الملاحظ أن أكثر غزل الجواري قد جاء كجازات للأبيات ، أو مطارحات تلقى في المجالس، أو اختبارات لذكائهن، أو مراسلات بين الأحباب وقد أظهرن فيه براعة وتفوقاً وسرعة بديهة ومعرفة بأحوال المحب والمحبين. قوله العادية، وهي تجيب مولاها وسيدةها المعتصد حين يقول^٢ :

وتصر عنـه لا يصبر

تنـام و مدـنـفـهـاـ يـسـهـرـ

فتحـيـهـ عـلـىـ الـبـدـيـهـهـ :-

سيـهـلـكـ وجـداـ ولاـ يـشـعـرـ

لـئـنـ دـامـ هـذـاـ وـهـذـالـهـ

"أما غـاـيـةـ المـنـىـ ، فقد قـيلـ لـهـ أـجـيـزـيـ^٣ ؟ اـسـالـواـ غـاـيـةـ المـنـىـ" . فـأـجـابـتـ.....

ـمـنـ كـسـاـ جـسـمـيـ الضـنـاـ.

ـوـأـرـانـيـ مـتـيـمـاـ سـيـقـوـلـ الـهـوـيـ أـنـاـ.

وفي رـوـاـيـةـ أـخـرىـ، قـيلـ لـهـ أـجـيـزـيـ^٤ :-

ـمـنـ كـسـاـ جـسـمـيـ الضـنـاـ

ـسـلـهـوـيـ غـاـيـةـ المـنـىـ

ـفـقـالـتـ تـجـيـزـهـ :-

ـسـيـقـوـلـ الـهـوـيـ أـنـاـ

ـوـأـرـانـيـ مـتـيـمـاـ

^١ - الحب بكسر الحاء : الحبيب.

^٢ - انظر نفح الطيب، ج ٦، ص ١٩-٢٠.

^٣ - نفس المصدر، ج ٦، ص ٢٣.

^٤ - انظر نفح الطيب، ج ٦، ص ١٩-٢٣.

المطلب الثاني الفخر

من الأغراض الشعرية التي أبدعت فيها المرأة الأندلسية باب الفخر إذ اتخذت منه منفساً للافخار بقيمها وبعلائها وأنفتها، فبحكم وضعها الاجتماعي كانت كثيرة الاعتزاز بالنسبة والأجداد والذات والأمجاد، ولا غرابة في ذلك فأغلبهن كن أميرات لذلك كن يشعرن بالكثير من الزهو والكبرياء والرفة فجاء فخرهن صادقاً، مصبوغاً بصبغة واقعية متسمًا بالفخامة والقوة. وقد بلغ افتخار ولادة بنفسها أن تكتب بالذهب على عاتقها ثوبها^١:-

أنا والله أصلح للمعالي
وأمشي مشيتي واتيهه تيها
وأعطي قبلتي من يشتتها
وأمكّن عاشقي من صحن خدي

وقد اتخذ الفخر صوراً متعددة، منها الفخر بالقيم والمبادئ والعفاف، والتمسك بالإسلام وهي ظهر ذلك قي قول ولادة :-

إني وإن نظر الأذام ليهجمتني
يحسن من لين الكلام فواحشا
كظباء مكة صيدهن حرام
ويصدهن عن الخنا الإسلام

ومن صور الفخر الطريفة ما قالتها الشاعرة صفية بنت عبد الله الربى في وصف خطها،
بعدما عابت امرأة خطها فقالت^٢ :-

وعايبة خططي فقلت لها اقصري
وناديت كفي كفي تجود بخطها
فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وقربت أقلامي ورقى ومحبري

^١- انظر ديوان ابن زيدون، ص ٣١، الذخيرة، ج ١، ص ٤٢٩. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبى، تتح د/ احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣م، ج ٤، ص ٥١ م. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٢٥ . بتصرف.

^٢- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٠

^٣- انظر حذوة المقتبس ، ص ٣٨٨ . الصلة لأبي القاسم حلف بن عبد الملك بن مسعود بشكوال الأنصارى، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ج ٢ . ١٩٥٥ . ٦٦٥

ولقد كان الجمال من مفاخر الشواعر في ذلك العصر وغيره من العصور، ومن ذلك ما قالته نزهون مفتخرة بجمالها في إجازتها للشاعر الكندي أبي بكر الغرناطي حين قال^١:-

لو كنت تبصر من تكلمه؟ فاجابت:
لعدوت أخرين من خلا خله
والغصن يمرح في غلائه
البدر يطلع من أزره

وليس غريباً أن تفخر الشواعر الأميرات ذوات الحسب والنسب بأمجادهن وعلو نسبهن وما نسب لبيثينة بنت المعتمد بن عباد في الفخر بالأمجاد والماضي التليد ممزوجاً بالشكوى من مرارة الزمان قولها^٢ :-

لم يعلم من قال مهما قال حق من يرم ستر سناها لم ينطق هل يحضر المجد أن خطب طرق من رجته بدم أيدي الخرق	من عزا المجد إلينا قد صدق مجدنا الشمس سناء وسناء أيتها الناعي إلينا مجدنا لأنزع للدموع في آماقنا
وكذا الدهر على الحر حنق وأرى منها شموساً فعشق شهرة الشمس تجلت في الأفق	حنق الدهر علينا فسططا وقد يما كلف الملك بنا قد مضى منا ملوك شهروا
فحقير ما من الدنيا افترق وثلاثين وعشرين نسقاً وثلات نيرات تأتلّق	وإذا ما اجتمع الدين لنا حججاً عشراً بعدمها أشرقت عشرون من أنفسها

^١ - انظر المغرب، جـ ٢، ص ١٢١. نزهة الجلسae في أشعار النساء لخلال الدين السيوطي ، ص ٩٩ - ١٠٠.

^٢ انفرد الدكتور أ.ر. نيكل في رواية ونسبة هذه الأبيات لبيثينة بنت المعتمد في كتابه مختارات من الشعر الأندلسي، ص ١٠٦، وقد أشار الدكتور عمر فروخ إلى أن هذه الأشعار كانت نصوصاً من كتاب الشعر الأندلسي .

المطلب الثالث

المديح

يحتل شعر المديح مساحة كبيرة من الشعر العربي منذ عصور، فما من شاعر إلا وقد طرق هذا الباب. فمن هنا تأثرت شواعر الأندلس بهذا الاتجاه فشعرن في أنفسهن أنهن أمام أناس يستحقون التمجيد والإشادة فطرقن هذا الباب، فأجدن فيه (فأطرت وأسمعت)^١ وعارضت ومزجت مدحها بالسخرية .

ويتضح ذلك كله من النماذج الشعرية التي سجلتها في مدحها للرجال الذين جادت أياديهم بالعطاء ، وتذوقوا الشعر وعرفوا برعايتهم للشاعر ، وربما كانت تهدف من وراء شعرها هذا الحصول على مغانم مادية أو معنوية كالعتق من الأسر ، فقد عرف عن مريم^٢ الشلبية الفصولي تكسيبها بالمديح ، كما (مدحت الغسانية الملوك)^٣.

ولا يعرف ما إذا كانت ظروف الشاعرة المادية عنصراً في إقبالها وطرقها لهذا الباب. ومن هذا اللون من الشعر ما قالته مريم بنت أبي يعقوب الفصولي ، فقد بعث إليها (ابن المهند) بدنانير وقصيدة فأنشأت قصيدة من نفس البحر والقافية في مدحه جاء فيها^٤ :

^١ - ابن رشيق القمياني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تتح محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج، ص ١٩٩.

^٢ - انظر جذوة المقتبس، ص ٣٨٨. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٢٧.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

^٤ - انظر جذوة المقتبس، ص ٣٨٨. بغية الملتمس، ص ٥٢٨ - ٥٢٩. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٢٩ . بتصرف .

من ذا يجاريك في قول وفي عمل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي
حليتي بحل أصبت زاهيـة
للـه أخـلـقـكـ الفـرـالـتـي سـقـيـتـ
أشـبـهـتـ مـروـانـ منـ غـارـتـ بـدـائـعـهـ^٣

وقد بدرت إلى فصل ولم تسل
من اللالي وما أوليت في قبل^١
بها عـلـ كـلـ آـنـشـيـ منـ حـلـيـ عـطـلـ^٢
ماءـ الفـراتـ فـرـقـتـ رـقـةـ الغـزلـ
وأنـجـدـتـ وـغـدـتـ منـ أـحـسـنـ المـثـلـ

يـلدـ منـ النـسـلـ غـيرـ الـبـيـضـ وـالـأـسـلـ

منـ كـانـ وـالـدـهـ السـيـفـ الـمـهـنـدـ لـمـ

وقد مدحت مهـجـهـ القرـطـبـيـةـ وـلـادـةـ بـبـيـتـيـنـ كـانـتـ بـسـبـبـهـماـ مـنـ الـمـتـقـدـمـاتـ عـلـىـ الـشـعـرـاءـ
الـذـكـورـ فـيـ عـصـرـهاـ وـقـدـ اـعـتـرـفـ لـهـ النـقـادـ بـالـتـقـدـمـ لـأـنـهـاـ مـنـ أـجـودـ الشـعـرـ وـأـحـسـنـهـ^٤ :

لـئـنـ قـدـ حـمـىـ عـنـ ثـغـرـهـ كـلـ حـائـمـ
فـذـكـ تـحـمـيـهـ القـواـضـبـ وـالـقـنـاـ

فـمـاـ زـالـ يـحـمـيـ عـنـ مـطـالـبـهـ الشـغـرـ^٥
وـهـذـاـ حـمـاهـ مـنـ لـوـاحـظـهـ السـحـرـ^٦

أـمـاـ وـلـادـةـ فـقـدـ مـدـحـتـ أـبـاـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـوسـ بـطـرـيـقـةـ سـاخـرـةـ وـكـانـ جـالـسـاـ أـمـامـ بـرـكـةـ لـتـجـمـعـ
الـقـادـورـاتـ،ـ فـتـرـكـتـهـ لـاـ يـحـيـرـ حـرـفـاـ وـلـاـ يـرـدـ طـرـفـاـ حـينـ قـالـتـ:-

انتـ الخـصـيـبـ وـهـذـهـ مـصـرـ
فـتـدـفـقـاـ فـكـلـاـكـمـاـ بـحـرـ^٧

^١ - (قبلـيـ) مـنـ قـبـلـ (بـضمـ فـضمـ) يـبـدوـ أـنـ اـبـنـ الـمـهـنـدـ كـانـ قـدـ أـحـسـنـ إـلـيـهـ مـارـاـ قـبـلـ دـلـكـ.

^٢ - العـطـلـ "بـضمـ فـضمـ" الـعـاطـلـ:ـ الـمـرأـةـ الـجـمـيلـةـ.

^٣ - بـدائـعـهـ،ـ أـبـيـاتـ شـعرـهـ الـبـديـعـهـ.ـ غـارـتـ نـزـلـتـ إـلـىـ الـغـورـ،ـ الـأـرـضـ الـمـنـخـفـضـةـ أـنـجـدـتـ،ـ صـعـدـتـ إـلـىـ بـجـدـ (ـالـمـكـانـ الـمـرـفـعـ)،ـ بـعـنـيـ أـنـ أـشـعـارـهـ اـشـتـهـرـتـ فـيـ كـلـ مـكـانـ.ـ الـعـضـبـ:ـ السـيـفـ الـقـاطـعـ.ـ الـبـيـضـ:ـ السـيـوـفـ.ـ الـأـسـلـ:ـ الـرـماـحـ.ـ يـلدـ الـبـيـضـ وـالـأـسـلـ:ـ يـلدـ الشـجـعـانـ.

^٤ - انـظـرـ الـمـغـرـبـ،ـ ،ـ جـ1ـ،ـ صـ4ـ3ـ .ـ وـانـظـرـ نـزـهـةـ الـخـلـسـاءـ،ـ ،ـ ،ـ صـ9ـ3ـ .ـ وـنـفحـ الـطـبـ،ـ ،ـ جـ3ـ،ـ صـ2ـ9ـ .ـ حـلـاتـ:ـ مـنـعـتـ وـطـرـدتـ.

^٥ - القـضـبـ:ـ السـيـفـ الـقـاطـعـ.ـ الـبـيـضـ:ـ السـيـوـفـ.ـ الـأـسـلـ:ـ الـرـماـحـ.ـ يـلدـ الـبـيـضـ وـالـأـسـلـ:ـ يـلدـ الشـجـعـانـ.

^٦ - دـيـوانـ اـبـنـ زـيـدونـ،ـ ،ـ صـ3ـ2ـ .ـ الـذـخـيرـةـ،ـ ،ـ جـ1ـ،ـ صـ4ـ2ـ2ـ .ـ نـزـهـةـ الـخـلـسـاءـ،ـ صـ1ـ0ـ3ـ .ـ

المطلب الرابع

السخرية و الهجاء

من الأبواب التي خاضت غمارها الشاعرة الأندلسية بباب السخرية ولاستهزاء فلم تألف المرأة في ذلك العصر من الهجاء الفاحش بسب (الانتقاد والانتقام من الذين أساءوا لها) ^١. فكانت ترد بمثله وأفجح منه أحياناً، وقد يكون سبب خوضها هذا المضمار الغيرة والبغضاء أو المضايقات في بعض الأعمال. أو لأجل الظرفة والسخرية وربما لجأت إليه في مجالسها لاستمالة قلوب الرجال ولفت الأنظار عن طريق اضحاكم. لتحتل منزلة النديم عندهم.

وقالت الشاعرة الأندلسية في هذا الغرض ما نقص عنه فحول الذكور فهي كما قال ابن بسام: إن هجت أجرت (لسان جرير) ^٢ ، ولقد عبرت عن معظم انفعالاتها بالهجاء لذا لم ترتفع به إلى مستوى شعرى عالٍ ^٣ . وأثبتت (تحلا أكثر مما هو تحررا) ^٤ في إقدامها على مضغ الأعراض والسفه والتطاول والتهجم في مقارعة الرجال والنساء بأسلوب ينافي الحياة. كل ذلك كان عند الحرائر.

وأما بالنسبة إلى هجاء الجواري فلم يصل إلينا منه شيئاً. وبالرغم من أن الهجاء عادة ما يكون للأعداء إلا أنه كان للأحبة أحياناً فهذه ولادة قد أنشدت تهجو ابن زيدون وكانت تلقبه بالمسدس في قصيدة مطلعها:

..... ولقت المسدس ٥ ، وهو نعت
..... تفارقك الحياة ولا يفارق
..... وسارق وسارق

" وقد وصل الهجاء عند ولادة إلى حد من الفحش والمجون ينדי له الجبين ويتعفف عنه لسان الرجال بما بالك بالنساء" ^٦ ، " ونثر في أهagi مهجة على مثل هذه الظاهرة أيضاً ، وإن

^١ - الذخيرة، ج ١، ص ٦٢-٦١. العمدة، ج ١، ص ٢٦.

^٢ - الذخيرة، ج ١، ص ٣٤-٣٣. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٢٩.

^٣ - احمد أمين، النقد الأدبي، ط٤ ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، ص ١٠٥.

^٤ - الأدب الأندلسي - موضوعاته وفوئنه -، مرجع سابق، ص ١٠٦.

^٥ - ديوان ابن زيدون، ص ٣٣-٣٤ . تمام المثون، ص ١١.

^٦ - انظر مثلاً هجاءها ابن زيدون في ديوانه، ص ٣٣ و ٣٤ والاصبحي ص ٣٤.

كانت أقل مما في أشعار ولادة^١ ، وحينما هجا الشاعر المخزومي نزهون ردت عليه بأبيات أكثر بذاءة وأشد أذاءا من هجائه فقالت :-

قل للوضيع مقلا
يتلى إلى حين يحشر^٢
من المدور أنشئت منه أعطر
حيث البداوة أمست
في أهلها تتبتخت
لذاك أمسيت صبا
بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن
تيم في كل أمور
جازيت شعرا بشعر
فقل لعمري من أشعر
إن كنت في الخلق أنت فإن شعري مذكر

كما وصلت إلينا بعض صور الهجاء الساخرة التي تثير الضحك أو السخرية من المهجو. من ذلك أن بعض القلاء قال لرزهون معجبا بفتنتها راغبا في تحمل العذاب مadam في صحتها(ما على من أكل معك خمسين سوط ؟) فأجابته^٣ :-

وذي شقة لما رأني رأى له
تمنيه أن يصلني معي جاحض الضرب
فقلت له كلها هنئنا فإنما
خلقت إلى لبس المطافر والشرب

ومنه ما ردت به نزهون على المخزومي بعد هجائه لها فائلة :^٤

إن كان ما قلت حقا
فارد ذكري ذميما
وصرت أقبح شيء
من بعض عهد كريم
يعزى إلى كل لوم
في صورة المخزومي

وعندما خطب نزهون بنت الوزير القلاعي رجل قبيح وذلك أن حبه فيها قاده إلى خطبتها أجابته ساخرة^٥ :

^١ انظر نزهة الجلسae، ص ٩٣. حيث عقب على هجاتها ولادة بقوله (لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقديم).

^٢- انظر المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢٣ وص ٢٢٨ . وانظر الاحاطة، ج ، ١ ص ٤٣٤ .

^٣ نزهة الجلسae، ص ٩٩ . نفح الطيب، ج ٦ ، ص ٣٢

^٤ ابن الآبار، تحفة القادر، ص ٥٨٤ عن مجلة المشرق نشر الفريد البستاني سنة ١٩٤٧ . نزهة الجلسae، ص ٩٩ - ١٠٠

^٥- بغية الملتمس ، ص ٥٣٠ . وابن الآبار محمد بن أبي بكر القضايعي ، تحفة القادر ، ص ٥٨٤ .

سفيه الإشارة والمنزع^١
 يروم به الصفع لم يصفع
 ووجه فقير إلى برقع

عذيرى من عاشق أنوك^١
 يروم الوصال بما لو أتى
 برأس فقير إلى كية

وباستقراء نتاج شعر نساء الأندلس في هذا الاتجاه نجد أن بعضهن قد تطرفن في الهجاء لدرجة كانت قريبة من المجون وروح الفحش وقد كان هذا اللون منتشرًا لدى نساء ذلك العصر. وقد كان لهن مواقف مع الرجال تتم عن قلة الاحتشام وعدم المبالاة فأطلقن الكلام بألفاظ قاسية وقمن بالوقوف أمام الرجال بلا خجل أو مراعاة لقواعد الآداب والأخلاق، وقد يكون سبب ذلك كثرة الاختلاط بالرجال وانتشار مجالس الأنس واللهو ورقة الحضارة، وقلة الضوابط الأخلاقية في ذلك المجتمع^٢.

^١- الأنوك : الأحق . يروم : يريده.

^٢- وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٣١ .

المطلب الخامس

الشكوى

أجادت الشاعرة الأندلسية فنا آخر من فنون الشعر السائدة آنذاك وهو الشكوى والاستعطاف وأكثر ما بثت شكاها في غزلها، فمن صور الشكوى في الغزل قول قسمونة^١:-

ياظبيه ترعى بروض دائمًا اني حكيمتك في التوحش والحدور
أمسى كلانا مفرداً عن صاحب فلنصلط برأبدًا على حكم القدر

وأشارت الشاعرة الأندلسية في بعض أشعارها إلى ما تلاقيه من نك وآزمات كتقبلات الزمان وغدر الليالي، والشباب الذي بدأ في الأفول وال عمر الضائع. وقد أثرت الشيخوخة في بعض الشواعر الأندلسية فشكون طول العمر وعلو السن وانهداد القوة وترابع الهموم فلما أنسنت مريم بنت يعقوب وبلغت السابعة والسبعين رسمت لنا صورة رائعة عن حالتها فقالت:-^٢

وَمَا يَرْتَجِي مِنْ بَنْتِ سَبْعِينِ حِجَّةَ
وَسَبْعِ كَنْسِيْجِ الْعَنْكَبُوتِ الْمَهَلَّلِ
تَدَبَّ دَبِيبُ الطَّفْلِ تَسْعَى إِلَى الْعَصَا
وَتَمْشِي بِهَا مَشِيَّ الْأَسِيرِ الْمَكْبُلِ^٣

وبلغت الشكوى ذروتها عند قسمونة فشككت مضي الشباب وراعها ألا يتقدم إليها أحد، وهي الجميلة الوسيمة فقالت معبرة عن تجربتها:^٤

^١- انظر نفح الطيب ، ج ، ٥ ، ص ٧٤ .

^٢- انظر جذوة المقتبس، ص ٣٨٨ . وبعية الملتمس ، ص ٥٢٨، وبعية الملتمس ، ص ٣٨٨ .

^٣- المهلل: الرقيق، الضعيف، المكبل: المقيد.

^٤- انظر نفح الطيب، ج ٥، ص ٧٣ . واعلام النساء، ج ٤، ص ٢٠٧ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٣٢ .

أرى روضة قد حان، منها قطافها
ولست أرى جان يمد لها يدا
فواأسفا يمضي الشباب مضيعا
ويبقى الذي ما إن اسميه مفردا

وفي شكوى الزمان وتقلب صروفه وغدر الأيام قالت بثينة بنت المعتمد هذه الأبيات مودعة
إياها حكمة السنين وموعظة الأحداث^١ :

ما يعلم المرء والدنيا تمر به	بان صرف ليالي الدهر محذور
يبینا الفتى متزد في مسرته	وافي عليه من الأيام تغيير
وحر خسرا فللا أيام دمن له	ولا بما وعد الابرار محبور
من بعد سبع كاحلام تمر وما	يرقى الى الله تهليل وتكبير
يحل سوء، بقوم، لامرد له	وما ترد من الله المقادير

^١ - انظر مختارات من الشعر الاندلسي، ص ١٠٥ ، وانظر الحلة السيراء لابن الآبار.

المطلب السادس الاعتذار والعتاب

شاركت المرأة الأندلسية في غرض آخر وهو الاعتذار، فقد قيل "نعم البديل من الزلة الاعتذار"^١ ، فلم تتوانى في بيان أسفها لما صدر عنها من قول أو فعل قد أساء لغيرها ، ومن هذا القبيل تقول ، أم العلاء بنت يوسف الحجارية معذرة عما بدر منها تجاه الآخرين^٢ :

بـهـ الشـواهـدـ وـاعـذـرـنـيـ وـلـاتـلـمـ	اـفـهـمـ مـطـارـحـ أـحـوـالـيـ وـماـ حـكـمـتـ
شـرـالـعـاـذـيرـ ماـ يـحـتـاجـ لـكـلـمـ	وـلـاتـكـلـنـيـ إـلـىـ عـذـرـأـيـنـهـ
أـصـبـحـتـ فـيـ ثـقـةـ مـنـ ذـلـكـ الـكـرـمـ	وـكـلـ ماـ جـثـتـهـ مـنـ ذـلـكـ فـبـمـاـ
وقالت أيضا : - ^٣	

مـةـ لـلـصـبـابـةـ وـالـغـنـاـ	لـوـلـاـ مـنـافـرـةـ الـمـدـاـ
وـجـمـعـتـ أـسـبـابـ الـمـنـىـ	لـعـكـفـتـ بـيـنـ كـوـؤـسـهـاـ

وفي الاعتذار المشوب بالدعابة والحكمة تقول أم العلاء لرجل أشيب خطبها فبعثت إليه^٤ :-

فـالـلـلـيـلـ لـاـ يـبـقـىـ مـعـ الصـبـحـ	يـاـ صـبـحـ لـاـ تـبـدـ إـلـىـ جـنـحـيـ
بـحـيـلـةـ فـاسـمـعـ إـلـىـ نـصـحـيـ	الـشـيـبـ لـاـ يـخـدـعـ فـيـهـ الصـبـاـ
يـبـيـتـ فـيـ الـجـهـلـ كـمـاـ يـضـحـيـ	فـلـاـ تـكـنـ أـجـهـلـ مـنـ فـيـ الـورـىـ

ومن شعر أنس القلوب قالت معذرة لما بدا منها من تقصير نحو الآخرين أبياتا فيها رقة واعتذار، وخشوع تقرب من روح التبتل والابتھال^٥ :

^١- انظرا بن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٩٤ تحقيق محمد سعيد العريان، ط—— ٢٠ مطبعة الاستقامة ١٩٥٣.
^٢- انظر نزهة الجلسae، ص ٢٣. وفتح الطيب، ج ٥، ص ٣٠١-٣٠٢. والدر المنشور، ص ٥٤.
^٣- انظر المغرب ، ج ٢، ص ٣٨. بغية الوعاء، ص ٢٢. تاريخ الأدب العربي في المغرب، ج ٤، ص ٥٠٦-٥٠٧.
^٤- انظر نزهة الجلسae، ص ٢٣. وفتح الطيب، ج ٥، ص ٣٠١ . والدر المنشور، ص ٥٤.
^٥- انظر نفح الطيب، ج ٢، ص ١٤٧. وقيل إن أبا المغيرة وضعها على لسانها. نفس المصدر، ونفس الصفحة.

فكيف منه اعتذاري ؟	أذنبت ذنبا عظيما
ولم يكن باختياري	والله قدرهذا
يكون عند اقتدار	والعفو أحسن شيء

وحين مال ابن زيدون لجارية ولادة واسمها عتبة، أرسلت له هذا العتاب المؤدب^١ :-

لم تهوجarti ولم تتخيّر	لو كنت تتصف في الهوى ما بيننا
و Jenat للغصن الذي لم يثمر	وتركت غصناً مثمرة بجماله

هذه أهم الأغراض الشعرية التي أكثرت في نظمها الشواعر، ومن الملفت للنظر أنهن في شعرهن لم يتعرضن إلى وصف الطبيعة وصفاً مستقلاؤ الذي عرف به معظم شعراء الأندلس. غير أننا وجدهن بيتين لأم العلاء في هذا الغرض ينميان عن موهبة رائعة في رسم لوحات الطبيعة الفنية قالتا^٢ :

لله بستانى اذا ييفو به القصب المندى	فكانما كف الريا
ح قد اسندت بinda فبندأ	

^١ - انظر ديوان ابن زيدون، ص ٣٣. الذخيرة، ج ١، ص ٤٣١ - ٤٣٢. فوات الوفيات والذيل عليها، ج ١، ص ٢٥١. وانظر ثمام المتون في شرح رسالة ابن خلدون، خليل الصfdi، ص ١١.

^٢ - المغرب ، ج ٢، ص ٣٨ ..

المطلب السابع

الموشحات

الموشح من الفنون التي عرف بها الاندلسيون ومنهم انتقل الى المشرق^١. وقد حاولت المرأة الاندلسية أن تشارك أخاها الرجل في هذا الابتكار فبادرت إلى صناعة الموشحات أيضا. فعرفت الشاعرة أم الكرام بصناعة الموشحات في محبوبها الفتى السمار.

ولما صنع والد الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل قسما من الموشحة أتمتها ابنته قسمونة. ومع ورود هذين الخبرين في المصادر القديمة، فلم يصل إلينا من موشحاتهما شيء إلا أن المصادر حفظت موشحة غزلية لشاعرة أخرى هي نزهون عارضت فيها موشحة لشاعر مجهول، عارضها الشاعر المجهول نفسه، وهذه الموشحة تدل على قدرة التعبير لدى الشاعرة في صنع الموشحات، وربما صنعت غيرها ولم تصل إلينا قالت:

طرفه الاحدور	بابي من هدم جسمي والقوى
ويح من غدر	وسقاني ماسقى يوم النوى
تاه واستكبر	كلما رمت خضوعا في الهوى
رهن أشجان	ياله من شادن صيرنـى
عند رضوان	لم يدع في الحور منه عوضا
يقطف الزهرا	مربي في ديرب من سربـه
يبتغي الاجرا	وهو يتلو آيات من حزبه
آية آخرـا	بعد ما ذكرني من حبه
فهو في شأنـ	قلب القلب على جمر الغضا
خشية الهرـج	حفظ الله حبيبا نزحا

^١- صلاح الدين الصفدي ، توضيح التوشيح ، تحقيق حبيب مطلق ، بيروت ، دار الثقافة ، ط ١٩٦٦ ، ١٩٦٦ م ص ٢٠ . وانظر د. مصطفى عوض الكريم ، فن التوشيح ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ١٨ .

^٢- آخرـا : بحد في الكلمة زحاف : أخرى .

^٣- انظر مجلة علوم اسلامية ، المجلد الأول ، عدد ١ ، ١٩٦٠ ، ص ٥ . وانظر المرأة في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي ، ص ٣٣٦ .

المبحث الثاني

الخصائص الفنية

في شعر النساء

تمهيد:

من الصعوبة بمكان الحكم على شعر شواعر الأندلس وما حواه من خصائص وسمات فنيه، وذلك لقلة شعرهن المتوفر في المكتبة العربية^١، فقلة شعرهن جعل الناقد يحجم عن إعطاء حكم دقيق يطمئن به، لأنها قد لا تحتوى بالضرورة كل السمات الفنية الحقيقة في عموم شعر المرأة الذي قالته في وقتها وقبل ضياعه، ثم أن تلك القلة في الموجود منه ورد فيها أبيات غالب عليها طابع السرد عموماً، وبعض شعرهن غالب عليه ركاكتة الألفاظ وضالة العاطفة والخيال، مما جعلها غير مدهشة أو باعثه على الإعجاب من معجبي الشعر^٢، ومثال ذلك رد نزهون على أبي بكر المخزومي حين تقول^٣ :

إن كان ما قلت حقا
من نقضى عهد كريم
فصار ذكري ذميمـا
يعزى إلى كل لوم
وصرت أقبح شيءـا
في صورة المخزومي

أو قول صفية بنت عبد الله في ردتها على من عابت خطها^٤ :

وعايبة خطى فقتل لها إقصري
فسوف أريك الدرب في نظم أسطري
وناديت كفني كي تجود بخطها
وقربت أقلامي ورقني ومحبري
ليبدو لها خطى وقتل لها انظري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها

والى غير ذلك من الأبيات التي اتسمت بالقريرية وانحصر فيها الخيال. وليس معنى هذا أن شعرهن قد خلا من الصور الفنية، بل ان في بعضه صوراً جمالية رائعة كشعر أم العلاء في

^١ - انظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٤٠ . بتصريف .

^٢ - انظر الموسوعة الشعرية ، زهرة الجلسا للسيوطى، ص ٦١/٧٤ .

^٣ - انظر الموسوعة الشعرية ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال، ١٢٩٣/١٢٩٩ .

الاعتذار، جعل النقاد القدامى يشهدون لهن بالتقدير والإبداع.^١ "فأول ما يطالعنا أننا نحسن بالقرب منه، ولكننا نلمح عماً وراء البعد"^٢ قد يكون القرب من النفس بسبب صدق التجربة وحرارة الإحساس ونجاحها في التعبير عنها تعبيراً موفقاً (وكانها أصابها الحدث)^٣ ، وكانت تجاربها كما قيل (لقاحاً للخواطر)^٤ . وقد عكست واقع حياتها متزجاً برغباتها وأمالها ومعتقداتها^٥ . وقد جاء شعرهن متضمناً ما هو إنساني بحت أكثر من فرديتها.... وتمثل بالضميرين (أنت وهو) اللذين ورداً فيه أكثر من الضمير (أنا) ، الذي يدل على الآنية والفردية والذاتية^٦ .

^١- انظر شعر أم العلاء في الاعتذار في الصفحات السابقة.

^٢- انظر د. علي جواد الطاهر ، مقدمة في النقد الأدبي ، ص ٤٥٩ . ط ٢ لسنة ١٩٨٣ .

^٣- انظر ارشيا مكليش ، الشعر والتتجربة ، ص ٢٣ ترجمة سلمى الخضراء مراجعة توفيق صايغ.

^٤- انظر ابن سعيد ، اختصار القدر المعلى في التاريخ الخلقي ، ط ٢ ، ص ٥٧ تلح إبراهيم الإيباري ، بيروت ، ١٩٨٠ .

^٥- كتاب أرسسطو طاليس في الشعر ، ص ٣ . نقل أبو بشر محيى بن ونس من السرياني إلى العربي. تحقيق د. شكري محمد عباد. دار الكتاب ١٩٦٧ .

^٦- انظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص ٣٤١ . بتصرف.

المطلب الأول

ميزات شعر المرأة

أهم ما يميز شعر المرأة أنها لم تتقييد باتجاه فني خاص، حيث أنها احترمت كل الاتجاهات فكونت لشخصيتها ولشاعريتها صورة متكاملة... وإن سارت في الاتجاه المحافظ القديم في التعبير الذي تمثل في الغزل والهجاء والفخر والشكوى والاعتذار^١ ، وهذا ما كان واضحا في أغراضها الشعرية .

ويتمثل الاتجاه المحدث في انتشار المجنون، والمجاهرة بالمعاصي، والاستخفاف بالأخلاق، والإسفاف في ذكر السوآت والعورات، خصوصا في الهجاء معتقدة بأن الشعر يصنع من الكلمات وليس من الأفكار، فوصفت الأعضاء البدنية ولم تكشف عن الروح الشخصية باللحظة والتسجيل، وإن صورت المهجو أحيانا تصويرا " هزليا يدعو إلى الزراعة للضحك منه "^٢ ، وهي في هجائها وجدت تشجيعا من مجتمعها فاستساغه لها وتمادت فيه فقد قيل (لكل زمان ما يليق به من البيان) ^٣ . وكثيرا ما سايرت وحاقت فيه الرجال، ووصفت ساعات اللقاء والخلوات وتغزلت بالحبيب غزلا مكشوفا^٤ ، فاتسم شعرها بالجرأة والصراحة . ومثل شعر الرسائل الاتجاه المحدث عند بثينة بنت المعتمد، ذلك الشعر الذي بعثت به إلى ذويها من الأسر .

وأما فيما يتعلق بالاتجاه الشعبي الذي تمثل في صنع الموشحات، " فقد اتجهت إليه كبار الشواعر أمثل أم الكرم وقسنونة ونردون، وبه تميزت الشاعرة الاندلسية عن المشرقية.. وأثبتت قدرة في رسم الصور الغنائية البارعة في التعبير عن تجارب القلق ، والإحساس بقصبة الأيام ، والسخرية من الناس وهجومهم ، واستشعار لوعة الفراق وألم البعد. وتحدثت عن قلقها وسوء حالها وضياعها في وحدها "^٥ ، وردت في شعرها أسماء لكثير من الأشخاص والملوك

^١- انظر أحمد هيكل ، الشعر الاندلسي ، ص ٢١٦ .

^٢- انظر نجيب العقيقي ، من الأدب المقارن ، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٤٨ م ، ص ١٣٧ .

^٣- نور الدين بن سعيد، عنوان المقصات والمطريات ، ط ٢ ، القاهرة، ١٩٧٣ م ، ص ٣ .

^٤- انظر سليمان سليمان علي، المرأة في الشعر الاندلسي ، ص ٣٤٢ .

^٥- نفس المرجع ، ص ٣٤٢ .

والوزراء كـ (أبي بكر وصبح والمهدن وابن زيدون وولادة والمخزومي والاصبحي) . كل هذا يدل على سعة إطلاعها على أحوال الناس ومعرفتها بهم واحتلاطها معهم. وسماعها لأحاديثهم وأخبارهم... مزجت كل ذلك بتجربتها فكانت أشبه (من تتعظ بالتجربة، وتقبس موارد أمورها) ^١ لتنبيها في بونقة أفكارها النقدمية معبرة عن الخيانة والغدر، والحب والمحنة والقضاء والقدر والوحدة والحرمان والألم.

ومثلت في شعرها الاتجاه العربي ووجهة النظر العربية وان كانت الإشارات قليلة تمثلت في قصيدة الغسانية البجانية في مدح خيران العامري^٢ ، وكانت المرأة قصيرة النفس، ميزة القبس (ملأت العين بهجة والألف نفحة) ^٣ ، وأبدعت وأحسنت وبدت فأعجبت وشدت وأطربت ، ونرى غلبة المقطوعات التي تهبط أحيانا إلى نصف بيت كـ (عجز البيت الذي أجازته اعتماد الرميكية للمعتمد بن عباد) حين قال :

صنع الريح من الماء زرد.

فأجازته :

أي درع لقتال لو جمد.

وذلك صفة ملزمة لجميع أغراضهن الشعرية، حتى في شعر الرسائل الذي كان من المفروض أن يتسم بالطول، لكننا وجدها بثينة تقدم (تقريرا ملخصا لمشاعرها وأحساسها دون أن تلتف لما قد يكون متوقعا من رغبات ذويها) ، وهي زعيمتهن في طول قصائدها. وتطورت شواعر الأندلس إلى الشعر القصصي ظهرت بوادره في القرنين الثالث والرابع الهجريين ^٤ .

واتخذت صيغة القصص في عصر الطوائف. فاستخدمت المرأة الشعر في الرسائل بدلا من النثر. ويعد هذا نوعا من التجديد والابتكار في الشعر النسوي قلما نجده عند النسوة من أمثالهن

^١ - ابن الآبار، أعتاب الكتب ، تتح د. صالح الأشتر ، ط١، ١٩٦١ م ، ص ١٠٦.

^٢ - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٤٤.

^٣ - انظر ابن سعيد، اختصار القدح المعلى ، ص ٣.

^٤ - آنخل جثاثلث بالشينا، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٠٣ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٤٣.

في العصور الأدبية السابقة. فظهور (النزعه القصصية)^١ ، في شعرهن الذي مثّله الشاعرة بثينة بنت المعتمدة بن عباد جاء مصداقاً لما نقله لنا غرسيه من أراء القدماء (لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ) ^٢ .

ويذكر الدكتور عز الدين إسماعيل (أن التعبير القصصي أقدم أنواع التعبير الفني التي لجأ إليها الإنسان منذ البداية وليس الشعر) ^٣ . فالرسالة الشعرية التي بعثتها بثينة إلى ذويها تمثل الشعر القصصي أصدق تمثيل، وتعبر عن أصله هذا الفن عند شواعر الطوائف فقد روت لنا ما ترید الشاعرة بأسلوب فني قصصي شعري حيث قالت^٤ :-

<p>^٥ فهي السلوك بدت من الأجياد بنت ملك منبني عباد وكذا الزمان يرؤول للإفساد وأذاقنا طعم الأسى من زاد فدني الفراق ولم يكن بمداد لم يأت في إعجاله بسداد من صاني إلا من الأنكاد ^٦ حسن الخلائق منبني الأنجاد ^٧ ولأن تنظر في طريق رشاد ^٨ إن كان ممن يرجى لوداد</p>	<p>اسمع كلامي واستمع لمقالي لاتنكروا أني سبيت وأنني ملك عظيم قد تولى عصره لما أراد الله فرقاة شملنا قام النفاق على أبي في ملكه فخرجت هاربة فحازني أمرؤ إذ باعني بيع العبيد فضمّني وأرادني لزواج نجل طاهر ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا فعساك يا أبي تعرفني به</p>
---	--

^١- هنا آنخل جثاثل بالشينا فاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص ٨٠٠.

^٢- انظر الشعر الاندلسي لغرسيه غومس ، ص ١٢٢.

^٣- انظر الدكتور عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص ٢٠٧ دار المعرف لسنة ١٩٦٣ م.

^٤- انظر نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٢٠ . و الدر المنشور ، ص ٩٠-٨٩ . و مختارات من الشعر الاندلسي ، ص ١٠٤-١٠٥ . و أعلام النساء ، ص ١١٨-١١٩ . وانظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الاندلسي ، ص ٣٤٤ .

^٥- السلك ، الخيط (تنظم فيه حبات اللؤلؤ وغيرها) . الجيد : أعلى الصدر . العنق .

^٦- آل يرؤول : يرجع . يعود .

^٧- جعل الله الاسى (الحزن) زادا (طعاما) لنا (أذلنا) .

^٨- السداد : الصواب .

^٩- الأنكاد: قلة الخبر (الحاجة إلى أسباب الحياة) الفقر .

^{١٠}- النجل : الولد (ولد الرجل) . النجد ، (لابفتح فكسر أو بفتح فضم) الرجل ذو العزة .

^{١١}- سام . طلب تنظر في الطريق رشادي (ترید لي الخبر) .

وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعولنا باليمين والإعاد

وقد عدل بعضهم قصر النفس عند النسوة عموماً بأنهن (ملولات لا يصبرن على قرض الشعر مدة طويلة ، والقصيدة الطويلة تحتاج إلى جهد وجد وعزيمة)^١ ... ، ونرى تأثير التقدم الحضاري والتطور والازدهار يتطلب مسابقة الزمن لذا كانت لا تجد وقتاً للتعمر والتفكير الطويل . فغلب الارتجال على شعرها وكثرة المقطوعات فيه .

إضافة إلى أنه ليس من السهل تقدير التزامن بالفكرة الواحدة أثناء تعبيرهن ولكن يلمس القارئ في أبياتها استقلالية أو طغيان الوحدة المعنوية ، وقد يعود ذلك لظروف المتن بهن ، ولمتطلبات مجالسهن وطبيعة مجتمعهن حيث امتازت ملولاتهن بوحدة الموضوع . فلم تجمع الشاعرة بين أغراض مختلفة من مدح وفخر وغزل .

أما الغسانية فقد جمعت بين الغزل والمدح ولكن لم يصل إلينا مدحها فعليه من الصعوبة بمكان الحكم عليها . بينما أكدت نزهون في مoshحتها الوحدة الموضوعية فقد جاءت مستقلة الغرض . ولم تبلغ المرأة الأندلسية المكانة الفنية التي تبوأها الشعراً في نظمهم للمقطولات وتعديلهم للأغراض باستثناء الغسانية . كما أتسم شعرهن بالوضوح والإبانة لأنهن ابتعدن عن التعقيد لكونهن متمكنات مطبوعات فالتعقيد كما قيل (أول العي)^٢ ، وأنهن ابتعدن عن الفلسفة والجدل والمنطق ، وأن شعرهن صدر عن مران ودراسة ، خاصة بعد معرفة أحوالهن وبيئةهن وعصرهن ، فقد جبلن على محبة الشعر وفطرن على قوله . وإن خلت بعض أشعارهن من القيم والضوابط^٣ .

فالشاعر يعظم في نفسه لا محالة ، ويُخْفِي ويُظْهِر العجب وتلك " عادة قد جبلوا عليها "^٤ . ولكننا لمسنا في شعرهن (التلقائية والأصالة)^٥ ، والتمسك بالروح العربية . لقد أدخل

^١ انظر الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٦٦٨ . وانظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٤٦ .

^٢ انظر العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القمياني ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

^٣ أريث حي بولتون ، الشعر في المدارس ، ترجمة ياسين طه بن عيسى ، بغداد ووزارة الثقافة ، ١٩٧٨م ، ص ٤ .

^٤ انظر نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٠٧ . وانظر عبد العزب عتيق ، الأدب العربي في الاندلس ، ص ١٤٨ .

^٥ انظر الشعر في المدارس ، مرجع سابق ، ص ٦ .

كراتشوفسكي (الشعر العربي في الأندلس في نطاق الثقافة والأدب العالمي)^١ ، ولما كان الشعر النسوي يشكل مساحة واسعة من الشعر الأندلسي . يمكن والحالة هذه جعل شعر المرأة في تلك الحقبة ضمن الشعر العالمي في تقدمه ورقمه وابتكاره وتجديده.

المطلب الثاني

التركيب والمفردات

اتسم شعر نساء الأندلس بالعفوية والبعد عن التصنّع والتكلف فلم تحمل الشاعرة الأندلسية الألفاظ ما لا تطيق من معانٍ . فتميز عصرهن بسرعة البديهة في قول الشعر والرد على الآخرين فقد اعتبرت المرأة الشعر وسيلة من وسائل التعبير بما ملأ نفسها من عاطفة وما جاش به صدرها من نوازع^٢ ، ونجدها كذلك قد عبرت عن (الأمور المستحبة بالعبارات الصريحة) ^٣ .

واستعملت المرأة في هجائها (الركاكة والسففة بالألفاظ العامة ومعانيهم) ^٤ ، وأفحشت في هجائها وجاءت بما نفر عنه الطبع السليم (واستقصه العقل المستقيم) ^٥ ... وجدناها كلما ابتعدت عن زمان الفتح، غرقت في الإسفاف وابتعدت عن الحشمة والعروبة^٦ ... ولكن من الموضوعية أن يقيم شعر المرأة من حيث (هي) لا من حيث مدى أخلاق ناظمتها، فقد يصدر الشعر في لحظات وأوقات انفعال غير هذه التي تسير فيها حياة الشاعرة في أغلب الأوقات^٧ .

^١- اغناطيس كراتشوفسكي، ترجمة د/ منير مرسى، الشعر العربي في الاندلس ، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١م، ص ٩ . وانظر سلمى سليمان على، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٤٧ .

^٢- شكري فيصل ، مناهج الدراسة الأدبية عند العرب ، ص ١٠٩ .

^٣- الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، ج ٣ ، ص ١٠٥ .

^٤- انظر يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ١٧٦ . وانظر سلمى سليمان على، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٤٨ .

^٥- علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، لبنان، ١٩٦٩م ، ص ١٧١ .

^٦- انظر الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مرجع سابق، ص ١٦ .

^٧- أحمد بدوى ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ١٩٨٥م ، ص ٣٠٠ .

وهذا ينطبق على الشاعرة التي ارتجلت الشعر في المجالس فجاء متأنراً بانفعالها متسقاً مع ظروفها. ولم يستطع الرواية حصر زمن هجاء ولادة لابن زيدون، ولا أحد يعرف ما إذا كان قد قيل في منتدياتها. أو بعد اتهامها لابن زيدون. وعلى أية حال (وبالقدر الذي تأتي فيه ألفاظ الشاعرة متناسقة متألفة متعاطفة بعضها البعض، بدون نفك أو تكفل حكم على شاعريتها بالأصالة والموهبة والصدق)^١ ، ولنقف على طريقة استخدامهن للمحسنات البلاغية ، في إضفاء رونق لفظي على أسلوبهن . منه ما نلاحظه عند ولادة ويبدو مجئه عفويًا محض خاطرها :

يا أخي البدرسناء وسناء
حفظ الله زماناً أطلعك
إن يطل بعدهك ليلى فلكم
بت أشك وقصر الليل معك^٢

فهنا جانست الشاعرة بين النساء و النساء جناساً ناقصاً، ثم طابت بين طال و قصر في الشطر الثاني، وبين بعده و معك في الشطر نفسه. فهذا الفن البلاغي الذي استخدمته ولادة في معانيها هو التضاد حيث (جمعت بين معينين متضادين مقابلين في البيت الواحد)^٣ ، والذي يسميه البلاغيون الـ طباق نجده قد كان في أسلوب الجواري أيضاً ، تقول العبادية :-

لئن دام هذا وهذا له
سيهلك وجداً ولا يشعر

فقد جمعت بين دام و هلك ومن الشواعر اللواتي جمعن بين الأضداد وزين أسلوبهن بالمحسنات أم العلاء ومنه قولها:- مطابقة بين الليل والصبح، وببيت ويضحى:

يا صبح لا تبد إلى جنبي
فالليل لا يبقى مع الصبح
فلا تكون أجهل من في الورى
بيبيت في الجهل كما يضحى^٤

ومن مقابلات بثينة البارعة قولها :-

^١- محمد مجید السعید ، الشعر في عهد المرابطین والموحدین ، بغداد، وزارة الثقافة، دار الرشید، ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٧ .

^٢- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسی، ص ٣٤٢ .

^٣- حلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة ، ١٩٣٢ م، ص ٣٤٨ .

^٤- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسی، ص ٣٤٨ .

وقد يكون هناك غرابة في جمعهن الأضداد في البيت الواحد، ولكن يمكن جعل هذه السمة ظاهرة ملزمة لأشعارهن. وهذا ليس بغريب فحياتهن جمعت بين كثير من المتناقضات من حب جامع، ووله، ومواعيد، ولقاء، ثم صدود وهجران. مدح وإطراء مع هجاء وسخرية، مرح وفخر وكبراء مع شكوى ومرارة وحزن وحرمان، قد يكون ذلك لطبيعة الحياة التي عاصرتها، والمجتمع الذي جلت عليه خلق من طموحها معان خفيفة متناقضة الظواهر.

إن تقلب الظروف السياسية والاجتماعية خلق منها نسوة اتصفن بالغموض والحذر (تجاه الموجودات وعدم الأمان بها أو الاطمئنان لها)^٢، وربما كان سبباً من أسباب لجوء المرأة إلى هذا النوع من الفن البلاغي وتمسكها به للتعبير عن مكونات نفسها .. ومثله كثير في شعرهن. ومن الأساليب البلاغية التي اتبعتها الشاعرة في نظمها (مراجعة النظير)^٣. فاكتسبت لغتها الواضح وتراكيبيها الإبانة والبعد عن الغموض والتوعر. كقول بثينة في الكلف والعشق :-

ومثله مراجعة ولادة للنظير بين معنى ذي العرش التي تعطى معنى رب المدن في قولها:-

ومن الأساليب البلاغية الأخرى الافتتان فقد جمعت ولادة بين فتنين مختلفين من فنون الكلام في بيت واحد، هذا ما سماه البلاغيون الافتتان^٦. فقد جمعت ولادة بين المدح والسخرية في هجائها لابن زيدون حين قالت بعد أن أشارت إلى بركة كانت قد تجمعت فيها مياه الأمطار:

١- نفس المرجع ، ص ٢٤٩

٢- انظر أطروحة حميدة صالح للماجستير، أدب الزهد في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، ص ١١٠ .

٣- ويسمى التناص والاتلاف والتوفيق والمؤاجحة وهو أن يجمع الناظم امراً وما يناسبه لابتضاد ، لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى . انظر الدكتور احمد مطلوب، فنون بلاغية، ص ٢٧٩ . طـ . دار البحث العلمية - ١٩٧٥ م.

٤- انظر الموسوعة الشعرية ، المعتمد بن عباد . والحلة السيراء لابن الآبار ، ص ٥٦١ .

٥- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٤ . وفتح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٥١ .

ومثله ما جاء في بيتي مهجة عندما أهدى إليها خوخ. فقد جمعت بين المدح والوصف والهجاء.^٣ ويرى المستشرق الألماني فيلهم هوينريخ أن ولادة فنانة في الكلمة تمثل إلى نوع من الحرية في العادات لثقافتها وجرأتها^٤.

المطلب الثالث

الدلـلـات الـلـفـظـية

اللفظة لا تكون كلمة منعزلة في مدلولها، فالآلفاظ التي نخترنها في أذهاننا لها مشاركة فعالة في حياتنا الفكرية والعاطفية^٥. ومن خلال أشعارهن نجد أن هناك كثيراً من الآلفاظ والمفردات قد عبرت تعبيراً صادقاً عن واقع حياتهن إضافة إلى وضوحها وسهولتها وراحتها فقد جاءت سهلة صريحة ممزوجة مع الصرامة والقوة أحياناً معبرة عن تطور المرأة وبيان مكانتها. وبدت الآلفاظ في مظاهرها المختلفة معبرة عن (تأثير العادات والتقاليد العربية والدين الإسلامي موسومة بسمات المجتمع الأندلسي)^٦. و(دللت على ذاتها ومعاناتها وأحساسها)^٧. فالأدب (كفن جميل يتميز بمادة التعبير التي هي الفاظ اللغة)^٨.

ولقد نقلت لنا ذلك التعبير بدقة وقوة وتأثير^٩ ، فكان لها أسلوب جميل . وكنا نتوقع ألواناً من التعقيد في صنع نماذجها الفنية لما أصاب الناس من التطور والترف العقلي والحضاري^{١٠}.

^١- على صدر الدين معصوم المديني ، أنوار الربيع في ألوان البديع ، تتح شاكر هادي، ط١، بغداد ، مطبعة النعمان، ١٩٦٨، ج ١، ص ٣٢٠.

^٢- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٢.

^٣- انظر نزهة الجلسـاء ، ، ص ٩٣ . نفح الطـيب ، ، ج ٦ ، ص ٢٩ .

^٤- فيلهم هوينريخ ، مجلة الأندلس ، ص ٤٧١ - مجلد ١٩٧١ ، مقال حول شخصية ولادة .

^٥- مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة،- نسخة مصر، ١٩٦٣ م، ص ٥ .

^٦- انظر الشعر في غرناطة في عهد دولة بن الأحمر ، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة بغداد، ص ٢٨ . ١٩٨٣ .

^٧- انظر شكري فيصل ، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٧ .

^٨- انظر الفن والأدب بحث عن الجماليات والأنواع الأدبية ، ص ٨٧ .

إلا أننا لم نلمس مثل ذلك في أشعارهن، فطباقهن وجناههن لا عناء فيه ولا تعقيد فهو خال من العقد اللغوية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ثقافة ناضجة بعيدة عن الغرابة قريبة من الألفة والرقابة والطرافة. ومن المفردات التي دلت على الثقافة الدينية وإلمام الشواعر بالأيات القرآنية. تضمين أشعارهن لبعض الألفاظ القرآنية كقول نزهون :-

قلب القلب على جمر الغضا فهو في شأنٍ^١

فهنا نجد إشارة إلى الآية الكريمة: "يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن" ^٤. وغيرها من المفردات القرآنية كـ(آية أخرى) و(بيتغى الأجرا). ولا يخفى أن تضمين (الطير الأبابيل) التي وردت ولو لادة في هجائها لابن زيدون مأخوذة من قوله تعالى "وأرسل عليهم طيراً أبابيل" ^٥. ولا نجد داعياً لهاً استغلت قدسيّة الألفاظ في جمعها مع الألفاظ السمجة وغيرها كثير ^٦، مما يؤكّد مدى تأثيرهن بالقرآن واستعانتهن به شكلاً ومضموناً.

لقد خلت أشعارهن من التصوف والزهد ولكن استرتفعت أفالحا من الدين والقرآن، وقد يعود هذا التعصب إلى أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين ^٧، والعقيدة النابعة من الإسلام التي دلت على ثقافة دينية واسعة .. فقد كررت المرأة الأندلسية في شعرها أفالحا شرعية كالفاظ: (الحق، أهل الحق السبيل، التلاوة، النعمة، التيه، الموت، الصدق، الدين، مكة، حرام، الإسلام، الدنيا، رب العرش، رب المتن) .. الخ . هذا وقد أظهرت المرأة ثباتاً وصموداً وإيماناً بالخلق أمام تقلب الأحوال من المسرات إلى الأحزان، فلا يكون إلا الشكر والنعمـة والابتهاـل للـله الـذـي ترجع إـلـيـه مـقـادـير الـأـمـور وـمـنـه قـول بـثـيـنة:-

من بعد سبع كـأـحـلـام تـمـرـ وـمـا تـرـقـى إـلـى الله تـهـلـيل وـتـكـبـير^٨

^١- محمد عبد المنعم خفاجة ، الحياة الأدبية في عصر بنى أمية ، ص ١٦٨ دار الكاتب اللبناني ، ط - ١٩٧٣ .

^٢- شوقي ضيف، الفن مذاهبه في الشعر العربي ، ط٦ ، القاهرة، دار المعارف، ص ٧٧ .

^٣- انظر سلمي سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسـي، ص ٣٥٣ .

^٤- سورة الرحمن ، الآية: ٢٩: .

^٥- سورة الفيل ، الآية: ٣: .

^٦- انظر سلمي سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسـي، ص ٣٥٣ .

^٧- انظر البر حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧م، ص ٤٣ .

^٨- انظر الموسوعة الشعرية ، الحلقة السابعة للسوسيـطيـ، ص ٥٦٠ .

يحل سوء بقوم لا مرد له

وما ترد من الله المقادير

ومنه مستردد من القصة القرآنية فنجد مهجة قد استغلت قصة مريم العذراء عليها السلام
في هجاء ولادة قائلة :-

حكت لنا مريم لكنه

نخلة هذي١

وهذا مقتبس من قوله تعالى في سورة مريم (فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا
ليتي مت قبل هذا و كنت نسيأ منسيا)، واستعانت الشاعرة بمخزونات ثقافتها من المعاني
المتضمنة لأمثال العرب وحكمتهم وأقوالهم... ونكتفي بذلك جاء في بيت أنس القلوب
حين قالت معترضة :-

والعفو أحسن شيء

يكون عند اقتدار

فقد ضمنته حكمة (العفو عند المقدرة). وهي مشهورة عند العرب تدل على اطلاعها على
ثقافتهم وأحوالهم. ودللت بعض ألفاظ الهجاء على تفشي صفات ونحوت نهى الإسلام عنها
(الغالبية والنمية، ونقض العهد، والتابز بالألقاب)، ومنه قول ولادة :-

إن ابن زيدون على جهله يغتابني ظلماً ولا ذنب لي^٣

ومثله قول نزهون :-

خلقت أعمى ولكن

تهيم في كل أعور^٤

^١- انظر مهجة بنت التباني القرطبيّة ، الموسوعة الشعرية ، ص ٢٠١ . ونرثة الجلسات في أشعار النساء للسيوطى ، ص ٥٧ .

^٢- انظر الموسوعة الشعرية ، نفح الطيب للتلمساني ، ص ٩٥٢ .

^٣- انظر الموسوعة الشعرية . ولادة بنت المستكفي وفي الموسوعة " إن ابن زيدون على فضلاته " وليس على جهله . ص ١٩٨٨٠ .

^٤- انظر الموسوعة الشعرية ، لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ص ٥٥٨ . واستعارات الشاعرة هنا كلمة أعور للتلفظ
من الرجال والمنحط منهم . ونفح الطيب ، ص ١٢٠ .

كما دلت بعضها على نقشى أمراض خطرة في المجتمع الأندلسي. كالشذوذ^١. والسرقة، والشقواوات، والسفه والحمق...الخ. أما الدلالات العسكرية فقد تغلغلت، في أشعارهن وكثير ترديدها وذلك للمواقف التاريخية التي شهدتها الأندلس واضطراب أحوال البلاد.

وأكثرت بثنية منها في رسالتها الشعرية و في شعوها و فخرها. لفظة (الجيوش، الأسير، المكبل، المسدس . القواصب، البيض، الخطب)...الخ من الألفاظ التي تدل على الوضع السياسي والعسكري وخصوصية المجتمع الأندلسي. منه قول بثنية التي قد تكون منزلتها في تراكيبيها اللغوية امتدادا لأبيها الذي سجل له التاريخ مثالا حيا في الشعر الأندلسي كقولها:

وفر من حوله تلك الجيوش كما تفر إِنْ عَيْتْ صَقْرَا عَصَافِيرٍ^٢

وعلى الرغم من تردد الكثير من الألفاظ ذات المدلول السياسي والعسكري في أشعارها إلا أنها تعد من أتباع مدرسة الشعر النسوية التي اعتمدت الجرس الرقيق في بيان الألفاظ ووضوح المفردات، ولو أخذنا شعر مريم، لوجدناه بمستوى متميز في الشعر، متین اللغة، قوي التركيب، نقيا بعيدا عن التكلف، كما نجدها ملتزمة في ألفاظها لم يصدر عنها إلا كل لفظ جيد كريم^٤.

وأما شعر نزهون فيغلب عليه طابعين، طابع غريب الألفاظ متلكف، والآخر ترسله على سجيتها في غاية الرقة والوضوح. وإذا قارنا طابع شعر أنس القلوب بشعر الغسانية البجانية فهو دون المستوى اللغطي، فإن ما مثلته الغسانية فيه قوة الألفاظ.. نقف أمام ألفاظ أنس القلوب فإنها تتميز بالوضوح والسهولة كـ (عذر، نار، اعتذار، جار، أوطار)، فشعرها واضح يفهمه السامع دون جهد.

أما الحالة النفسية التي تملكت الألفاظ ولادة حين تغزلت بابن زيدون كانت غير الحالة النفسية التي تملكتها حين هجته فاتسمت ألفاظها بالقوة والصرامة والفحش والابتعاد عن الرزانة والحياة.

^١- المصدر نفسه. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٥٥٨.

^٢- المسدس: نعت أطلقته ولادة على ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، ص ٣٣.

^٣- انظر الموسوعة الشعرية ، الحلة السيراء لابن الآبار ، ص ٥٥٩ .

^٤- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٥٥.

على حين نجدها عند الفرح سريعة متاهفة، فجاءت ألفاظها متسمة بالرقابة واللطفة واللذين والعذوبة ، لذا فإنها اختارت لشعرها الألفاظ المناسبة الرقيقة^١ . وهناك ألفاظ تدل على تطور الحياة الحضارية، جاءت واضحة في تشبيهاتها وقد مثلت طبعهن الأنثوي في محبتهن للحلبي والزينة. منها لفظة : خلال، سوار، عقد، لؤلؤ ..

وأما من حيث الرقة والبساطة فقد اختارت شاعرة الأندلس من الألفاظ ما يناسب العواطف من الناحية الفنية وبما توحيه من معان، بحيث صاغتها في بساطة، وأحسنت واستهدفت فكونت لها منهاجاً مختاراً يحسه السامع ويلمس رقته، في كونها ابتدعت في أسلوبها عن الإيجاز المخل والتطويل الممل ولم نجد عندهن سخيف معنى وإن عثرنا على بعض الألفاظ التي التجأت إليها الشاعرة قد سخفت معناها كألفاظ نزهون في استعمالها للقاذورات ولولادة في استعمالها للعورات .. إلا أن الأندلسية تميزت باختيارها ما يناسبها من الألفاظ لتناسب الفن الشعري لوناً يجليه ويوضح معانيه^٢ .

فالالفاظ الغزل والمدح والشكوى فيها من الخفة ودلالة المعاني ما أكسبها الوضوح التام ومنه على سبيل المثال لفظة أنيق . أحسنت الغسانية في اختيارها، فهي لفظة بسيطة متداولة لا تحتاج للرجوع إلى المعاجم لفهمها حين سمعها كقولها:

عهدهم والعيش في ظل وصلهم أنيق وروض الدهر أزهريان^٣

ومن مظاهر البساطة والرقابة (التلاؤم والانسجام) بين المفردات والمعاني .. فقد أحسنت في ملامعتها بين اللفظة وانسجامها مع التراكيب الأخرى وشاكلت مشاكلة دقيقة ففي قولها:-

وقد كنت أوقات التزاور في الشتا أبیت على جمر من الشوق محرق^٤

^١ - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٥٥.

^٢ - انظر الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ٢١٤.

^٣ - انظر الموسوعة الشعرية ، الغسانية البجانية ، والمغرب في حلبي المغرب لابن سعيد المغربي ، ١٠٥٧ . وجذوة المقتبس للحميدي ص ٨٣٨ .

^٤ - انظر الموسوعة الشعرية ، نزهة الجلساء في أخبار النساء للسيوطى ، ص ٦٧ . انظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٥٦ .

كأنها نحت من ألفاظها نحتاً لتعبر عن شدة اشتياقها فنفس بقوه وعنف حبها من خلال الصورة المتناسقة المنسجمة الألفاظ، فاختيارها للفظة الشتاء ، وما توحيه من البرودة القارصه والليل الطويل انسجمت بما أوحته من توهج وتقد الحرارة مع لفظة محرق.

والأمثال على هذا كثيرة فهي تدلل على رفعة ذوق الشاعرة فقد تحققت عندها "البلاغة في الألفاظ لا في المعاني ". وأحسنت الشاعرة في اختيارها الألفاظ معبرة عن هموم حياتها ومجتمعها بحيث خدمت أغراضها، ومنه استخدام قسمونة للفظ فوا أسفًا التي تدل على التوجع والنوبة أعطت معنى ظاهراً لشدة اللوعة والحزن وانسجمت مع الضياع والوحدة، حين قالت:-

فوا أسفًا يمضي الشباب مضيًعا
ويبقى الذي ما إن أسميه مفرداً^١

وفي توظيف مفرداتهن وانسجامها مع المعنى قد يعب على نزهون استعمالها للفظة أنوك. فقد أدت إلى وقفة طويلة في البيت، ولو استخدمت لفظة أحمق لانسجمت مع لفظة سفينه. وتكرارها للفظة يروم، ولفظة فقير أدى إلى ضياع المعنى وقلة الجمل المترادفة في قوله:

سفيه الإشارة والمنزع ^٢	عزيزني من عاشق أنوك
يروم الصفع لم يصفع	يروم الوصال بما لو أتى
ووجه فقير إلى كيّة	برأس فقير إلى برقع

وقد انتقد ابن زيدون ولادة في قوله (سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا)^٣، فجاء أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له .

^١- انظر الموسوعة الشعرية ، نفح الطيب للمقربي ، ص ٣٦٠٧ .

^٢- انظر تحفة القادر لابن الآبار ، ص ٣٤٧ .

^٣- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٧٨٣ . ونفح الطيب ، ح ٥ م ٣ ص ٣٣٨ .

المطلب الرابع

المعانى

كانت الشاعرة الأندلسية على قدر كبير من الثقافة مما جعل لديها القدرة على اقتباس المعاني والألفاظ والأساليب والتراتيب أكثر من الشواعر اللائي لم ينتقفن هذه الثقافة، وإن كان حظ معانيها من الابتكار ضئيلاً إلا أن نماذجها الشعرية حفلت بألوان المعاني التي كانت جذورها عميقة في أدب المرأة العربية قبل عصر الطوائف. وإذا أتيح لها أن تقتبس من آثار سابقتها فليس يعني أنها تعيش كلاً عليهم. ذلك لأن الإفراط فيأخذ المعاني يعد عيباً في عرف النقد العربي.^١

إلا أن الأندلسية تميزت بشاعريتها المطبوعة وذكائها وسرعة بديهتها ، وأثبتت قدرة ومهارة، أما التقليد والمحاكاة فهو أمر فطري موجود عند الناس منذ الصغر ، حيث سارت معهن - أي مع المرأة العربية - في طريق واحد متشابه الأرجاء والنواحي^٢ ، وسايرتهن في الذوق الأدبي العام لذلك العصر ولكنها برزت في سرد معانيها في وقائع معروفة وألستها حللاً جديدة لذا اكتسبت معانيها جدة وقوة .

ولم تتورع الشاعرة الأندلسية عن وصف مفاتن صاحبها المادية مؤكدة في شعرها الغزلي الانصراف إلى تجربتها الذاتية .. قد يكون لفلسفة ابن حزم الظاهري أثر في ذلك^٣ .. فقد تضمن شعرهن دروساً قيمة في أحوال المحب والحبيب واللقاء والفراق وغفلة عين الرقيب. كالذي نجده في أبيات نزهون التي جاء فيها :-

لوكـتـ حـاضـرـناـ فـيـهاـ وـقدـ غـفـلتـ عـيـنـ الرـقـيـبـ فـلـمـ تـنـظـرـ إـلـىـ أـحـدـ

^١- أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، القاهرة ، مكتبة لكتبة مصر ، ١٩٥٨ م ص ٣٥ .

^٢- نفس المصدر ، ص ٣٥١. وانظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٥٨ .

^٣- انظر أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندرس ، جع سابق ، ص ١٧٣ .

^٤- ابن حزم ، طوق الحمام ، ترجمة الدين القاسمي ، تونس ، دار بو سلام ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٧ .

^٥- انظر الموسوعة الشعرية ، فتح الطيب للمقربي ، ص ٤٣٧٥ .

وكقول الشاعرة الغسانية:-

وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ عِنْدَ رَحِيلِهِ
وَلَا فَعِيشَ تَجْتَنِي مِنْهُ أَحْزَانٌ^١

ومثل هذه المعاني كثيرة لا يتسع المجال لذكرها. ومن المعاني التي جسدها، طلب معالي الأمور. والإيمان بالقضاء والقدر، وتقول أنس القلوب في هذا السياق:-

وَاللَّهُ قَدْرُهُذَا
وَلَمْ يَكُنْ بِأَقْتَدَارٍ^٢

ولقد أثبتت المرأة صمودها، وإيمانها بالخالق أمام تقلب الأحوال من المسرات إلى الأحزان، وترى بثينة مؤمنة بقضاء الله وقدره في قراره نفسها حين تقول :

يَحْلُّ سُوءُ بَقْوَمٍ، لَا مَرْدُلَه
وَمَا تَرَدَّ مِنَ اللَّهِ الْمَقَادِيرِ^٣

وفي مدحها أكدت بعض المعاني السامية كالكرم، والفضل، والعطاء والقوة والتخلص عن البخل، والإشادة بالجود، وعراقة الأصل^٤. وأظهرت الإجازات الشعرية في الصفحات السابقة معانٍ جميلة ووسائل معنوية متينة بين الجارية وسيدها، والبنت وأبيها، مجسدة دعم الصلات الأسرية. وصورت بعض أشعارهن صورة المرأة المسلمة المتمسكة بمبادئ الدين الملزمة بأخلاقياته العربية النابعة من معانٍ الفكر والعقيدة الإسلامية وقيمها الأصلية، تقول ولادة:

يَحْسِنُ مِنْ لِينِ الْكَلَامِ فَوَاحِشًا
وَيَصْدِهِنَّ عَنِ الْخَنَا إِلَاسْلَامٌ^٥

وفد أعادت طبيعة الأندلس وظروفها على النظم في الشكوى والفاخر لذا نجد معانٍ لها وجاذبية عميقه تدور حول الحرمان واللووعة والأسف والحيرة فهي شاكية باكية متقطعة ألمًا

^١- انظر الموسوعة الشعرية ، الغزل في شعر الغسانية . وانظر جنوة المقتبس للحميدي في الموسوعة الشعرية ، ص ٨٣٨

^٢- انظر الموسوعة الشعرية ، شعر انس القلوب . وجاء في الموسوعة الشعرية " والله قدر هذا ولم يكن بال اختياري

^٣- الموسوعة الشعرية ، الحلة السيراء لابن الآبار، ص ٥٦٠. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٥٩.

^٤- انظر المديح في الشعر مريم بنت بعقوب في الصفحات السابقة.

^٥- انظر الموسوعة الشعرية ، شعر ولادة ، وهذا البيت مقتبس من قول عروة بن أذينة القرشي: " يحسن من لين الكلام زوانيا ويصدده عن الخنا الإسلام . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٦٠ .

وبؤسا، قادرة على الإثارة والتأثير. كما أكدت معانيها على أن دوام الحال من المحال. وأكثرت في شعرها التغنى بالماضي والأمجاد وخصت في معانيها العلباء لنفسها وسبقت غيرها بسبيحة الذل والهوان، بلغت عنایتها بالمعانی عنایة واضحة فزودتنا بمعان عميقه في أبيات قليلة ومزجتها بالحقائق المتعلقة بحياتها الخاصة.

وقد استخدمت المرأة المعانى الفاحشة المقدعة التي بدت شائعة الاستعمال في ذلك العصر، معبرة عن حياة التهتك والابتذال. وقد يكون ذلك بسبب مجالس اللهو وغيرها وما أوجده من تنافس شديد بينهم في ابتكارها، فالمعانى كلها (معترضة لكل خاطر)^١ وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر^٢ ... على الرغم من إطلاقها العنان لكن في تناولها أكدت اضطراب الموازين واختلافها وضياع المقاييس.

فالنعوت التي أطلقها ولادة على ابن زيدون أعطت معان جديدة للنقد الاجتماعي. وفي هجو المرأة للمرأة تأكيد على الحقد والحسد والغيره وطغيان النفاق وفقدان الوفاء بين الأصدقاء.... فبدت المرأة أعرف بصوغ تلك المعانى وصقلها. وأكدت في شعرها شيوخ بعض العادات التي نهى الإسلام عنها، كالتابز بالألقاب وهي من العادات الذميمة للمرأة المسلمة . كـ (قول نزهون)^٣ :

خلقت أعمى ولكن تهيم في كل أعود

فالشواعر استهمن المعانى من واقع بيئتهن، فمهجة استغلت معانى اسم (ولادة) في الهجاء لتطعن بها بعد أن لمست ما في اسمها من معانى موحية للطعن بالفتاة العذراء، مستخدمة أسلوبا يدخل الغيظ إلى قلوب العذارى. هذه المعانى قد تكون في ذاتها رديئة ولا قيمة لها، أصلا، ولكن تناولتها الشاعرة ، فأضفت عليها التشبيه وألبستها حللا جديدة فأخرجتها بهذا المعنى الرائع كـ (قول مهجة القرطيبة):-

^١- انظر الذخيرة، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

^٢- انظر بشرى موسى صالح ، الأسلوب وتطوره من النقد الأدبي عند العرب ، ص ٣٨ رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٨٣ .

^٣- انظر الموسوعة الشعرية ، الاحداث في أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب ، ٥٥٨/٣٩٦٥ .

^٤- انظر الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، ص ٣٩٩ . وانظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٦١ .

لئن حلات عن ثغرها كل حائم
فذلك تحميه القواصب والقنا
^١
فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
وهذا حمام من لواحظها السحر

فهنا نجد مهجة شبهت ثغر ولادة بحراس الثغور. وربطت بين مسمها المصبoug بحمرة الشفاه وصورة حراس الثغور الذين يدافعون عن الثغور بما يسطرونه من دم فيصبح أجسادهم كما صبغت تلك الفتاة المحبوبة شفاهها وجملت أجزاء جسدها.. لكنها طردت كل الحائمين حولها. فالثغور يحميها الحراس والجنود بما عندهم من سيف صقلية ورماح طويلة وولادة تحمي جسدها بما ترسمه من لواحظ سحرها ونظراتها حيث هي قريبة إلى وقع السيف والقنا والرماح^٢.

ولعلنا نجد رقة ولطافة في التعبير، يعود على حسن ذوق الشاعرة في إخراجها للمعاني القديمة بصياغة وروح جديدة خاصة، تختلف عن معانى الشعر في تناولها للمعاني المحسوسة الدالة على صدق عاطفتها وطبيعة بلادها. قد يكون ذلك سببا في عد النقاد أبياتها من أجود الشعر وأطيبه.

وكان لها قدرة في التعبير عن معانيها باختصار وتركيب^٣. ووقفت قي اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني، ووصلت إلى هدفها بعد أن جعلت علاقة مترابطة بين اللفظ والمعنى^٤. ولقد استوحت الشاعرة أكثر معانيها من الطبيعة الغناء التي أوحت إليها بمعاني كأنها لم يسبق إليها أحد. كـ(عتاب ولادة ابن زيدون)^٥ :

وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنت للغضن الذي لم يثمر

وتعرض براعتها في معاني الصور الطبيعية التي صورتها لظهور وتبرز قبح الشيب بعد تقدم السن بالإنسان:

^١- انظر الموسوعة الشعرية، المغرب في حلوي المغرب، ابن سعيد المغربي، ٢٠٢/١٥٣٤ .

^٢- وانظر سليمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسى، ص ٣٦١ .

^٣- سعد اسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر العربي الأندلسى ، ط ٣ ، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، ص ٨٥ .

^٤- انظر ابن طاطبا ، عيار الشعر ، ص ١٤ . وانظر د.يدوى طبانة ، البيان العربي – دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ، ص ٧٢ ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

^٥- انظر الموسوعة الشعرية، فتح الطيب للمقرى، ٤١٨٠/٨٤٠٢ .

يا صبح لا تبد إلى جنبي

فالليل لا يبقي مع الصبح

وأتكأت الشاعرة الأندلسية في معانيها على التراث واصطبغت بالصبغة العربية الأصيلة التي لا تعرف المبالغة في معانٍ تتساوق فطرياً مع طبيعة واقعها الذي أكثر ما يتسم بالصدق والصراحة فانعكس على معانيها التي جاءت جلية واضحة، ولكنها بعيدة عن السطحية والتفاهة، بعيدة عن التعمق والتعقيم، قد تكون بسبب طرقها المعاني المعروفة المتداولة مع الإيجاز فجاء جارياً مع الطبع متساوياً مع الفطرة ذلك لأنها لم تحمله المعاني المزدحمة التي مثلت واقع المجتمع الأندلسي في تلك الفترة^١.

وهكذا اشتملت حقائق معانيها التي تميز بها شعرها على رقي درجتها وسمو أفكارها وتلوّن ثقافتها. فاتسم شعرها بالوحدة المعنوية وأصبحت قائمة بذاتها عند أغلب الشواعر، ولما كانت المعاني العذبة تأتي ارتجالاً على لسان الشاعرة فقد كانت عفوية الخاطر متداقة البديهة. وهكذا جاءت معاني أشعارهن التي اتسمت بطبعها المذكر. ولقد كانت الشاعرة في هجائها عبرة عن حالة جديدة فاقت فيها الرجال في إتباعها أسلوب الإسفاف وترديد بعض الألفاظ التي يتحرّج الرجال عن ذكرها^٢.

^١ - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٦٢.

^٢ - نفس المرجع.

المطلب الخامس

الخيال

للح الخيال الأدبي ارتباط وثيق بالعواطف، فالخيال القوي يحتاج إلى عاطفة قوية تعين عليه، وضعف أحدهما يؤثر في ضعف الآخر، فإذا كانت العواطف مسرفة مبالغة ذهب الخيال^١. (ملكة الخيال غامضة لا يمكن تعریفها إنما يمكن معرفتها بأثرها)^٢.

وكانت المرأة ترتجل الشعر ارتجالاً، والذي نظمته دون ارتجال جاءت معانية واضحة بسيطة، يفهمها السامع دون عناء، لبيانها، هذا طابعهن المميز. لكنها أدركت شأنها شأن الشعراء، بأن (المجاز أبلغ من الحقيقة)^٣، لذا عمدت بقصد أو بدون قصد، بفطنتها وإيمانها وتوريتها إلى التحليق في الخيال والإغراق في استعمال المحسنات البديعية كالجناس والطباق والى الصور البينية كالاستعارة والتشبيه، مما أحبه الناس وتعارف عليه عصرها. وليس الشعر صوراً وألفاظاً وعبارات فحسب، إنما عواطف وشعور وملكات قادرة يصنعها الخيال الإبداعي الخلاق، فالشاعرة خفت (ثروة كبيرة من الأخيلة)^٤، استمدتها من واقعها الطبيعي، ممثلاً بطبيعة الأغراض التي حلقت فيها صور خيالها في الغزل والشكوى ..

ولقد اختلفت مظاهر التشبيهات والخيال عندهن، فقد عقدت مقارنات في خيالها التصويري الإبداعي ممثلاً في عشقها الذي فتح لها باباً واسعاً في الخيال وفي تجسيد الصور. ووصفت شواعر الأندلس كذلك المحسن، والرغبة والميل والقبول وتصوير اللوعة في هجر الحبيب وتصوير جمال وجهه، وأثبتت جدارة في الوصف وأجادت. ولهن كذلك خيالات مبتكرة وعبارات طلية، وخصوصاً في الوصف، ولكن لم يصل إلينا منه إلا بيتين لأم العلاء واصفة بستانها متعجبة بجمالها^٥:-

^١- أحمد أمين ، النقد الأدبي ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م ، ص ٦٣ . وانظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٦٣ .

^٢- نفس المصدر ، ص ٥٤ .

^٣- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تج محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٣٢٧ .

^٤- أحمد أمين ، طهر الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج ٣ ، ص ١٥٦-١٥٧ .

^٥- انظر سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص ٣٦٤ .

للله بستانى الذى
يهموبه القصب المندأ
ح قد أسدت بندا فىندا
فكانما كف الريا

فوصفهن جاء مبثوثاً بين الأغراض ولم تستقل الشاعرة. إلا أن خيالهن اتسم بسمات منها :

أ- المبالغة :-

بالغت شواعر الأندلس في وصف الجمال الحسي للحبيب لسعة خيالهن، وتفنن بتصويره فهو بدر، وهو غزال، وهو شمس الضحى، وهو أخ الـبـدر، وهو شـادـان، وهو رـيـمـ، وهو رب^١ .. الخ، هذا ما أوحى الغزل من خيال واسع لهن. وللأندلسيين باع طويل فيه فهم إذا تغزلا صاغوا من الورد خدوذا ومن الترجم عيونا^٢. وقد غالب الخيال البديع على شعرهن، وكان من المناسب للمرأة أنها إذا تحدثت عن الهوى يكون حديثا ساذجا بعيدا عن المبالغة والخيال وجموحه. لكنهن حلقن في جوهـ وبدـا اثرـهـ واضـحاـ فيهـ، وهذه ظـاهـرةـ غير مـؤـلـفةـ عندـ الشـوـاعـرـ فيـ المـجـتمـعـاتـ الـآخـرىـ.

ويظهر تماديـهنـ في إظهـارـ مـفـاتـهنـ إـلـىـ جـانـبـ صـفـاتـ الـحـبـيبـ (ـوـهـ ماـ تـحرـصـ عـلـيـهـ أـغـلـبـ النـسـاءـ).ـ لـذـاـ اـتـسـمـ غـزـلـهـنـ بـالـجـرـأـةـ،ـ فـنـزـهـونـ تـصـورـ لـنـاـ لـيـلـةـ لـقـائـهـاـ بـالـحـبـيبـ مـعـ غـفـلـةـ عـيـنـ الرـقـيـبـ أـرـوـعـ تصـوـيرـ،ـ فـيـ تـشـبـيهـ عـجـيبـ وـخـيـالـ رـائـعـ مـعـ الـحـبـيبـ وـخـلـوتـهـ مـعـهـ،ـ وـمـنـهـاـ مـنـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ حـرـكـةـ إـلـيـانـ فـيـ خـصـوـبـةـ خـيـالـ وـقـوـةـ إـبـدـاعـ.ـ وـمـنـ الصـورـ التـيـ أـبـدـعـتـ فـيـهـاـ بـخـيـالـهـاـ الـفـيـاضـ وـمـبـالـغـتـهـاـ فـيـ الـجـمـالـ قـولـهـاـ:-

لوـكـنـتـ تـبـصـرـ مـنـ تـكـلـمـهـ
لـغـدـوـتـ أـخـرـسـ مـنـ خـلـاخـلـهـ^٣
الـبـدـرـ يـطـلـعـ مـنـ أـزـرـتـهـ
وـالـغـصـنـ يـمـرحـ فـيـ غـلـائـلـهـ

فـوصـفتـ مـحـاسـنـهـ بـتـصـوـيرـ أـبـدـعـتـ فـيـ لـمـ أـوـحـىـ لـهـ خـيـالـهـاـ مـنـ الإـجادـةـ فـيـ إـغـرـاقـ
المـبـالـغـةـ فـيـ الـافـخـارـ بـنـفـسـهـاـ،ـ وـوـصـفـهـاـ لـجـمـالـهـاـ فـأـثـبـتـتـ مـقـدـرـةـ فـيـ تـولـيدـ الصـورـ الـخـيـالـيـةـ

^١- انظر الموسوعة الشعرية ، المغرب في حلـيـ المـغـرـبـ لـابـنـ سـعـيدـ المـغـرـيـ ، ٨٠٦/١٥٣٤ .

^٢- انظر هـدىـ شـوـكـةـ بـهـنـانـ ،ـ النـقـدـ الـأـدـيـ فـيـ كـتـابـ نـفـحـ الطـيـبـ ،ـ صـ ٢٢٨ـ .ـ أـطـروـحةـ مـاجـسـتـيرـ ،ـ جـامـعـةـ بـغـدـادـ ،ـ ١٩٧٧ـ .ـ

^٣- انظر الموسوعة الشعرية ، المغرب في حلـيـ المـغـرـبـ لـابـنـ سـعـيدـ المـغـرـيـ ، ٩٣٢/١٥٣٤ .

الغريبة. ويقول غرسيه غومس في هذا السياق: (ولم يكن هذا الشعر الإنديسي مترعاً بالأخيلة فحسب، بل كان متقلباً بها حمل منها فوق ما يطبق^١). فالشاعرة جمعت ذلك كله في بيتين فقط. - ينطبق على أبيات نزهون وحدها. مثله قول أنس القلوب. حين نتأمل الصور التي وردت فيها :-

وِيدَ الْبَدْرِ مُثَلْ نَصْفِ سَوَارٍ^٢ وَكَانَ الظَّلَامُ خَطْ عَذَارٍ وَكَانَ الْمَدَامُ ذَائِبُ نَارٍ	قَدِمَ اللَّيلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ فَكَانَ النَّهَارُ صَفَحَةً تَخْدِيدٍ وَكَانَ الْكَوْسُ جَامِدًا مَاءً
---	--

فقد جنحت إلى المبالغة في التشبيه الذي بدا طريفاً. فقد شبّهت الظلام بخط العذار، والبدر بالسوار في لمعانه، ومثله التشبيه في البيت الثالث حين جعلت المدام ذائب نار وهو تشبيه رائع، وإن لم يكن جديداً انتزعته من فعل الشراب في إطفاء اللوعة كالماء في إطفاء النار. وهذه الصور الخيالية الطريقة العذبة منتزعة من وحي محيطهن لهذا وفقت إلى حد بعيد فيما ذهبت إليه. وعلى الرغم من أن صورها واضحة إلا أنها خدمت غرضها وأصابت هدفها في الوصول إلى أبي المغيرة، مما يدل على خصب خيالها وجودة إبداعها بعد كنaitها له بالبدر. وهذا الخيال التصويري برع في النسيب والمدح والفخر.

بـ- تميز خيالهن في الربط والتناسق بين الدلالة الحسية والمعنوية:

لقد تميز خيالهن في الربط والتناسق بين الدلالة الحسية والمعنوية في نقل الصورة للقارئ، فأدى استخدامها قيمة جديدة أكملت المعنى الذي أرادته بصور مثلث البيئة الإنديسية وطبعتها. كما لاحظنا أكثر ما لجأ إليه في وصف الجمال هو (الظبي والقمر) حيث الجمال والرشاقة والحرور والخفة - وللمعان، والرفعة، والسنا. وإن كانت دلالتهما جعلتهما معروفين لكل الناس. فمن هنا يمكن القول بأن جنوح خيالهن نحو الألفة والبساطة اللتين لا غنى عنهما ولا عوض بغيرهما عندهما، جاء ذلك من عقد الصلة بين الدلالات والاستعانة بها من الواقع^٣. بل هناك

^١- غرسيه غومس، الشعر الإنديسي ، ترجمة ص ٢٦ وانظر مجلة الكاتب ، بغداد، دار الحرية، عدد خاص بمناسبة الذكرى الأولى لميلاد ابن زيدون، ج ٣ ، ص ١٨-١٠ . ١٩٧٥ .

^٢- انظر الموسوعة الشعرية، نفح الطيب للمقربي ، ص ٩٥٠/٢٨٤ .

^٣- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الإنديسي، ص ٣٦٧ .

صور منتزعه من واقع المجتمع الاندلسي وظروفه فارتبطت الصور بخيالهن ومثال ذلك ما قالته
بنينة في الشكوى في نقلب الأحوال:-

تفران عاينت صقرا عصافير^١

وفرمن حوله تلك الجيوش كما

أو قولها :-

ورأى منا شموسا فعشق^٢
شهرة الشمس تجلت في الأفق

وقد يما كلف الملك بنا
قد مضى منا ملوك شهروا

ويلاحظ مثل هذا الخيال في تشبيه الشيب بالصبح في بياضه ، وتشبيه الثغر بحراس
الثغور ، والفارق بالموت ، والوصال وساعات اللقاء باعتناق الرياح للأغصان ، وبطء
السير بسبب تقدم العمر بمشي الأسير المكبل ، فخيالهن منتزع من صور واقعية حقيقة
مرتبطة بدلالة حسية متناسقة ، ومنسجمة مع الدلالات المعنوية .

^١ انظر الموسوعة الشعرية، الحلقة السيراء لابن الآبار، ٥٥٩/١٠٢١.

^٢ انظر الموسوعة الشعرية، الحلقة السيراء لابن الآبار، ٥٦١/١٠٢١.

المطلب السادس العاطفة

عرفت الاندلسية برجاحة عقلها وعمق ثقافتها، لكنها أظهرت تفاعلاً مع عواطفها، فالمرأة كونها أكثر عاطفة من الرجل. وأرهف إحساساً منه. فالشاعرة الاندلسية لم تقو على كتمان عاطفتها ولم تستطع إضمار بغضها. فمن هنا نجد شعرها متلون بألوان من الحب والكره. متسمًا بطابع الحزن والألم تارة، والفرح والدعابة والظرف تارة أخرى. وذلك لكونها لم تكتب عن الفراغ المطلق^١.

ولقد أظهرت في أبياتها (لمحات صورت أخذ العواطف الإنسانية)^٢، وسلسلة فكرتها فبيتها عن طريق مشاعرها فجاء فنها جميلاً متسمًا بصرامة مشاعرها مع سهولة عواطفها، متناسباً مع تفكيرها وقدرتها في التعبير ، ونقل الأفكار العاطفية نقلًا صحيحاً . ويبدو أنها أدركت أن فقدان العاطفة في الشعر ترتب عليه أن يصير الشعر جافاً^٣، فقد قيل إن (خير الشعر ما كان مزيجاً من عاطفة وعقل معاً)^٤.

ويقول البروفسور رينولد نيكلسن (ولعل أكثر مظاهر الشعر الاندلسي إمتناعاً هي المشاعر الرومانسية الرقيقة التي ظهرت في أغاني الحب)^٥ ، وذلك لأن المرأة ملكت من الحرية والجرأة في التعبير عن عواطفها وخوالج نفسها دون تقييد بالتقاليد المتتبعة ، فظهرت عاشقة مولعة طغت فيه عاطفتها على قلبها وتفكيرها . فظهرت نغمتها الحزينة على فراق الحبيب، كما لمحت عن أفراح الغرام وسعادة اللقاء. وأظهرت القلق من إزعاج الوشاة والرقباء. ضمنت كل ذلك تباريحة هواها وبلوها بقوة تجربتها وتأجج عاطفتها، نلمس تلون نغمة العاطفة بين حزن الفراق وهجر الحبيب، وبين تحقق القلب وطيرانه فرحاً واستبشاراً بقربه في قول نزهون :-

^١- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الاندلسي، ص ٣٦٧.

^٢- انظر غرسية غومس، الشعر الاندلسي، ص ٤٧.

^٣- انظر أنس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٧٢، ٧١-٧٥.

^٤- ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر العربي ، ط ٣، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٦.

^٥- نيكلسن ، تاريخ الأدب العбاسي ، ترجمة د.صفاء خلوصي ، بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٦٧ ، ص ٢٣١-٢٣٤.

خشية المجر^١
عندها صدري
ثم لا أدرى

حفظ الله حبيبا نزحا
جاءت البشري له فانشرا
واستطار القلب مني فرحا

فوجدناها تصرح بشعورها تجاه الرجل من حب وجفوة وعتاب، وتحس جمال جسده وتسجله، ولم تأبه من استدعاء الناس لمشاركتها في عواطفها في التحسّن، وهذا لون جديد لم تألفه عند غيرها من النساء^٢ ، لذا كانت متميزة في عواطفها فريدة في طريقة التعبير عن انفعالاتها . وبعد أن (أحبت الأميرة أم الكرام بنت المعتصم مراهقاً جميلاً يدعى السمار عبرت عن حبها في أبياتها)^٣ التي جسدت فيها صدق عاطفتها ورقة إحساسها.

ومن الشواعر الالائي اكتظ شعرهن بالشعور، وفاض بالعواطف ولادة بنت المستكفي، لذا سماها النقاد (عليه الأندلس)^٤ ... لقد أحبت وتغزلت فخفت وراءها شعرا رائعا جميلا... وتقننت في تصوير مشاعرها فجاء نبض عاطفتها قويا مؤثرا صاحت فيه الرجال . و من الشاعرات اللواتي أظهرن عنف ولادة نفسه تجاه علاقتها بالرجال الشاعرة مهجة.

وأما من حيث المشاعر فإننا نلمس تفاوتاً متبيناً بين الشواعر من حيث قوة العواطف وحرارة التجارب وصدق المشاعر، وقد يعود ذلك إلى موقف الشاعرة من الأحداث وظروفها النفسية ود الواقع القول وشدة الحافز وهذا ما ذهب إليه هنري بيرس^٥ .

كما أحدثت الطبيعة حساً شعورياً دل على رقي عاطفتها التي تمثلت بالإرهاف العاطفي الطبيعي والتجاوب الذاتي . لقد أظهرت الشواعر إباحية عاطفية سرت بيئتها، واكتفت مشاعرها، فكان للمجون نصيب من عاطفتها ذلك أنهن لم يتعرفن عن الهجاء لظروف وقفتا على بواعتها - فهاجت في نفس الشاعرة خواطرها التي دلت على بديهتها وسرعة خاطرها ..

^١- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٣٦٨.

^٢- روحية القليني ، شاعرات عربيات، ص ٢٨. الدار القومية للطباعة.

^٣- هنري بيرس، الشعر الاندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادى عشر، ص ٤٢٩.

^٤- انظر نفح الطيب، ج ٥، ص ٣٣٩.

^٥- انظر الشعر الأندلسي في العربية الفصحى، ص ٤٢٩. ، والمفيد في الأدب العربي، جوزيف الماشم ورفاقه، ج ١، ص ٢٩. ط - ١
بيروت.

ولم تنتط فنونها التي عالجت الشعر الوجданى من غزل ومديح وشكوى وفخر إلا على عاطفة صادقة. نبعت شكوى الشاعرة من وحي وجاذبها المتألم الذي أجالتها الأحوال إليه بعد أن مس الحزن شغاف قلبها فجأة مفعما بالتأثير في فوة العاطفة. لا بل نکاد نحس ونشاركها الصورة نفسها^١ .. بما نالهن من غدر ومحاولة الدهر لإذلال الإنسان في خيانته وغدره... والفخر الذي مزجته بأنات نفسها المخزونة. وتلون شعرها بالعاطفة الممزوجة بالفخر إلى نكبة أهلها وخروجها من جنتهم^٢ .. ثم تلمس عاطفة منبعثة من روح العقيدة الإسلامية تكتف بعض أشعارهن. وهذا ما تلمسه من أشعار بثينة وما مثلته في شعوها. فقلبها معمور بالإيمان - ومنهن من كانت غيرة على مبادئ الإسلام وإن كانت قد أفحشت في اللسان إلا أن قلبها ظل عامرا بنور الإيمان.

والعاطفة التي صدرت من المرأة نحو الرجل لم تتحصر نحو المرأة نفسها في الغزل والمدح والهجاء... ولقد عبرت قسمونة في بيتين عما جاشت به نفسها وضممره قلبها من شكوى ضياع الشباب وتقدم العمر دون أليف، فأظهرت تأسفها على جمالها، وقد يكون صدق التجربة باعثا على حرارة العاطفة. وفي تعبير مريم عن الشيخوخة نجد أنها تابعت الفحول من الشعراء بعاطفتها النظيفة الجياشة، وتجربتها النفسية الواقعية.

ونجد المرأة كتبت عن رقة العاطفة وخطب العواطف في أغلب الأحوال واستثارت المشاعر والوجدان^٣. فرقة العاطفة لا تستغرب عند المرأة وفي تعبيرها كما هو معروف لدى أرباب الشواعر. وربما لا تتوافق لكثير من شعراء عصرها ، وعبرت عن قلقها في هجائها بعد أن رأت الرجال يعايسib لاذعة ... وقد لا نرى تعليلاً لعواطف الشاعرة وموافها من الهجاء إلا الذي في ذلك الغرض^٤.

أما في المدح فربما تكون مزيفة العواطف، لأنها كانت متৎبة في الشعر في الأغلب، راغبة في العطاء والنوال. ووجدناها بداعها العاطفي وخارطها المطبوع كثيرة المباهاة بنفسها مفتخرة بأمجاد العرب وماضيهما التليد، متوجعة بسبب المصير المجهول الذي كان يتذكرها، واصفة هومها، مستتركة ما حل بها من تغير الأحوال وأفول العز والأمجاد،

^١- انظر سليمى سليمان على، المرأة في الشعر الأندلسى، ص ٣٦٩.

^٢- انظر الفخر في شعر بثينة .

^٣- انظر موسيقى الشعر العربي ، مرجع سابق، ص ٧. وانظر سليمى سليمان على، المرأة في الشعر الأندلسى، ص ٣٧٠.

^٤- وانظر سليمى سليمان على، المرأة في الشعر الأندلسى، ص ٣٧٠. بتصريف

وقد مثلت في بعض أغراضها استقراراً عاطفياً منبعاً من صدق تجربتها ورقعة عاطفتها وحرارة إحساسها. فالتجارب الشعرية للمرأة تختلف باختلاف (حدة الانفعال وقدرة التعبير عن ذلك الانفعال)^١. فسلكت في منهجية تجاربها ثلث انفعالاتها واختلاف تجاربها بين حب وكراهي وتأجيج الحسقة والندم جعلت الأبيات تتقد حرارة على مر العصور^٢ ، إلا أننا وجدها أبياتاً تمثلت فيها الرتابة التقليدية الخالية من روح العاطفة .

^١ - سامي مكي ، الإسلام والشعر ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٣ م ص ٢٤٠ .
^٢ - انظر محمد رجب البيومي ، الأدب الأندلسى بين التأثر والتأثير ، ص ٢٢١ - ٢٢٠ .

المطلب السابع

الموسيقى الشعرية

لم يخل شعر النساء في الأندلس من تلوين لفظي ومعنوي عفويًا جاء أم مقصوداً، وقد يكون أبرز ما أبدعه الشواعر الموسيقى الرشيقية التي حملت النقاد على تشبيه شواعر الأندلس بشواعر المشرق الكبار كـ(عليه والخنساء). (ونجد أن معظم هذه القصائد تتغنى بمطربات أو عازفات موسيقى) ^١.

وحيث تكون المغنية للشعر هي المرأة الشاعرة تكون العوامل الاباعنة على تهذيبه وتنقيمه ورعايتها قوانينه حسنة قد توافرت له وساعدت على أن تدفعه إلى الأمام بيد قوية ^٢. (إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخصوص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه) ^٣ ولكن يتهيأ لنا أن الأندلسية لم تكن من هذا النوع من الشعراء في إعدادها لأبياتها ، فقد كانت سريعة الخاطر تتشدّه ببديهية أعجزت كبار الشعراء عنها.

ولما كانت الموسيقى التي هي (لب الشعر وعماده الذي لا نقوم له قائمة بدونها) ^٤ رأينا من السمات الفنية في شعرهن أن بعضهن تعمدن استعمال أوزان خفيفة وبحور مجزوءة وسهلة تصوّر حياتهن وتناسب وذوقهن ، ورهافة حسنهن . ولا سيما في الغزل سواء في الأبيات أو في الموشحات ، كقول أم الكرام في استعمالها البحر السريع عندما تغزلت:-

يا معاشر الناس ألا فاعجبوا	مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل بدر الدجى	من أفقه العلوى للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه	فارقني تابعه قلبي

^١- انظر الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادى عشر ، ص ٤٠٠ .

^٢- انظر تاريخ لأدب العربي في الأندلس ، ص ٢٤٣ .

^٣- عيار الشعر ، ص ٥ .

^٤- انظر د. شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، مرجع سابق، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١، ص ٢٩ .

^٥- انظر الموسوعة الشعرية ، ابن سعيد المغربي ، المغرب في حل المغارب ، ص ١٠٦٧ . ونزهة الجلسات للسيوطى ، ص ٢ . والمرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، الدكتورة سلمى علي ، ص ٣٧٢ . بتصرف .

وهكذا عندما اعتمدت الشاعرة نزهون في موشحتها الطريفة والتي اشتغلت فضلاً عن خفة الوزن ورقة العاطفة، وجمال الصورة وحلوّة اللفظة، حيث اتسمت بنغمٍ خفيفٍ وحروفٍ لينة. وتأتي القافية بایقاعها وحسن تلاؤها مع القيمة الصوتية للأبيات جمِيعاً ميزة أخرى للجوانب الموسيقية في الشعر، والشاعرة، إلى جانب ذلك قد تتوسل لتحقيق الإبداع النغمي بما يخلق تأثيراً في نفوس السامعين بوسائل عديدة وطرق مختلفة^١.

ومثال ذلك قافية أبيات ولادة التي تناسقت تناسقاً محباً بطريقة محكمة القرار. (لقى، حرق، أنقى، معتقى، معدق)^٢ ، وإن كان القاف من الحروف التالية ذات الطقطقة ، استطاعت الشاعرة أن تخلق منه ترجعاً موسيقياً جميلاً، وأن تخفف من ثقله بالكسرة التي تأخذ امتداد الياءً أحياناً.

ولقد اتصفت أشعارهن بالموسيقية العالية، ولا سيما في الغزل التي اعتمدت على التناجم الداخلي وتكرار حروف فيها همس أو رنين، أو جرس عالٌ جميل وكسبت الأبيات تمواجاً صوتياً تحس به الأذن وترتاح إليه النفس. فقد كررت ولادة مثلاً حرف القاف ثماني عشرة مرة في خمسة أبيات فقط وأننا نعرف أن حرف القاف ذو نغمٍ حادٍ واهتزازٍ وقطقة يدل على رغبة في رفع الصوت والانتباه، فقد كررت هذا الحرف في هذه القطعة مرتين في البيت الأول وثلاث مرات في الثاني وخمس مرات في الثالث وأربع مرات في الرابع، وأربع مرات في الخامس ومطلع القصيدة:-

الأهل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكوك كل صب بما لقي^٣

كما عمدت الشاعرة بثينة بنت المعتمد في قصيدة لها في الفخر إلى تكرار حروف عدة ذات صوت عال كالقاف والراء والسين وال DAL لتصنع ذلك التناجم الداخلي والتلاسن الصوتي الضمني في أبياتها:

^١ انظر د. محمد مجید السعید ، الشعر في عهد المرابطین والموحدین في الأندلس ، ن، ص ٣٤٧ . والمرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، الدكتورة سلمى علي ، ص ٣٧٢ . بتصرف .

^٢ انظر الفن ومذاهبه ، ، ص ٨٠ .

^٣ انظر الموسوعة الشعرية ، نزهة الجلسات ، لسيوطی ، ٦٧/٧٤ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، الدكتورة سلمى علي ، ص ٣٧٤ . بتصرف .

من عزا المجد إلينا قد صدق
 مجدنا الشمس سناء وسنى
 أبها الناعي إليها مجدنا
 لم يلم من قال ، مهما قال حق^١
 من يرم ستر سناها لم يطـق
 هل يضر المجد إن خطـب طرق

حيث كررت بها حرف القاف خمس مرات وحرف السين خمس مرات والنون أربع مرات كما كررت حروف الراء والدال مرات عدة في قصيدتها. (ليس تكرار الحروف قبيحا إلا حين يبالغ فيه وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيرا، فالمهارة هنا في حسن توزيع الحروف حين يتكرر كما يوزع الموسيقى الماهر النغمات في نوته) ^٢.

ونحس بحلوة حرف الحاء في بيتي نزهون الذي أحدث بتكراره نوعا من الرقة والانسياب من الموسيقى المنبعثة بين ثايا الكلمات وكأنها أصيّبت بترف فني لما فيها من رنة وجمال أطراها حرف الحاء الذي يشكل أحد حروف (الحياة، الحلاوة، الحبيب) وهي الكلمات النابضة.

حللت أبا بكر محلـا منعـتـه
 سـواكـ وـهـلـ غـيرـ الحـبـيـبـ لـهـ صـدـريـ
 وـانـ كـانـ لـيـ كـمـ مـنـ حـبـيـبـ فـإـنـماـ
 يـقـدـمـ أـهـلـ الـحـقـ فـضـلـ أـبـيـ بـكـرـ

أما التكرار اللفظي فله أمثلة منها البيتان السابقان كتردد لفظة (أبي بكر). قد يراد بالصوت الأول أبو بكر صاحب نزهون، أما الصوت الثاني فقد يراد به الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق.. فقد عنيت الشاعرة بهذا الصوت لأهميته وإيجاد التأثير في تعزيز ذاتية المخاطب ومثله قول بشينة:-

يـحـلـ سـوـءـ بـقـومـ لـاـ مرـدـ لـهـ
 وـماـ تـرـدـ مـنـ اللهـ المـقـادـيرـ

أضاف تكرار صوت (لامرد) و (ماترد) نغمة موسيقية أفادت التهويل والتنغيم مع إعطاء معنى الملازمة والديومة. ومثله قول ولادة التي جاءت ألفاظها محاججة منطقية فتكرار لفظة (جرح بجرح) أحدث قوة تأثيرية ، وعن طريق المقابلة أضافت الأصوات همسا موسيقيا انبعثت من ثاياها :

^١- انظر الموسوعة الشعرية، الحلقة السيراء لابن الآبار، ٥٦٠/١٠٢١.

^٢- انظر موسيقى الشعر ، ص ٤١.

^٣- انظر ترجمة نزهون بنت القلاعي الغرناطية في الموسوعة الشعرية .

^٤- انظر الموسوعة الشعرية، الحلقة السيراء لابن الآبار، ٥٦٠/١٠٢١.

ولحظنا يجر حكم في الخدود^١

فما الذي أوجب جرح الصدود؟

لها حكم تجر حنا في الحشا

جرح بجرح فاجعلوا إذا بـذا

فاعتماد الشواعر على الأنغام الموسيقية وحلاؤه الجرس، يدل على شعور مرهف وتمكن.
فقد أفن بين الكلمة والقافية بالموسيقى المناسبة فكن حقاً شواعر ذوات مواهب. بعد أن توسيع أغراضهن واتسعت موضوعاتهن.

^١ انظر الموسوعة الشعرية، نزهة الجلسا للسيوطى، ٥/٧٤.

الفصل الخامس

شواعر الأندلس

المبحث الأول

الشواعر الجواري

مقدمة:

أسهمت المرأة في الأندلس في رفد العلوم المختلفة، وكان الأدب المجال الواسع الذي برزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت على لسانها الشعر الرقيق، فضلاً عن امتلاكها اليد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمون الأدب كبيراً من خلال مجالين: الأول: هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الأدب لما لها من جمال وفترة، إذ حركت نفسية الأديب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكترون من وصفها وتشبيهاتها، كما كان للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني : هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمّت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كنّ معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلنَّ فسطأً أكبر في هذا المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء. ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر، وضمت مصادرنا التاريخية الكثير منهن.

وبالرغم من دور المرأة هذا إلا أن المؤرخين لم يهتموا بتدوين ما كتب من شعر النساء الأندلسيات، إلا النذر القليل كالذى ذكر في كتب: الذخيرة. والمغرب والصلة والمطرب، ونزهة الجلساء، ونفح الطيب... وقد كان ذكر ذلك بتلميح خاطف و قليل. حتى أن هذا القليل المحدود الذي نقل عن شواعر الأندلس كان يتناقله المؤلفون بعضهم عن بعض دون تبسيط في النقل، ولا استفاضة في البحث عن أحوالهن وذكر أخبارهن وأشعارهن، ولقد حاولت قدر جهدي البحث عن أخبارهن من خلال الكتب التي تناولت الأدب الأندلسي^١.

^١ - وانظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٣٢ .

ولقد تصدت شواعر الأندلس لفنون الأدب جمِيعاً وأمعن في كل ذلك، إمعاناً صعب على الرجل أدرakeه في مواطن كثيرة^١ ، ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية^٢ .

وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يُعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشراة وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء^٣ . وأكثر ما تكون الغلبة والنجاج للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً. وفيما يلي عرض موجز للشواعر الجواري في الأندلس :

المطلب الأول

اعتماد الرميكي

عاشت اعتماد جارية عند الرميكي بن الحجاج^٤ . ولقد كانت تتقن فن الشعر ومن هذا الباب عرفها المعتمد بن عباد المتوفى (٤٨٨ هـ)، فلما أعجب بها وبشعرها اشتراها من مولاها ابن الحجاج .

وتذكر كتب الأدب^٥ ، أن المعتمد ركب في النهر ذات مرة ومعه وزيره ابن عمار المتوفى (٤٧٧ هـ) وقد زررت الريح النهر ، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار ... أجز (صنع الريح من الماء زرد)^٦ ... فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعراً بعد أن طال التأمل انبرت امرأة من الموجودات على ضفة النهر، فأجابـتـ: (أي درع لقتل لو جمد) فأعجب ابن عباد من حسن ما أتـتـ به . فنظر إليها فإذا هي غالية في الجمال: ولم يملك نفسه من شدة الدهشة، فـسـأـلـهاـ؟ـ أـذـاتـ زـوـجـ اـنـتـ،ـ فـقـالـتـ:ـ لـاـ.ـ فـاشـتـراـهـاـ وـتـزـوـجـهـاـ^٧ـ.ـ وـيـذـكـرـ المؤـرـخـونـ أـنـ الـمـعـتـمـدـ مـنـ شـدـةـ إـعـجـابـهـ بـهـاـ قـدـ تـلـقـبـ بـهـاـ اللـقـبـ.

^١ - عبدالله عفيفي ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، جـ٢ ، ص ١٤٠ .

^٢ - فتح الطيب ، جـ٥ ، ص ١٩ - جـ٦ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

^٣ - انظر الإحاطة ، جـ١ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٥ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان علي ، ص ٢٣٢ .

^٤ - انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، جـ٥ ، ص ١٥٥ .

^٥ - انظر نفح الطيب ، جـ٥ ، ص ٣٤٢ .

^٦ - الزرد ، الدرع المزرودة ، سميت بها للينها وتدخل بعضها في بعض ، وعند العامة الحلق الصغير

^٧ - نفح الطيب ، جـ٥ ، ص ٣٤٢ .

بعد ارتباطه بها بعد أن كان يلقب بالمؤيد والظافر^١، لينتظم اسمه حروف اسمها. اقتربا منها وإنجلاها لها^٢. وقيل انه غير اسم (روميكا) إلى اعتماد. وعرفت فيما بعد بـ(السيدة الكبرى) وكانت تكنى (بأم الربيع)، وأنجبت منه الملوك. والأميرة بثينة. وبثينة بنت المعتمد بن عباد ابنته من اعتماد الرميكية على ما جاء في المصادر التاريخية^٣.

وكثيراً ما كان المعتمد يأنس بها، (ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء وإنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة. كثيرة الفakahة لها في كل ذلك نوادر محكية)^٤. يقول أحد الباحثين (إن أدبها الجم وذكاءها أوصلاها بالمعتمد)^٥. في حين لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات ليست من الشعر في شيء ولم يرو لها من الشعر (شيء يذكر)^٦.

وعندما التقى المعتمد بالجارية الساحرة كان معه صديقه الوزير الشاعر ابن عمار الاندلسي (٤٧٧ هجري) إلا أنه أصبح عدوه اللدود في آخر حياته، وسبب هذا العداء العنيف هو هجاء ابن عمار للالمعتمد وزوجته الرميكية بقصidته اللامية^٧ الشهيرة :-

أناخوا جمالاً وحازوا جمالاً ونم فعسى ان تراها خيالاً ن رميكيتاً ما تساوى عقالاً	ألا حي بالغرب حيا حلالاً وعرج بيومين أم القرى تخيرتها من بنات الهجا
---	---

ولقد كانت لاعتماد مكانة رفيعة في دولة بني عباد، وفي ذلك يقول ابن اللبانة المتوفى سنة (٥٠٧ هجري) : (إن الدولة العبادية أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل، ولذلك ألف فيها كتاباً مستقلاً سماه (الاعتماد، في أخبار بني عباد)^٨ .

^١- الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محسن الأعيان ، القاهرة ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٩٦٤ م، ص ١٢ .

^٢- عمر الدقاد ، ملامح الشعر الأندلسي ، بيروت ، دار الشروق، ١٩٧٥ ، ص ١٦٦ .

^٣- ديوان المعتمد ص ١٠٨ ، وفتح الطيب ج ٦ ، ص ٢٠ - ٣٢١ .

^٤- نفح الطيب، ج ٦، ص ٨. وانظر أعلام النساء، ج ١، ص ٧١.

^٥- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، ص ٢٥٠ .

^٦- كرم البستاني، النساء العربيات ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤ ، ص ٥٠ .

^٧- ديوان ابن عمار الأندلسي، ص ١٢٢-١٢٣ .

* يومين، قرية بأشبيلية كانت منها أولية بني عباد. نفح الطيب، ج ٥ ، ص ٣٤٣ .

^٨- نفح الطيب ، ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ .

المطلب الثاني
بثينية
بنـتـ المـعـتمـدـ بـنـ عـبـادـ

شهدت الأميرة بثينة مباحث الحياة في الأندلس فلقد ورثت الشعر عن ذويها، وورثت الجمال عن أمها "الرميكية". وأكثرت بثينة من الشعر ولكن لم يبق منها إلا القليل عندما حلت النكبة بابيها الملك المعتمد وأسر وتعرض قصره للسلب والنهب^١. وقد نشأت بثينة في بيئة شعر وجمال إذ ورثت الشعر من ذويها ، كما ورثت الجمال عن أمها (الرميكية) .. وكانت بثينة (حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة) .

ولقد جعلها المؤرخون ضمن الشواعر الجواري رغم أنها كانت حرة من صلب الملوك. لكن الدهر قد مال عليها حيث وقعت أسيرة في جملة من سبي في قصر أبيها^٢. فجزع عليها المعتمد والرميكية. ولا يعلمان ما آل إليه أمرها. وبيعـت من أحد تجار أشبيلية على أنها جارية سرية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً معتقداً أنها واحدة من الجواري. (وأهدـاـها لـابـنـهـ)^٣. فلما أراد ابن التاجر الدخول عليها، ورأـتـ الجـدـ فيـ الـأـمـرـ اـمـتـعـتـ وـأـظـهـرـتـ نـسـبـهـاـ وـقـالتـ لـأـحـلـ لـكـ إـلاـ بـعـقـدـ يـجـيـزـهـ أـبـيـ . (وأشارـتـ عـلـيـهـ بـتـوجـيـهـ كـتـابـ مـنـ قـبـلـهـ لـأـبـيـهـ)^٤، وانتـظـارـ جـوـابـهـ . ولـقـدـ وـافـقـ الشـابـ وـوـالـدـهـ عـلـىـ رـأـيـ بـثـيـنـةـ وـوـقـعـ عـنـهـمـ كـلـامـهـاـ مـوـقـعـاـ عـظـيمـاـ وـدـاخـلـهـ سـرـورـ، فـكـتـبـتـ خـطـابـاـ إـلـيـهـ ضـمـنـتـ فـيـهـ قـصـتـهـاـ كـامـلـةـ وـجـعـلـتـ مـنـهـ قـصـيـدـةـ مـوـشـأـةـ بـحـكـمـةـ الشـيـوخـ وـهـيـ فـيـ رـيـانـ شـبـابـهـاـ ، ذـكـرـتـ فـيـ تـلـكـ الرـسـالـةـ مـاـ حـصـلـ لـهـاـ مـنـ أـسـيـ وـحـسـرـةـ (بـخـطـهـاـ وـمـنـ نـظـمـهـاـ)^٥. وـهـذـهـ الرـسـالـةـ بـعـثـتـ بـهـاـ إـلـىـ أـبـيـهـاـ فـيـ مـنـفـاهـ تـسـتـأـذـنـهـ فـيـ الزـوـاجـ مـنـ تـحـبـ ، (وـقـدـ نـظـمـتـ فـيـهـ مـاـثـرـهـ وـأـيـادـيـهـ الـبـيـضـاءـ)^٦ ، تـأـلـفـتـ مـنـ أحدـ عـشـرـ بـيـتاـ رـبـماـ كـانـتـ الـقـصـيـدـةـ كـامـلـةـ لـمـ يـسـقطـ مـنـهـاـ شـيـءـ . وـإـزـاءـ هـذـهـ الـقـصـيـدـةـ لـمـ يـتـعـرـضـ أحدـ مـنـ الرـوـاـةـ عـنـ مـدـىـ طـولـهـاـ أـوـ قـصـرـهـاـ وـذـلـكـ لـأـنـهـ لـمـ يـصـلـ إـلـيـنـاـ مـنـ هـذـهـ الـقـصـيـدـةـ إـلـاـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ إـذـ تـقـولـ فـيـهـاـ^٧

١ - الدر المنثور، ص ٩٨ - ٩٠ وأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، جـ ١، ص ١١٨ - ١١٩.

٢ - انظر النفح ، جـ ٦ ، ص ٢٠.

٣ - نفس المصدر ، جـ ٦ ، ص ٢٠. وانظر الدر المنثور ، ص ٤١ - ٤٢.

٤ - نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٠.

٥ - نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٠.

٦ - أثر البيئة في الشعر الأندلسي - عصر ملوك الطوائف ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

٧ - انظر النفح ، جـ ٦ ، ص ٢٠.

فـي السـلوك^١ بدـت مـن الـأجيـاد
 بـنت مـلكـ من بـنـي عـبـاد
 وـكـذـا الزـمـانـ يـقـولـ لـلـافـسـادـ
 وـأـذـاقـنا طـعـمـ الـأـسـىـ عـنـ زـادـ
 فـدـنـاـ الفـرـاقـ وـلـمـ يـكـنـ بـمـرـادـ
 لـمـ يـأـتـ فـيـ إـعـجـالـهـ بـسـدـادـ
 مـنـ صـانـيـ إـلـاـ مـنـ الـأـنـكـادـ
 حـسـنـ الـخـلـائـقـ مـنـ بـنـيـ الـأـنـجـادـ
 وـلـأـنـتـ تـنـظـرـ فـيـ طـرـيقـ رـشـادـيـ
 إـنـ كـانـ مـمـنـ يـرـتـجـيـ لـوـدـادـ
 تـدـعـوـ لـنـاـ بـالـيـمـنـ وـالـإـسـعـادـ

اـسـمـعـ كـلـامـيـ وـاسـتـمـعـ لـمـقـالـاتـيـ
 لـاـ تـنـكـرـواـ أـنـيـ سـبـيـتـ وـأـنـيـ
 مـلـكـ عـظـيمـ قـدـ تـولـىـ عـصـرـهـ
 لـمـ أـرـادـ اللـهـ فـرـقـةـ شـمـلـنـ
 قـامـ النـفـاقـ عـلـىـ أـبـيـ فـيـ مـلـكـهـ
 فـخـرـجـتـ هـارـبـةـ فـحـازـنـيـ اـمـرـؤـ
 إـذـ بـاعـنـيـ بـيـعـ العـبـيدـ فـضـمـنـيـ
 وـأـرـادـنـيـ لـنـكـاحـ نـجـلـ طـاهـرـ
 وـمـضـيـ إـلـيـكـ يـسـوـمـ رـأـيـكـ فـيـ الرـضـىـ
 فـعـسـاكـ يـاـ أـبـيـ تـعـرـفـنـيـ بـسـدـادـ
 وـعـسـىـ دـمـيـكـيـةـ الـمـلـوـكـ بـفـضـلـهـاـ

فـلـمـاـ بـلـغـتـهـ مـقـالـةـ اـبـنـهـ^٢ ، وـهـوـ بـأـغـمـاتـ وـاقـعـ فـيـ شـرـاـكـ الـكـرـوبـ وـالـأـزـمـاتـ^٣ ، يـجـتـرـ أـحـزانـهـ هـوـ
 وـاعـتـمـادـ . سـرـاـ بـحـيـاتـهـ وـوـافـقاـ عـلـىـ الزـوـاجـ ، وـرـأـيـاـ أـنـ ذـلـكـ لـلـنـفـسـ مـنـ أـحـسـنـ أـمـنـيـاتـهـ إـذـ جـبـ كـسـرـهـ ،
 وـأـشـهـدـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـعـقـدـ نـكـاحـهـ مـنـ اـبـنـ التـاجـ وـكـتـبـ يـهـنـئـهـ وـيـتـسـلـىـ بـحـسـنـ عـاقـبـةـ الـزـمـانـ فـيـهـ ، وـكـتـبـ
 آخـرـ رـسـالـتـهـ نـاصـحـاـ بـثـيـنةـ الـمـقـبـلـةـ عـلـىـ الزـوـاجـ قـائـلاـ^٤ :

بـثـيـنةـ كـوـنـيـ بـهـ بـرـةـ فـقـدـ قـضـىـ الدـهـرـ بـإـسـعـافـهـ

وـتـعـدـ بـثـيـنةـ رـائـدةـ مـنـ رـائـدـاتـ الـقـصـةـ الـشـعـرـيـةـ فـيـ عـصـرـ الطـوـافـ فـقـدـ سـخـرـتـ شـعـرـهـاـ (ـوـجـعـلـتـهـ
 يـقـومـ مـقـامـ النـثـرـ فـيـ الـمـرـاسـلـاتـ) .

^١ - السـلـوكـ، السـلـاكـ، الـخـيـطـ (ـتـنـظـمـ فـيـهـ جـبـاتـ مـنـ الـلـؤـلـؤـ وـغـيرـهـ لـيـكـونـ عـقدـاـ) . الـجـيدـ، الـعـنـقـ(ـأـعـلـىـ الصـدرـ) .

^٢ - نـفـحـ الطـيـبـ، جـ ٦ـ ، صـ ٢١ـ . الـمـرـأـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ جـاـهـلـيـتـهـ وـإـسـلـامـهـاـ ، جـ ٣ـ ، صـ ١٣٥ـ .

^٣ - أـعـلـامـ النـسـاءـ، جـ ١ـ ، صـ ١١٩ـ .

^٤ - نـفـحـ الطـيـبـ، جـ ٦ـ ، صـ ٢١ـ .

^٥ - رـ الـمـرـأـةـ فـيـ حـضـارـةـ الـعـرـبـ وـالـعـرـبـ فـيـ تـارـيخـ الـمـرـأـةـ ، صـ ٢٤٧ـ .

المطلب الثالث

العبادية

العبادية شاعرة من الجواري الأندلسية الالتي عشن ضمن فترة القرن الخامس، وكانت أدبية ، وشاعرة من أشعر شواعر زمانها، ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة ، حاضرة الرواية، قريبة النادرة، لها إمام تام بضروب الغناء، وكانت من توقد قريحتها وحضور بيتهما، ترتجل الشعر والأمثال) . (وقد أرق المعتضد ليلة) . (لأمر حزبه وهي نائمة) ^١ فقال :

تنام ومدنفها يسهر
وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته على البديهة بقولها :-
لئن دام هذا وهذا به
سيهلك وجدا ولا يشعر

ولم يذكر مؤرخو الأدب لهذه الشاعرة سوى هذا البيت ، ومن خلال النظر في أخبار هذه الجارية في بلاط العباديين ، يتبيّن لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكيّهم أمام عاطفهم وسلطان وجلدهم فالمحبوبة عندهم مصدر للحياة والإلهام ، حيث سجل لنا المعتضد صورة لوله بالجواري ، وإن كانت ظاهرة شائعة بالأدب ^٢ .

المطلب الرابع

أنس القلوب ^٣

تميزت أنس القلوب بجرس موسيقي عذب ، فذاع صيتها ، وكانت عند المنصور بن أبي عامر المتوفي سنة (٣٩٢ هـ) . وفي أحد مجالس الشراب بعد أن دارت الكؤوس غنت أنس القلوب ^٤ :

^١ - نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٩ .

^٢ - ديوان المعتمد بن عباد ، ص ١٧ .

^٣ - نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ . وانظر أعلام النساء ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ .

^٤ - مختارات من الشعر الأندلسي ، ص ٣٨ - ٣٩ . وانظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ٢١١ .

وبدأ البدر مثل نصف سوار
وكأن الظلام خط عذار

قدم الليل عند سير النهار
فكان النهار صفة خد

وعندما أشتدت أغنتها هذه أعجب بها أبو المغيرة^١ عبد الوهاب بن حزم المتوفى سنة ٤٢٠ هـ
وكان حاضراً فارتجل على الفور أبياتاً بعد أن عرف أنه المعنى بالأبيات:

بَيْنِ سُحْرِ الْقَنَا وَبَيْنِ الشَّفَارِ	كَيْفَ كَيْفَ؟ الْوَصْلُ لِلْأَقْمَارِ
لَطَّلَبْنَا الْحَيَاةَ مِنْكَ بِثَارِ	لَوْعَلَمْنَا بِأَنْ حَبَكَ حَقَّ
خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ	وَإِذَا مَا الْكَرَامُ هُمْ وَابْشَرُ

فلما سمعه المنصور غضب وأراد أن يقتل الجارية، لكنها بكت فأمرها بالاعتراف وقال: قولي
واصدقني إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين؟؟ فقالت الجارية: "إن كان الكذب أنجى فالصدق أخرى
وأولى، والله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لسانه وبرح الشوق بكتمني،
والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعدنة". ثم بكت فكان دمعها درر تناهى
من عقد أو طل تساقط من ورد^٢. وقال أبو المغيرة على لسانها أبياتاً:

فَكَيْفَ مِنْهُ اعْتَذَارٍ	أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا
وَلَمْ يَكُنْ بِالْخَتِيارِي	وَاللَّهُ قَدْرُهُ هَذَا
يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدارِ	وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ

وقيل : لما سمع المنصور الشعر ، هداً غضبه ورق قلبه للوزير الكاتب أبي المغيرة. ثم عفا عنه
، و وهب أنس القلوب إليه. ولقد تميزت أنس القلوب بذكاء شديد وموهبة كبيرة، فكانت سريعة الخاطر،
سخرت شاعريتها بذكائها، فاستطاعت أن تصل إلى من تبتغي وتحقق آمالها دون عناء.

^١ - جنوة المقتبس، ص ٢٧٣ ، ترجمة (٦٥٨) . والذخيرة، ج ١ ، ص ١٣٢ - ١٤١ .

^٢ - أعلام النساء ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

^٣ - مختارات من الشعر الأندلسي، ص ٣٩ ، شاعرات العرب ، ص ٢٠ . تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ح ٤
، ص ٤٩٠ .

المطلب الخامس

عتبة

عتبة جارية الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي توفيت عام (٤٨٤ هجري). وقيل: كانت جارية سوداء، بديعة الغناء^١، وفي أحد مجالس اللهو والأنس، وبعد أن سعد ابن زيدون بلقائه مع صاحبته ولادة. غنت (عتبة) وقالت منشدة^٢:

أحبتنا ، أني بلغت مؤمني
واسعدني دهري وواصلني حبي
فأعطيته نفسي وزدت له قلبي
وجاء يهنيني البشير بقربه

فطلب ابن زيدون من عتبة الإعادة^٣، بغير علم ولادة . فضجرت الأخيرة وظهر عليها التجمهم وغارت غيرة^٤ شديدة، بعد أن ظهر لولادة منه ميل إلى الجارية، وكان هذا سبباً مباشرًا في نفور ولادة من حبها لابن زيدون. ورجم محقق ديوان ابن زيدون أن البيتين اللذين غنتهما عتبة صاغهما لتشدو بهما عتبة وصيفة ولادة في خلصات اللقاء. وعلق محقق الذخيرة الدكتور إحسان عباس (أثبتهما ناشر ديوانه: على أنهما من شعره وليس ثمة ما يؤكد ذلك)^٥ . وحقيقة الأمر انه لا أحد يعلم أيهم نظم الأبيات إلا أن الرواة يرجحون أنها من نظم عتبة. و إلا لم تخبر عتبة مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد أن انهالت عليها ضرباً وربما كان حل للاشكال الذي وقع بينهما .

^١- ديوان ابن زيدون، ص ١٢٠ تحقيق علي عبد العظيم. والذخيرة في محسن أهل الجزيرة، ج ١، ص ٤٣١ . وانظر الذخيرة، ج ١، ص ٤٣١ .

^٢- ر ديوان ابن زيدون، ص ١٢٠ .

^٣- أبو القاسم محمد كرو، شوقي وابن زيدون في نونيتهم ، ص ١٦ مطبعة الترقى -القاهرة- ١٩٥٦ .

^٤- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٠٦ .

^٥- ديوان ابن زيدون ورسائله، ص ١٢٠ . تحقيق علي عبد العظيم.

المطلب السادس

غاية المنى

غاية المنى جارية أندلسية متأدبة. لبيبة ، تقول الشعر وتحسن المحاضرة، لها صوت حسن وصنعة جيدة بالأصوات، . وغاية المنى عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجري لأنها عاصرت المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن صمادح المتوفى سنة(٨٤ هجري) ^١ .

فهذه الشاعرة أندلسية – قد تأثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مئة لحن. وأضاف إلى العود الوتر الخامس.. وقده الأندلسيون وتأثروا به. و لم يصل إلينا شيئاً من أغانيها قيل: ^٢ إن المعتصم بن صمادح الذي كان يعمر أندية اللهو والغناء قد قدمت إليه فأراد اختبارها. فقال لها ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى . فقال لها: أجيزي. اسألوا غاية المنى ؟ فأجبت بسرعة بديهة ورقة خاطر وحضور نادر:

من كسا جسمي الضنا
وأراني مولها سيدقول الهوى أنا

فأعجب بما بدا منها من ذكاء نادر. واجتيازها الامتحان برقة وسحر فاشتراها بمئة ألف درهم، وكانت محظية عنده إلى أن ماتت ^٣ ولم تذكر سنة وفاتها. وهذه الجارية الشاعرة المغنية. السريعة الخاطر لم يقع بين أيدينا من آثار شعرها سوى هذا البيت الوحيد.

^١ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مصدر ساب الشعر النسوى ، ص ٩٥- ٩٦ .

^٢ - قلائد العقيان ، ص ٥٣ ط . باريس قدم له محمد العنابي . والنفح ، ج ٦، ص ٢٢ .

^٣ - الدر المنشور، ص ٣٥٥ .

المبحث الثاني

الشواعر الحرائر

هناك عدد من الشواعر الحرائر الالائي عشن في الأندلس وبالذات في فترة سبقت عصر الطوائف منهاهن الأديبة مزنة^١. التي توفيت سنة(٣٥٨ هجري). وصل إلينا اسمها ولم يصل شيء من شعرها ولذكائها وفطنتها وحسن خطها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لدين الله. ومن الشواعر الحاذقات لبنى^٢ كاتبة الحكم بن عبد الرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض وأتقنت فن الخط والكتابة ،وتوفيت سنة(٣٧٤ هجري).

ولاشك في أن الشاعرة الحرة أسعد حظا وأرفع مكانة وأوفر إنتاجا من الشاعرة الجارية عند الرواة والمؤرخين القدماء. ربما نظروا إليها نظرة اختفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، ولقد بلغت حرائر الأندلس وبخاصة القرن الرابع الهجري مكانة رفيعة فقد قيل عن عائشة بنت احمد بن محمد خادم القرطبيه^٣ التي توفيت عام(٤٠٠ هجري). إذ لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها فهما وأدبها وشعرا . وفيما يلي عرض موجز للحرائر من شواعر الأندلس^٤.

^١- بغية الملتمس، ص ٥٣٠ . السيوطي، وانظر بغية الوعاء، ص ٣٨٣ ط .

^٢- نفس المصدر، ص ١٥٨٩ .

^٣- انظر الصلة، ج ٢، ص ١٩٢ . ونزهة الجلساء، ص ٧١ - ٧٣ . ونفح الطيب، ح ٦، ص ٢٦ .

^٤- انظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٥٦ .

المطلب الأول

الغسانية البجانية

اسم هذه الشاعرة "الغسانية" ولقبها البجانية، نسبة إلى بحانة، ولم تذكر سنة ولادتها ولا سنة وفاتها^١. وقد جاء في المغرب نقلًا عن حافظ الأندلس عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري^٢. أبي محمد المتوفى سنة (٥٨٤ هجري) في المسهب (أنها كانت في مدة ملوك الطوائف)^٣.

فالشاعرة عاشت أعواماً من عمرها في القرن الرابع وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس. فهذه الشاعرة الأدبية المداحة التي مدحت الملوك^٤ كانت مشهورة . بظرفها وأدبها وجمال لطفها وبهائها وكمالها ، وكانت عالمة بضروب الشعر وروايته^٥ . وعارضت الغسانية القصيدة القسطلية بقصيدة طويلة لم يصل إلينا منها إلا أبيات معدودة هي عبارة عن مقدمة لمدح الأمير خيران العمري المتوفى سنة (٤١٩ هـ) وهي:

وكيـف تـطـيق الصـبـر وـيـحـك إنـبـانـوا	أـتـجزـع أـنـقـالـوا سـتـطـعـنـ أـطـعـانـ
إـلاـ فـعيـشـ تـجـنـيـ منـهـ وـأـحـزـانـ	وـمـاـ هوـ إـلاـ مـوـتـ عـنـدـ رـحـيلـهـ
أـنـيـقـ وـرـوـضـ الـدـهـرـ أـزـهـرـ رـيـانـ	عـهـدـتـهـمـ وـالـعـيـشـ فـيـ ظـلـ وـصـلـهـ
تـكـوـنـونـ لـيـ بـعـدـ الـفـرـاقـ كـمـاـ كـانـواـ؟	إـلـاـ لـيـتـ شـعـرـيـ وـالـفـرـاقـ يـكـونـ ،ـ هـلـ

^١- انظر جنوة المقتبس ، ونفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ ، ٢٠٦ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ . وأعلام النساء ، ج ٤ ، ص ١٠ ، و الشعر النسوی في الأندلس ، ص ٩٣-٩٢ .

^٢- انظر نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ - ٢٠٦ .

^٣- المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

^٤- انظر بغية الملتمس ، ص ٥٢٩ . والصلة لأبي القاسم بن خلف (ابن بشكوال) (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م، ج ٢ ، ص ٦٩٦ . وانظر الدر المنثور ، ص ٣٥٦ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ . بتصرف .

^٥- انظر بغية الملتمس ، ص ٥٢٩ . الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ . المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ . وأعلام النساء ، ج ٤ ، ص ١٠ .

المطلب الثاني

مريم

بنت أبي يعقوب الأنصاري

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الفصولي الشلبي^١ . وتسمى مريم الشلبية، وكانت تغدو على بنات سادات اشبيلية تعلمهن الشعر فهي بحق أستاذة من أستاذة الشعر في ذلك العصر^٢ . فهي أدبية شاعرة جذلة.

وكانت تمدح الملوك وتساجهم فيعطيونها من أموالهم وهداياهم ومن حليهم وحلالهم وبعث إليها (المهند) * . وقيل: (ابن المهند) ، وقيل(المهدي) بقرطاس فيه دنانير وعدد من الأبيات الشعرية ردا على جوابها. جاء فيه ما يؤكّد ظرفها وتقاها ووصولها إلى درجة من الورع بحيث شبّهت بمريم العذراء^٣ ومن شعرها:

لو أنني حررت نطق الانس والخبل	مالي بشكر الذي أوليت من قبل
وحيدة العصر في الإخلاص والعمل	يا فردة الظرف في هذا الزمان ويا
وافتت خنساء في الأشعار والمثل	أشبهت مريم العذراء في ورع

^١ - انظر جذوة المقتبس، ص ٣٨ . وبغية الملتمس، ص ٥٢٨ . والصلة، ج، ٢ ص ٦٩٤ .

^٢ - انظر المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج ٣ ، ص ١٣٣ . وانظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، ص ٢٤٠ .

^٣ - انظر نزهة الجلساء ، ص ٩٠-٩١ . وانظر بغية الملتمس ، ص ٥٢٨ . والصلة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

* ابن المهند ، شاعر مشهور كان بعد الأربعينات . ووالده المهند هو طاهر بن محمد .

المطلب الثالث

أُم العلاء

بنت يوسف الحجاري

أم العلاء شاعرة من حرائر الأندلس و من شواعر القرن الخامس، كانت تدعى أم العلاء بنت يوسف بن حزر المجلس الحجارية^١، وعرفت بالحجارية نسبة إلى بلدتها مدينة وادي الحجارة التي تقع في شمالي الأندلس^٢.

ولقد كانت أم العلاء شاعرة مكثرة محسنة للشعر جيدة النظم وفي شعرها جزالة وتحرز وكبراء، وما يؤكد كثرة نظمها قول محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف: (إن المقرى نقل عن نسخة من المغرب غير هذه التي نشرها وأكثر من تعرض لهم في طليطلة روى لهم أشعاراً ليست في نسختنا) ^٣.

وقد وصل لنا من أشعارها العذبة ثلاثة عشر بيتاً. ولم تحدد سنة وفاتها بل قال عنها صاحب المغارب إنها من أهل المائة الخامسة^٤، ومن شعرها في الغزل :

افهم مطارح أحوالى وما حكمت
ولا تكلنى إلى عذر أينما
وكل ما جئتة من زلت فيما
أصبحت في ثقمة من ذلك الكرم
شر المعاذير ما يحتاج للكلام
بـ الشواهد واعذرني ولا تالم

^١ انظر انظر جذوة المقتبس ، ص ٣٨٨ . وبغية الملتمس ، ص ٥٢٨ . الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٤ . نزهة الجلساء من أشعار النساء ، ص ٢٢-٢٣ .

^٣ انظر تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس ، ج ٤ ، ص ٥٠٦ .

٣- نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٣٨

^٤- انظر المغرب في حل المغارب ، ج ، ٢، ص ٣٨ . واعلام النساء ، ج ٣، ص ٣٢٧ .

^٥ - انظر النفح ، ج ٥ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

المطلب الرابع
أم الكرم
بنت المعتصم بن صمادح

لقبها السيوطي والمقربي عند ذكرها بأم الكرام، وهي ابنة المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي المتوفي سنة (٤٨٤هـ) ملك المرية^١، ولقد كانت شاعرة حرة نشأت في بيت ملك كريم ، وكان والدها شاعراً رزينا^٢ .

ولقد وقعت هذه الشاعرة الوشاحة (الصمادية) التي (افتخرت بها نساء العرب) في غرام فتى وسيم، كان قد اشتهر بجماله وعرف بالسمار، في دانية وراحت تشهر بحبها لأبيها الملك وإخواتها الشعراة^٣ ، ولم تضع حساباً لأبيها الملك وإخواتها الشعراة ، وحينما علم والدها بأمرها أخفى أمر السمار هذا من ذلك الحين وربما قتله فخفي أمره .

وقد بين أحد الباحثين سبب اختفاء الحبيب قائلاً (وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل أمرين: أما إن الحبيب قتله المعتصم عندما علم بعلاقته بابنته - بوسيلة أخرى - وإنما انه خاف على نفسه حالما تأكد من أن أباها الملك قد اطلع على قصتها^٤ . فالآيات الشعرية التينظمتها أم الكرم حية أثبتت فيها البراعة وبدت فيها فنانة وأديبة بارزة بصرخاتها المسموعة في الغزل ومن شعرها :

يا معاشر الناس لا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب
لو لا ه لم ينزل ببدر الدجى
من أفقه العلوى للترى
حسي بي بمن أهواه لو أنه
فارقني تابعه قلبي^٥

فهذا غزل رقيق وشعر لطيف، ولكنه قيل من أنثى في فتى ولكنها أكثر جرأة وأعلى صوتا.

١ - البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١٦٧. نفح الطيب ، جـ٥ ، ص٣٠٢.

٢ - انظر نزهة الجلساء ، ص ٢٠. ونفح الطيب، جـ٥ ، ص٣٠٢. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٦٦ .

٣ - المغرب، جـ٢ ، ص٢٠. نزهة الجلساء، ص ٢٠.

٤ - الشعر النسوي في الأندلس ، ص ٩٧ .

٥ - انظر نفح الطيب ، ، ، ج ١٠ ، ص ١٦٤ .

المطلب الخامس

صفية

بنت عبد الله الرببي

من بين الشواعر اللائي عشن في الأندلس وبخاصة في فترة القرن الخامس الهجري شاعرة شابة رقيقة القول، جيدة النظم ذات ثقة واعتداد وكبريات، هذه الشاعرة الرقيقة هي صفية الرببي التي (اتصفت بحسن الخط)^١ ، ولقد توفيت سنة سبع عشرة وأربعينات وهي في ريعان الشباب وعز الحيوية والنضارة ودون سن الثلاثين^٢ .

وربما كانت قلة الأعوام التي عاشتها سبباً من أسباب سكوت الرواة عن أخبارها مع قلتها .. ويروى أنها اشتهرت في نقل المخطوطات، لذا (اعتبرت امرأة خطها)، وأمام هذا الموقف أجابتها هذه الشاعرة بثلاثة أبيات أثبتت لها إجادتها في النظم، وجمال خطها في الكتابة^٣ ، حيث دافعت عن نفسها ورفعت هذا الاتهام الباطل الموجه إليها قائلة :

فسوف أريك الدر في نظم أسطري	وعائبة خطني فقلت لها أقصري
وقربت أقلامي ورقى ومحبري	وناديت كفي كي تجود بخطها
ليبدو لها خطني وقلت لها انظري	فخطت بأبيات ثلاث نظمتها

١ - جذوة المقتبس، ص ٤١٢ ترجمة ٩٨٥ - الصلة، ج ٢ ، ص ٦٩٣ . - الشعر النسوبي ، ص ٦٦ .

٢ - انظر الشعر النسوبي ، ص ٦٦ . وجذوة المقتبس، ص ٣٨٨ . الصلة، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

٣ - انظر في ظلال الاندلس ، ص ١١٧ . جذوة المقتبس، ص ٣٣٨ و ص ٣٨٩ . بغية الملتمس، ص ٥٢٧ .

٤ - جذوة المقتبس ، ص ٣٨٨ .

المطلب السادس

قسمونة

بنت اسماعيل اليهودي

قسمونة شاعرة يهودية من شواعر الأندلس عاشت في القرن السادس وقيل في القرن السابع كما جاء في نفح الطيب وقيل أنها من شاعرات القرن الخامس. وقيل إن والدها كان يفرض الشعر.

ومن خلال البحث في كتب الأدب لم يعثر له على ذكر إلا ما جاء في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب إذ نقل عن ابن حيان (٤٦٩هـ)^١ قوله: "كان هذا اللعين يقصد إسماعيل ابن نغرالة اليهودي، ولعله والد قسمونة من (أكمل الرجال علماً وحلاًّ وفهمًا وذكاءً، ودماثةً، وركانةً، ودهاءً، ومكرًاً، وملكًاً لنفسه)".^٢

وقد اعتنى والدها بتعليمها وتأديبها، ولما كان أبوها شاعراً على ما جاء في النفح^٣، فإنه قد وجهها نحو صنعة الشعر ، (وربما صنع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر)^٤. وتبدأ قصة نبوغ قسمونة حينما كان ينشد والدها ذات يوم ببيت يوم يقول لها أبيزي وقال لها أبوها يوماً أبيزي فتجizer بحق ومهارة وأما البيت الذي قاله الأب فهو:

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت
منعاً بظهره واستحلت جرمها

ففكرت غير كثير كعادة الشواعر الجواري والحرائر في إجارة الأبيات وقالت:

كالشمس منها البدر يقبس نوره
أبداً ويكشف بعد ذلك جرمها

ولقد اعترف الأدباء والشعراء والنقاد بتمكنها في حين أصر المؤرخون على تجاهلها وإغفال أشعارها، فلم يصل إلينا من شعرها إلا خمسة أبيات عرفنا من خلالها أنها شاعرة حملت مسحة من الجمال، ولها ثقافة وإطلاع واسع ومعرفة بأحوال الشمس والقمر، ويظهر أنها بقيت عذراء ولم تتزوج، ذلك لأنها

١ - الاعلام ، ج ٧ ، ص ٣١١ .

٢ - الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

٣ - انظر النفح ، ج ٥ ، ص ٧٢ .

٤ - نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٧٣ .

وقفت يوماً أمام المرأة ونظرت جمالها فراعها ألا يتقدم إليها أحد يطلب يدها وهي الوسيمة وقد (بلغت أوان التزويج)، فقالت معبرة عن شعورها آسفة على جمالها :

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا
فواأسفا يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها والدها (فنظر في تزويجها) ، ولم يعرف بعد ذلك عن أمر زواجهما. فهذه الشاعرة اليهودية على الرغم من كونها بعيدة عن لغة القرآن إلا أنها تميزت بالفصاحة والبلاغة، وإجازة الأبيات على البديهة مع سرعة خاطر وصدق وصراحة في التعبير عن المشاعر ربما لكونها من نساء غرناطة، حيث كن أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصفاته من غيرهن، فقد ذكر المقرئ نقا عن ابن سعيد المتوفي (٦٨٥هـ) (يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحب والجلالة "العربيات" ، لمحافظتهن على المعاني العربية)^١ وقد سرنا على سنن العرب في صفاء الشعر وفصاحة المعنى وعدت قسمونه واحدة منها .

١ - النفح ، ج ٦ ، ص ٢٥. المرأة العربية ، ج ٣ ، ص ١٣٣ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٧٤ . بنصرف .

المطلب السابع

مِهْجَةٌ

بنت التیانی القرطیبة

مهجة شاعرة أندلسية من حرائر قرطبة، ومن أدبيات القرن الخامس الهجري، كانت معاصرة لأستاذتها ولادة، كانت من أجمل نساء زمانها، ولدت لأسرة فقيرة كادحة فوالدها على ما جاء في المغرب ، (كان يبيع التين) ، فاكتسبت لقبها من مهنته ، وعرفت بمهجة الثاني .^١

ولمواضبتها على التعليم خلقت أستاذتها ولادة منها شاعرة مبدعة مهيبة الجانب في الغزل والهجاء ، وذلك للرعاية الأدبية التي أولتها، وسرعان ما أنكرت التلميذة فضل معلمتها بعد أن اتفقت القول واشتد سعادتها في النظر ولما وقع خلاف بينهما^٣ قالت قافية هجتها هجاء بذئها فاحشا مقدعا فاقت به مشاهير الهجائين - ابن الرومي - وهما :

مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ فَضْحُ الْكَاتِمِ

ولادة قد صرت ولادة

نخلة هـذـى قـائـم

حکت لنا مریم لکنہ

وعندما سمع نقاد زمانها البيتين أقرّوا (لها بالتقدم)، حين قالت (ما نقص عنده ابن الرومي)، قال بعض الأكابر لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقديم³ . ولقد أجادت مهجة في المدح وأسرفت في الهجاء الذي ابتعدت فيه عن الحياة الذي عد حلية المرأة وزينة أخلاقها. ومن أجود ما قالته مهجة في الشعر:

لئن قد حمى عن شغرها كل حائم فما زال يحمي عن مطالبه التغز
فذاك تحميء القواصب والقنا وهذا حماه من لواحظها السحر

^١- المغرب في حل المغارب، ج ١، ص ١٤٣. نزهة الجلساء، ص ٩٣. نفح الطيب، ج ٦، ص ٢٨ - ٢٩.

^٢- انظر محمد منتصر الريسيوني، *الشعر النسوي في الأندلس*، بيروت، دار الحياة، ١٩٧٨م، ص ٨٨.

٣ - كلمة فاحشة من الأفضل عدم ذكرها .

^٤- انظر نفح الطيب، ج٣، ص٢٩. والمغرب، ج١، ص١٤٣، القاهرة-١٩٣٨. وأعلام النساء، ص٣٧.

^٥ - انظر نفح الطيب، ج ٥، ص ٢٩ . والمغرب ، ج ١، ص ١٤٣ .

نزة هون شاعرة غرناطية مشهورة، قال ابن الأبار^١ : " إن نزهة هون كانت بنت أبي بكر محمد بن احمد الفليعي المتوفى (٥١٠هـ) يشير إلى كون هذا افتراض لا غير حيث يقول - في ما احسب-^٢. هذه الشاعرة عاشت أعواماً عديدة من عمرها في القرن الخامس، وعاشت النصف الأول من المائة السادسة وهي تعد من المحضرمات في الأدب الأندلسي، ومن المعمرات أيضاً وقيل أنها توفيت سنة (٥٥٠هـ)^٣ ، كانت من الأديبات الفريديات ذات جمال فائق شارق وحسن رائق ونابغة من نوابغ زمانها.^٤

ولقد اتفق النقاد والرواة على شاعريتها وختلفوا في صفتها جاء في المغرب (أنها شاعرة ماجنة) كثيرة النوادر) ، إلا أن المقربي يصفها نacula عن المسهب (بخفة الروح والانطباع الزائد والحلوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثل) ، هذا انطباع الحجاري المتوفى سنة (٥٨٤ هـ) عنها .

فهذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها (ناد لم يؤمه إلا الأفضل ومجلس لم يجتمع فيه إلا كل عاقل) ^٧ ، كل هذا أكدته أخبارها من مساجلات أشعارها ، مع شعراء زمانها الذين أولعوا بأدبها ومحاضراتها وذكراتها، فكان (لها في مجالسهم منزلة عالية ، قد يكون هذا لخفة روحها وسرعة بديهتها وحضور جوابها وضررها وتصريفها للأمثال) ، بطريقة فكهة طريفة، ويبدو أنها افتخرت واعترفت بفحولة شعرها حين قالت :

^١ - التكميلة لكتاب الصلة، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

^٢ - الحل السنديّة ، ج ١ ، ص ٢١٤ النفح ، ج ٦ ، ص ٣٣ . المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣- الأعلام، ج٨، ص١٧.

^٤ - الدر المنشور، ص ٥١٩. والنفح، ج ٦، ص ٣١. والحلل السنديسة، ج ١. ص ٢١٤.

٥- الماحنة، المازحة و المحون لغة، خلط الحد بالهزل:

^٦ - انظر المغرب، ج ٢، ص ١٢١، ونفح الطيب، ص ٣١.

* هي زينب بنت علي بن حسين أديبة وشاعرة سورية توفيت في القاهرة سنة ١٩١٤.

٧- انظر الدر المنشور، ص ٥١٩.

^٨ - انظر نزهة الجلساء، ص ٩٧. وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٢٢.

وعرفت بألفاظها التي لا تتحشم فيها دفاعا عن كرامتها وردا لاعتبارها وتأثرا لتخديش عرضها، إلا أن المسلطين على الأعراض أصحاب الألفاظ الفاحشة كانوا يؤلبونها ويضايقونها ويسمونها كلمات سوقية مبتلة، الأمر الذي دعاها إلى مواجهتهم نظما بنظم ومناقضتهم أحيانا نثرا بنثر اضطرارا تارة و اختيارا أحيانا أخرى، وبفضل عمرها المديد ، ومجالسها عاشرت نزهون الكثير من المشاهير واطلعت على أحوالهم.

ولقد عرفت نزهون بكثرة مخالفتها للرجال ومهاتراتها معهم، وما يؤثر عن لقاءاتها بهم. ما سجل لها من نوادر تمس الكراهة، ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان المتوفى سنة (٥٠٨هـ) بعد ارتجال بديع، (وكان قبيح المنظر) (أشقر ازرق كبير البطن)، (يلبس غفارة صفراء)، على زي الفقهاء^١.

وتمضي في الدعاية والفكاهة فتتطق بحقه قائلة : (أحسنت يا بقرةبني إسرائيل إلا إنك لا تسر الناظرين)^٢ ، فضحك الحضور منه ، وغضب وثار ابن قزمان فقال لها: (إن لم اسر الناظرين ، فانا اسر السامعين ، وإنما يطلب سرور الناظرين منك يا.....)^٣ ، وتمكن السكر منه وتدافعوا معه حتى رموه في البركة ولم يخرج منها إلا وقد شرب ماءً كثيرا وثيابه تهطل ، فقال اسمع يا وزير وانشد أبياتا وصف نزهون فيها بأبشع الألفاظ ، وخروجها عن حد الآداب لأنهم تقصدوا في هنّاك سترها .

وأمام مثل هذه المواقف اتجهت نزهون إلى هنّاك سترهم فبدت في مجالسهم ذات قلب كبير عند اشتداد العواصف وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفطنتها وفصاحتها. وكانت جريئة في قولها ، وقد رفعت الحياة بالوقت الذي (ينبغي للمرأة ان يكون فيها الحياة)^٤، وجازفت في أحاديثها الممزوجة بالظرف، وبحضور جواب وسرعة بدبيهه وكانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى،

^١- نفح الطيب، ج٦ ، ص٣٢. المغرب، ج٢، ص١٢١. نزهة الجلساء، ص٩٩. المغرب، ج٢، ص١٢١.

^٢- نفح الطيب ، ج٦ ، ص٣٢ .

^٣- نفح الطيب، ج٦ ، ص٣٢. وانظر المرأة العربية، ج٣ ، ص٣٢ .

^٤- انظر العباس بن نور الدين الموسوي المكي نزهة الجليس ومنية الأديب الأنبيس ج١، ص٥٦٦. المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ١٩٦٧ م .

^٥- انظر ما دار بينها وبين أبي بكر المخزومي الأعمى في الاحاطة، ج، ١، ص٤٣٤ .

دخل عليها أبو بكر الكندي^١ ، الشاعر الغرناطي وأراد أن يداعبه شعراً ويخبره بجمال نزهون، وأنها فتنة للناظرين وان نعمة البصر حرمته من تلك المتعة فقال^٢ :

(لو كنت تبصر من تكلمه)

فلاذ الضرير بالصمت ولم يجد جواباً ولم يستطع القول فسارعت هي أمامه فأجابـتـ : (الغدوتـ أخرىـ منـ خلـلـهـ)ـ .ـ واشتهرـتـ بـكـثـرـةـ مـخـالـطـتـهاـ وـمـنـاظـرـتـهاـ لـلـشـعـرـاءـ وـقـدـ أـلـمـحـ الـوزـيـرـ أـبـوـ بـكـرـ سـعـيدـ إـلـىـ كـثـرـةـ زـوـارـهـ وـعـشـاقـهـ بـعـدـ أـلـفـقـتـهـ الـغـيـرـةـ عـلـيـهـاـ فـكـتـبـ إـلـيـهـاـ قـائـلاـ^٣ـ :

يا من له ألف خل
من عاشق وصديق
أراك خليت لنا
سد ذاك الطريق

فأجابـتـ بـبـيـتـينـ تـذـوبـ عـذـوبـةـ وـتـنـمـ عنـ مـكـانـتـهـ المـمـيـزـةـ فـيـ قـلـبـهاـ إـذـ قـالـتـ^٤ـ :

حللت أبا بكر محلـاـ منـعـتـهـ سـواـكـ وـهـلـ غـيـرـ والـرـفـيـعـ لـهـ صـدـريـ
وـإـنـ كـانـ لـيـ كـمـ مـنـ حـبـيـبـ فـإـنـماـ يـقـدـمـ أـهـلـ الـحـقـ فـضـلـ أـبـيـ بـكـرـ

فـهـذـهـ الشـاعـرـةـ فـاقـتـ الشـعـرـاءـ الـكـبـارـ فـيـ مـرـ هـجـائـهـ وـحـضـورـ ذـهـنـهـ ،ـ نـراـهـاـ قـدـ خـلـعـتـ عـلـيـهـ حـلـةـ
مـنـ قـبـحـ الـقـوـلـ فـيـ النـدـوـاتـ الصـاحـبـةـ بـالـعـبـثـ وـالـمـحـونـ .ـ وـلـقـدـ اـمـتـازـتـ بـالـجـمـالـ الـفـائقـ وـحـفـظـ الـشـعـرـ
وـالـأـمـثـالـ .ـ

١- لقد ورد في هامش النفح، ج ٣ ، ص ٣٢ . (الكندي) والدر المنشور، ص ٥١٩ . وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، الدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٨٤ . بتصرف

٢- الكتندي ، ولعله محمد بن عبد الرحمن الشاعر الغرناطي المشهور .

٣- المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢١ . نفح الطيب، ج ، ص ٣١ . وانظر أعمال النساء ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .

٤- نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٣١ .

المطلب التاسع

ولادة

بنت المستكفي بالله

الشاعرة ولادة بنت المستكفي من الشاعرات اللائي عاصرن نهاية عصر الخلافة، وهي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ(المستكفي) الذي بويع بالخلافة سنة (٤١٤هـ - ١٠٢٣م)، وقد وصفتها المصادر التاريخية بإعجاب كبير، لما تميزت به من صفات فريدة ميّزتها عن نساء عصرها^١.

واشتهرت بالفصاحة والنباهة وإجاده الشعر وجزالة القول، وكانت في أدبها وظرفها تجذب السامع وتؤثر في النفوس، ولقد خرجت ولادة عن التقاليد السائدة ولاسيما فيما يخص الحجاب، وكانت تعقد المجالس الأدبية في قرطبة وتنتظر الشعراة والأدباء.

وقد ساهمت ولادة بشكل كبير في تطوير الحركة الأدبية في الأندلس من خلال مجالسها الأدبية التي كانت تعقد في قرطبة ويحضرها كبار الأدباء والشعراء الذين كانوا يتبارون بالشعر والنشر، وكانت تشاركهم في المساجلات الأدبية وتباري الشعراء، وهذا في حد ذاته يعد قفزة نوعية في تاريخ الأدب. وكانت ولادة صافية البشرة، بيضاء كالفضة شعرها ذهبي براق كالنور، وتزين صدرها بعقود اللؤلؤ المزدوجة والخلاليل، وهي سليلة بيت ملكي تغمرها النعمة والرفاه وفيها قال^٢ صاحبها:-

أو صاغه ورقا محضا وتوجه
من ناصع التبرابداعا وتحسينا
إذا تأود آذته رفاهيـة
تؤم العقود وأدمته البرى لينا

وكان لها (خال اسود) في خدها أضاف لها حسنا آخر يقول^٣ :
من عنبر في خده المذهب
مفضفض الشغر له نقطة

١- وردت اخبارها وشعاراتها في ديوان ابن زيدون طبعة علي عبد العظيم وطـ كامل الكيلاتي وخليفة وطـ نديم مرعشلي فضائل الاندلس واهلها ، ص٤٧ ، وقلائد العقيان ، ص٨٢ - ٩١ - ٩٢ ، والذخيرة ج ١ ، ص٤٢٩ - ٤٣٢ . والصلة، ج ٢ ص ٦٩٦.

٢- انظر ديوان ابن زيدون، ص١٤٤ - ١٤٥ .

٣- انظر ديوان ابن زيدون، ص٣٢ .

وقال في قرامها المشوقة وخطاها الرشيقـة، ونظراتها الفاتـة :

يا ألين الناس أعطـافـا وافتـهمـ لحظـا وأعـطـرـ أنـفـاسـا وأـرـدـانـا

وكانت تجمع إلى جمال الخلقة جمال الترين وعذوبة الحديث، فهي فنانة في إظهار مواطنـ
الحسنـ فيهاـ، فـكـانـتـ عـذـبةـ الـخـلـالـ ظـرـيفـةـ الـخـصـالـ يـقـولـ ابنـ زـيـدونـ^١ :

له خلق عذب وخلق محسن
وظـرفـ كـعـرـفـ الطـيـبـ أوـ نـشـوـةـ الـخـمـرـ
يـعـلـلـ نـفـسـ مـنـ حـدـيـثـ تـلـذـهـ
كـمـثـلـ المـنـىـ وـالـوـصـلـ فـيـ عـقـبـ الـهـجـرـ

وذكر الفتح بن خلفان المتوفي (٥٢٩هـ) انه " كان يكلف بولادة ويستضيء بنور تخيلها في الليل
البهيم وفيها خلع عذاره ، وهام بها كل هيام وأرسل أجمل الأشعار وأرقها" ، ومن قصائد الخلدة
قصيـتهـ القـافـيـةـ الـتـيـ أـرـسـلـهـاـ إـلـىـ حـبـيـتـهـ وـالـتـيـ مـطـلـعـهـاـ^٢ :

إنـيـ ذـكـرـتـكـ بـ(ـالـزـهـراءـ)ـ مـشـتـاقـاـ
وـالـأـفـقـ طـلـقـ وـمـرـأـيـ الـأـرـضـ قـدـ رـاقـاـ

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة وثارت حولها الأساطير حتى قيل : (ما حفظها أحد إلا
مات غريباً ولهج كثيرون بـانـ إـنـسانـاـ لـاـ يـتـمـ لـهـ الـظـرـفـ مـاـ لـمـ يـحـفـظـهـ)^٣ وهي :

أـضـحـىـ التـنـائـيـ بـدـيـلاـ مـنـ تـدـانـيـناـ
وـنـابـ عـنـ طـيـبـ لـقـيـاـنـاـ تـجـاـفـيـنـاـ

فـشـعـرـهـ كـانـ يـلـقـىـ تـرـحـيـباـ وـتـشـجـيـعاـ مـنـ الـوـزـرـاءـ وـالـأـدـبـاءـ الـذـيـنـ يـغـدوـنـ عـلـىـ منـتـداـهـاـ وـلـمـ يـكـنـ اـبـنـ
زـيـدونـ وـحـدـهـ فـارـسـ هـذـاـ الـمـيدـانـ، وـإـنـمـاـ كـانـ اـبـنـ الـقـلـاسـ، وـأـبـوـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـوـسـ الـوزـيرـ الـمـتـوفـىـ سـنـةـ
(٤٧٢هـ)ـ الـذـيـ كـانـ أـحـدـ أـعـيـانـ قـرـطـبـةـ الـمـشـهـورـيـنـ^٤ـ، فـرـاحـواـ يـتـافـسـونـ عـلـىـ قـلـبـهـاـ، وـلـمـ يـحـظـ بـهـ إـلـاـ اـبـنـ

١ - ديوان ابن زيدون ، ص ١٧٩ . وانظر المرأة في الشعر الأنجلسي " عصر الطوائف " ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص ٢٩٠ .

٢ - انظر ترجمة ابن زيدون في ديوانه ، ص ٢١ - ٤٧ لعلي عبد العظيم . وفي الفلاند ، ص ٧٩ - ٩٣ ، وفي الذخيرة ، ج ١ ، ص ٣٣٦ - ٤٢٨ . وفوات الوفيات ج ٤ ، ص ٢٠١ ، ونفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ .

٣ - انظر ديوان ابن زيدون ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ص ١٣ .

٤ - نفس المصدر ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٥ - انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٢ . والذخيرة ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

زيدون لأن جل أشعارها وردت فيه، وقد أبلغ ابن زيدون أن أبي عبد الله محمد البطليوس المتوفى سنة (٤٩٠هـ) اتصل بولادة فكتب إليها قصيدة طويلة وكان يكتنأ بأبي عبد الله نكتفي بذكر مطلعها :

أبا^١ عبد الله اسمع وخذ بمقالي أودع
واقصر بعدها أورد وطرف في أثرها أوقع

وعلى ما يبدو أن سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس، لما قاله فيها من رائع^٢ القصيدة ، فاستأثرت من دونهن بمزيد من الاهتمام من مؤرخي الأدب ونادييه، وأصحاب الرواية والأخبار القدامى كذلك انفردت ولادة في بحوث ومقالات المحدثين.

وفاة ولادة بنت المستكفي:

كانت ولادة بنت المستكفي من أروع الشعراء والأدباء في شعرها حيث كانت لها مكانة مميزة في الشعر، وقد عمرت عمرا طويلا، ولم تتزوج وماتت ليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل أربع وثمانين وأربعين .

وهكذا فان شاعرات الأندلس أفسحن لشعرهن مكانا رحيبا، إلا أنهن لم يسهمن في كل فنون الشعر وموضوعاته، وأكثر ما قلن فيه من الأغراض الغزل والمديح ووصف الطبيعة والهجاء.

١- تمام المتن، ص ١٢. ديوان ابن زيدون ، ص ٥٧٨ ورد في الديوان " اصح لمقالي واسمع وخذ فيما ترى أو دع ."

٢- انظر ديوان ابن زيدون القصائد التي قيلت في ولادة .

الفاتمة

فتح العرب بلاد الأندلس ، ومكثوا فيها ما يزيد عن ثمانية قرون من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م إلى سنة ٤٩٢ هـ / ٨٩٨ م، وقد حملوا إليها فيما حملوا معهم بلاغتهم العربية، ممثلاً في لغتها وأدبها.

وفي بيئه الأندلس الجميلة وجد الأدب العربي كل ما يستثير الخيال، ويشحذ العواطف والوجدان، فنما وازدهر، واكتسب من مسیرته وتعايشه معها طابعاً جديداً، وسمات خاصة تميز بها ، وتاريخ الأدب العربي في الأندلس هو في حقيقته جزء من تاريخ الأدب العربي العام، ولما كان أدب أي أمة هو ابن بيئتها، يتأثر بها و يؤثر فيها، ويستمد عناصر نشأته وجوده من طبيعة أرضها، وأحداث تاريخها، وحياة مجتمعها، فقد عرضت الباحثة أحوال المجتمع الأندلسي وبنائه الاجتماعية التي لها تأثير كبير في تراثه الأدبي ، كما تعرضت وبشكل موجز لتاريخ الأندلس مبينة تاريخ العرب وحضارتهم فيها .

ولقد نظم شعراء الأندلس الشعر في فنونه المتعارف عليها من مدح ورثاء وغزل وفخر وهجاء ، ويلاحظ في مضمون الشعر الأندلسي والمتمثل في تجارب شعرائه الذاتية، وفيما تخلق في نفوسهم من معان وأفكار أنها نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فهو مضمون يغلب عليه سمات الحضارة والتجدد والابتكار.

وأما من حيث اتجاهات الشعر الأندلسي فقد تحدثت الباحثة في هذه الدراسة عن الاتجاه الإعلامي، وبيّنت أن هذا الاتجاه يتصل ببعض الشعراء من كان لديهم التزاماً بمشاكل قومهم، وأولئك الذين ينقلون صوراً حقيقة أو قريبة من الحقيقة عن واقع المجتمع الأندلسي وعن قطاعات معينة منه، ثم بينت الاتجاه العلائقى و تعرضت لمفهوم هذا الاتجاه باعتباره نتيجة طبيعية لتأثير الشعراً بحركة المجتمع وعلاقاته الإنسانية المختلفة. ثم تحدثت عن الاتجاه الذاتي الذي يغور في أعماق النفس، وبيّنت مسالك هذا الاتجاه والتي تمثلت في الأغراض التي جاءت تعبرها عن الذات الشاعرة .

وبعد أن تحدثت الباحثة عن فنون الشعر الأندلسي وأغراضه، تعرضت للحديث عن سمات الشعر الأندلسي العامة، فبيّنت غلبة الوصف الشعري والخيال عليه والميل في طرائق التعبير إلى الأساليب البينية من تشبيه واستعارة وكناية، وإلى بعض الأساليب البدوية كالطباق

والمقابلة والمبالغة، ووجدت أن أغلب معانيهم تتسم بالجدة والطرافة، وأما ألفاظهم فتتميز بالسهولة والوضوح والعدوّة وهذه الصفات مشتركة بين شعر الرجال والنساء.

وأما من حيث دور المرأة فقد بينت الباحثة أن المرأة الأندلسية قد أسهمت في رفد العلوم المختلفة ، وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت على لسانها الشعر الرقيق، فضلاً عن امتلاكها اليد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمون الشعر كبيراً من خلال مجالين: الأول: هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الشعر لما لها من جمال وفترة، إذ حرّكت نفسية الأديب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكتبون من وصفها وتشبيهاتها، كما كان للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني: هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمّت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كنّ معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلنّ قسطاً أكبر في هذا المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء. ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر، وضمت مصادرنا التاريخية الكثير منها.

ومن خلال النظر فيما قالته شواعر الأندلس من شعر نجد أنهن قد تصدّين لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك، إماعاناً صعب على الرجل إدراكه في مواطن كثيرة، ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية، وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء.

وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً. لذلك تعرّضت الباحثة لبيان صورة المرأة في الشعر الأندلسي (الصورة المادية والمعنوية). ثم بينت الأغراض الشعرية في شعر النساء وخصائصه الفنية. ثم كان الحديث عن شواعر الأندلس (الحرائر والجواري منهن).

نتائج الدراسة :

تتلخص نتائج الدراسة في الآتي :

- كانت المرأة محورا هاما من محاور الشعر الأندلسي، فظهرت الأم فيه مثلا للخير والتضحية وإنكار الذات. وكان للزوجة وضعها مميزا عند زوجها لها كل التقدير والاحترام. وجاءت صورة الحببية في الشعر الأندلسي تحفة إنسانية صادقة لا زالت مثار إعجاب النقاد والأدباء، ثم إن البيئة الأندلسية شجعت الفتاة على السير في طريق العلم والأدب.
- استطاعت المرأة الأندلسية مجاراة الرجال في مجال الشعر والأدب، فظهرت قوية شامخة ، لها حضورا قويا في الحياة الأندلسية ، فقيل فيها أرق الأشعار وأعزبها. وأسهمت كذلك في رفد العلوم المختلفة، وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه.
- من خلال قراءة الحياة الاجتماعية والسياسية الأندلسية نلاحظ أن الجارية استطاعت أن تتبوا مكانة عالية عند الأمراء والملوك وان يكون لها الرأي والمشورة أحيانا.
- لم تتحل شواعر الأندلس مكانة أدبية رفيعة لقلة ما روی عنهن من أشعار. وقد يعود ذلك إلى ضياع الكثير من شعرهن .
- أثرت البيئة الطبيعية والاجتماعية في شخصية شعراء وشواعر الأندلس وفي تجاربهم الذاتية ، فكانت أفكارهم ومعانيهم نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فجاء مضمون أقوالهم من شعر وأدب يغلب عليه سمات الحضارة والتجديد والابتكار.
- تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء، ويعد شعر ولادة رمز لكل الأدب النسوبي.
- أما خصائص أسلوب الشاعرة الأندلسية فقد رسمت معالمها الدراسية الفنية لطبيعة الأساليب فجاء الشعر مرآة لمنازعهن النفسية لما تضمن من سمات للمعاني والخيال النابعين من الأصلة والعروبة.

• طرقت الشاعرة الأندلسية أبوابا لم تطرق من قبل، وأثبتت مقدرة في تناولها للمواضيع القديمة برأية جديدة، معتمدة على التراث الإسلامي متمسكة بلغتها العربية الفصيحة النقية البسيطة البعيدة عن التكلف.

توصيات البحث:

وأما فيما يتعلق بالتوصيات التي يمكن للباحثة أن توصي بها فتتلخص في الآتي :

١- ضرورة البحث في أخبار الشاعرات في العصر الأندلسي للغور في عالمهـن، ولكي نطلع على أمرهن العجيب الذي شغل القاصي والداني ولكي نزيل الشك ونرفع مزيدا من الأقاويل فذلك أشفى للنفس وأروى للحقيقة.

٢- ضرورة الاتجاه نحو التعمق في دراسة الأدب الأندلسي على اختلاف بيئاته وعصوره.

٣- ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين الشعر الأندلسي مع غيره من العصور من حيث الأغراض والخصائص واللغة والأسلوب والصور والخيال.

وأخيراً أدعو الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، وآخر دعوامـهم أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥ م.
٢. إبراهيم السامرائي، لغة الشعر، عمان، دار الفكر، ١٩٨٤ م.
٣. ابن الأثير (علي بن احمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، القاهرة ، ج ٩، طبعة بولاق، ١٨٧٣ م).
٤. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل بن احمد بن علي)، تحرير محمد سيد جاد الحق، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦ م.
٥. ابن حزم: طوق الحمام، ضبط نصه د/ الطاهر احمد مكي، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠ م.
٦. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط٢، مصر، دار المعارف.
٧. ابن حيان، المقتبس، بيروت، دار الكتاب التقاقة، تحقيق محمود علي مكي، ١٩٧٣ ،
٨. ابن حمد يس الصقلي، ديوان بن حمد يس، بيروت، دار صادر، ل.ا.ت.
٩. ابن خاتمة الأنصاري (أبو جعفر احمد بن علي الأنصاري) (تح محمد رضوان الديانية)، الديوان، دمشق، دار الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٢ م .
١٠. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان "تاريخ إسبانيا الإسلامية" في بيروت ١٩٥٦ .
١١. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤ ، ط١، بولاق، ١٨٧ م .
١٢. ابن دراج القسطلي، الديوان، بيروت، المكتب الإسلامي، تحقيق، محمود علي مكي، ١٩٧٠ .
١٣. ابن دوحبة الكلبي، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحرير د/ مصطفى عوض، مطبعة مصر، الخرطوم، ١٩٥٤ م .
١٤. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحرير محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
١٥. ابن زمرك، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصربي، الديوان، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٩٨ .
١٦. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ط٤ ، ج ١ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠ م .
١٧. ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حل المغارب، تحرير الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤ م.
١٨. ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ - ج ٣ ، ط١، بيروت، ١٩٥٠ .

١٩. ابن فركون (أبو الحسين بن احمد بن سليمان)، الديوان، تعلیق : محمد بن شریفة ، الرباط ، أکادیمیة المملکة المغربية.
٢٠. بن فضل الله العمري، وصف أفريقيا والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة، تونس، نشر حسن حسني.
٢١. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ط٤ ، ج ١ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠ م .
٢٢. ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، تحقيق علي عبد العظيم، القاهرة، دار نهضة مصر.
٢٣. ابن هانئ الاندلسي، الديوان، تحقيق محمد البعلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤ م .
٢٤. أبو بكر عمر بن خير الاشبيلي، فهرسة ابن خير الأشبيلي عن شيوخه من الدوواين المصنفة من ضروب العلم وأنواع المعرف، ط ٢ ، مطبعة قومش بسرقسطة، ١٩٦٣ .
٢٥. أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، الزهرة، تح إبراهيم السمرائي، ط ٢ ، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥ م.
٢٦. أبو بكر محمد بن القوطيه، تاريخ افتتاح الأندلس، بدون طـ، مدريد، ١٩٢٦ .
٢٧. أبو بكر محمد الزبيري، طبقات النحوين و اللغويين، ط٢ ، القاهرة، دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٨١ م.
٢٨. أبو الحسن بن الجياب، ديوان ابن الجياب، تح مشهور عبد الرحمن الحبازي و اشرف عصمة غوشة، ١٩٨٣ .
٢٩. أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني، منهاج البلاغة و سراج الأدباء، تح محمد الحبيب الخوجة، تونس، ١٩٩١ م.
٣٠. أبو الحسن علي بن بسام الشنريني، الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، ج ١ ، تح د/ احسان عباس، ط١ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩ .
٣١. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ١ ، تح إبراهيم الكيلاني.
٣٢. أبو حيان الغرناطي (أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف)، الديوان ، تح احمد مطلوب وخديجة الحديثي ، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٩ م .
٣٣. أبو حيان القرطبي، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تح د/ محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣ م.
٣٤. أبو داود سليمان بن حسان-المعروف بابن ججل-، طبقات الأطباء والحكماء، تح فؤاد سعد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥ م.
٣٥. أبو زهير ثابت بن سفيان، ديوان تأبّط شرًا، تح علي ذو الفقار شاكر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤ م .

٣٦. أبو العباس أحمد بن عمر العذري، نوصوص عن الأندلس، تحقيق دكتور عبد العزيز الأوانى، مדרيد، ١٩٧٥.
٣٧. أبو عبدالله محمد بن الآبار، الحطة السيراء، ج ١، تحرير حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م.
٣٨. أبو عبدالله محمد بن الحارت الخشنى القيرواني، قضاء قرطبة وعلماء افريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٣٩. أبو عبدالله محمد بن فتوح الحميري، جذوة المقتبس، تحرير إبراهيم الأبياري، بيروت، ١٩٨٣م.
٤٠. أبو عبدالله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحرير د/احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.
٤١. أبو علي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك ابنقطان، نظم الجمان ، تحقيق محمد علي مكي. ج ٦.
٤٢. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي)، صيد الخاطر، تحرير السيد الجميلي، بيروت، دار بن زيدون، ١٩٨٦م.
٤٣. أبو القاسم محمد الكلاعي ، أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، ط ٢ بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ .
٤٤. أبو منصور عبد الملك الثعلبى، يتيمة الدهر، تحرير محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٧م.
٤٥. إحسان عباس، تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة - ، ط ٢، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٩ .
٤٦. أحمد أمين، النقد الأدبي، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ج ١ .
٤٧. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٣، بيروت، دار الكتاب العربي .
٤٨. أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ط ١، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٥م.
٤٩. أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٥٠. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، ج ٤ ، تحرير أحمد أمين ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٤٠ م .
٥١. احمد بن محمد المقرى التلمساني (المقرى)، أزهار الرياض في أخبار عياض، أبو طبي، صندوق إحياء التراث الإسلامي.
٥٢. احمد مطلوب، من شعر أبي حيان الأندلسي، تحرير احمد مطلوب وخديجة الحبيشي، ط ١، بغداد، مطبعة العاني.
٥٣. احمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٢٤م ، .

٥٤. احمد هيكل، الأدب العربي في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، ط٤، دار المعارف ١٩٦٨.
٥٥. ر. نيك، مختارات من الشعر الأندلسي، ط١، بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٤٩ م.
٥٦. أريك جي بولتون، الشعر في المدارس، ترجمة ياسين طه بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٧٨ م.
٥٧. أغناطيوس كراتشوفسكي ، دراسات في تاريخ الأدب العربي ، موسكو، أكاديمية العلوم، ١٩٦٥ م.
٥٨.، ترجمة د/ منير مرسي، الشعر العربي في الاندلس، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١ م.
٥٩. بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط١، ١٩٣٤ م .
٦٠. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ط٦، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨ م.
٦١. البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧ م.
٦٢. الجاحظ، رسائل الجاحظ (رسالة النساء) .
٦٣. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملائين.
٦٤. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ١٩٣٢ م.
٦٥. جميل بن عبدالله بن معجز العذري، ديوان جميل بثينة، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦ م.
٦٦. جوزيف الهاشم ورفاقه، المفيد في الأدب العربي، ج١، ط١، بيروت .
٦٧. الحافظ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٤ م ج١.
٦٨. حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، ط١، القاهرة، مطبعة القاهرة، ١٩٤٧ م.
٦٩. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ م.
٧٠. د/ حكمة علي الأوسي، قصول في الأدب الأندلسي، ط٢، بغداد.
- ـ حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بنى الأحرmer، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٢ .
٧١. الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٣ م.
٧٢. روحية القليني، شاعرات عربيات،بغداد ، الدار القومية للطباعة، ١٩٧٦ .
٧٣. سامي مكي، الإسلام والشعر، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٣ م. كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٧٤. سعد إسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر العربي الأندلسى، ط٣، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر.
٧٥.، البيئة وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف-، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٨.
٧٦. د.سلمى سليمان ، المرأة في الشعر الأندلسى " عصر الطوائف"، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦.
٧٧. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس.
٧٨. شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية عند العرب.
٧٩. شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩ م.
٨٠. شهاب الدين أحمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عياض، تتح مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩ م.
٨١. شوقي ضيف، الفن مذاهب في الشعر العربي، ط٦، القاهرة، دار المعارف .
٨٢. صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسى دراسة أدبية، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥٧ م.
٨٣. صلاح الدين الناهي، الأسرة والمرأة، بغداد، شركة الطبع والنشر الأهلية، ١٩٨٥ م.
٨٤. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٦
٨٥. عبدالله بن محمد ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الإباري ، بدون ط ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٤ .
٨٦. عبدالله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، جـ ٢ .
٨٧. عبد الرحمن ابن زيدان، أتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكناس، ط ١ الرباط / ١٩٢٩
٨٨. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١ ، دمشق، دار القلم ١٩٧٦ .
٨٩. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ط٢ ، بيروت، دار النهضة العربية.
٩٠. عبد القاهر الجورجاني، دلائل الإعجاز، تتح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٩٧٧ م.
٩١. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء، تحقيق ممدوح حقي.
٩٢. عبيد بن عبد الله المعروف بابن خردانبة (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجي بيروت، ١٩٦٨ .
٩٣. علي بن محمد الشريفي الجرجاني، التعريفات، لبنان، ١٩٦٩ م.
٩٤. على صدر الدين معصوم المدنى، أنوار الربيع فى ألوان البديع، ج ١ ، تتح شاكر هادي، ط١، بغداد، مطبعة النعمان، ١٩٦٨ م.
٩٥. عمر الدقاد، ملامح الشعر الأندلسى، بيروت، دار الشروق ، ١٩٧٥ .

- .٩٦ . الغزالى ، إحياء علوم الدين ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، ج ٣ .
- .٩٧ . الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محسن الأعيان ، القاهرة ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٩٦٤ م.
- .٩٨ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، استنبول، مطبعة الحوائين ١٣٠٢ هـ.
- .٩٩ . فيليم هوينرباخ، مجلة الأندلس، مجلد ١٩٧١، مقال حول شخصية ولادة.
- .١٠٠ . القاضي علي بن عبد العزيز بن أبو الحسن الجرجاني، الوساطة بين المتتبى وخصومه، تحرر محمد أبو الفضل وعلي البحاوي، ط٣، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١ م.
- .١٠١ . قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، تحرر كمال مصطفى، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٣.
- .١٠٢ . لسان الدين بن الخطيب، أعمال الإعلام فيمن بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحرر ليفي بروفنسال، دار الكشوف، ١٩٥٦ م.
- .١٠٣ . لسان الدين بن الخطيب، الصيب والجهام والماضي والكمام، (تح محمد الشريف قاهر)، الجزائر، الشركة الوطنية، ١٩٧٣ ،
- .١٠٤ ، نفاضة الجراب في علة الاغتراب، تحرر احمد مختار العبادي، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر.
- .١٠٥ ، الاحاطه ، بدون ط ، بيروت ، دار المکشوف ، ١٩٦٥ م .
- .١٠٦ . لاميلا غرسيه غومس، الشعر الأندلسي -تطوره وخصائصه-، ترجمة د/ حسين مؤنس، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ م.
- .١٠٧ . مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، الجزائر المطبعة الجزائرية ، ١٣٥٠ هـ . ج ٢ .
- .١٠٨ . محمد احمد العلوى (ابن طباطبا)، عيار الشعر، تحرر طه الحاجي ومحمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦ م.
- .١٠٩ . محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٠ ،
- .١١٠ . محمد سعيد محمد، الشعر في قرطبة ، أبوظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، ٢٠٠٣ .
- .١١١ . محمد سلام زناتي، تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م ،
- .١١٢ . محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩ م
- .١١٣ ، ترجم اسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠ م.

١١٤. محمد عبد المنعم خفاجة ، الحياة الأدبية في عصر بنى أمية ، ص ١٦٨ دار الكاتب اللبناني ، ط ١٩٧٣.
١١٥. محمد علي مكي، التشيع في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدرید، عدد ٢.
١١٦. محمد مجید السعید ، الشعر في ظل بنى عباد، عن ملوك الطوائف.
١١٧. محمد منتصر الريضوني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨، الشعر النسوي في الأندلس.
١١٨. مختار العبادي، سياسة الفاطميين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدرید ، ١٩٥٧ .
١١٩. مراد كامل، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، القاهرة، نهضة مصر ، ١٩٦٣ م.
١٢٠. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين.
١٢١. المعتمد بن عباد، وانظر المقدمة تحقيق أحمد أحمد بدوي تجد ذكرًا للجواري منهم (جوهرة، وداد، سحر، قمر).
١٢٢. المقربي (احمد بن محمد المقربي التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (تح د/ إحسان عباس)، بيروت، دار صادر '١٩٦٨ ، ج ١ .
١٢٣. مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المعري، ط١، القاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٩٤ ،
١٢٤. مونيك بيتير ، المرأة عبر التاريخ ، ترجمة هنرييت عبودي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩ م.
١٢٥. نافع عبدالله ، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، ط ١ ، ١٩٨٤ م.
١٢٦. نافع محمود ، اتجاهات الشعر الأندلسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ م.
١٢٧. نكلسن، تاريخ الأدب العباسي، ترجمة د.صفاء خلوصي ، بغداد، منشورات المكتبة الاهلية، مطبعة أسعد ١٩٦٧ .
١٢٨. هدى شوكة بهنام، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب. أطروحة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٧ م.
١٢٩. هنري بيرس، الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر.
١٣٠. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٥ م.
١٣١. يوسف بن عبد البر ، بهجة المجالس وانس المجالس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ج ٢ .
١٣٢. يوسف الثالث ملك غرناطة ، الديوان ، ط ٢، تحقيق عبدالله كنون ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٥ ، م.
١٣٣. حسين نصر،الشعر في غرناطة في عهد دولة بنى الأحمر، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ .

الفهارس الفنية

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٢-١	الفصل الأول: الأندلس عبر التاريخ :
٤-٣	المبحث الأول: الأندلس في ظل الحكم الإسلامي :
٦-٢	المطلب الأول: عهد الولاة وعهد الفتح :
٤-٣	المطلب الثاني: عصر الدولة الأموية :
-٥	المبحث الثاني: عهد الخلافة والطوائف:
٦-٥	المطلب الأول: عهد الخلافة بقرطبة :
٨-٧	المطلب الثاني: عهد الطوائف :
-٩	المبحث الثالث: عهد المرابطين والموحدين :
١٠-٩	المطلب الأول: دولة المرابطين :
١١-١٠	المطلب الثاني: دولة الموحدين :
١٢-١١	المطلب الثالث: دولة بنى الأحرمر :
-١٣	المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية في ظل الحكم الإسلامي:
١٤-١٣	المطلب الأول: الحياة الاجتماعية للبربر:
١٥-١٤	المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية للعرب:
-١٦	المطلب الثالث : الحياة الاقتصادية والت الثقافية في المجتمع الأندلسي:
١٧-١٦	أولا: الحياة الاقتصادية :
١٩-١٧	ثانيا: الحياة الثقافية:
-٢٠	الفصل الثاني: اتجاهات الشعر الاندلسي وأغراضه:
-٢٠	المبحث الأول: اتجاهات الشعر الأندلسي :
٢١-٢٠	المطلب الأول: الاتجاه المحافظ والمحدث:
٢٤-٢١	المطلب الثاني: الاتجاه المحافظ الجديد:
-٢٤	المطلب الثالث: الاتجاهات الحديثة في الشعر الاندلسي :
٢٨-٢٤	أولا: الاتجاه الاجتماعي (العلائق) :
٣٤-٢٨	ثانيا: الاتجاه الاعلامي:
٤٥-٣٤	ثالثا: الاتجاه الذاتي:
-٤٦	المبحث الثاني : أغراض الشعر الأندلسي:

٦٠-٤٦	المطلب الأول : المدح والهجاء:
٦٣-٦١	المطلب الثاني: الغزل :
-٦٤	الفصل الثالث: صورة المرأة في الشعر الاندلسي
-٦٥	المبحث الأول: الصورة العامة والخاصة
٨٨-٦٥	المطلب الأول: الصورة المجازية
٩٩-٨٩	المطلب الثاني: الصورة الوجدانية
١٠٧-١٠٠	المطلب الثالث: لباس المرأة وزينتها
-١٠٨	المبحث الثاني: صورة المرأة الخاصة
١١٤-١٠٨	المطلب الأول: صورة الزوجة والزوج
١٢٠-١١٥	المطلب الثاني: صورة الابنة
١٢٨-١٢١	المطلب الثالث: صورة الحبيبة
١٣١-١٢٩	المطلب الرابع: صورة التذلل للحبيبة
١٣٤-١٣٢	المطلب الخامس: صورة العلاقة بين العشاق والمجتمع
-١٣٥	المبحث الثالث : صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى
١٣٨-١٣٥	المطلب الأول : صورة المرأة في المدح والتنهئة
	المطلب الثاني : صورة المرأة في الهجاء
١٥١-١٤١	المطلب الثالث: الفخر والشكوى والعتاب والرثاء
-١٥٢	الفصل الرابع : صورة النساء الاندلسيات وخصائصه الفنية
-١٥٣	المبحث الأول : صورة المرأة في الأغراض الشعرية
١٥٨-١٥٤	المطلب الأول : الغزل
١٦٠-١٥٩	المطلب الثاني : الفخر
١٦٢-١٦١	المطلب الثالث: المدح
١٦٥-١٦٣	المطلب الرابع : السخرية والهجاء
١٦٧-١٦٦	المطلب الخامس: الشكوى
١٦٩-١٦٨	المطلب السادس: الاعتذار والعتاب
-١٧٠	المطلب السابع: الموشحات
١٧٢-١٧١	المبحث الثاني: الخصائص الفنية لشعر النساء الاندلسيات:
١٧٧-١٧٣	المطلب الأول : ميزات شعر النساء
١٨٠-١٧٧	المطلب الثاني : المفردات والتراتيب

١٨٥-١٨٠	المطلب الثالث : الدلالات اللغوية
١٩٠-١٨٦	المطلب الرابع : المعاني
١٩٤-١٩١	المطلب الخامس: الخيال
١٩٨ - ١٩٥	المطلب السادس : العاطفة
٢٠٢-١٩٩	المطلب السابع : الموسيقى الشعرية
-٢٠٣	الفصل الخامس: شواعر الأندلس (الجواري والحرائر)
٢٠٥-٢٠٤	المبحث الأول : الشواعر الجواري
٢٠٧-٢٠٤	المطلب الأول : اعتماد الروميكية
٢٠٩-٢٠٧	المطلب الثاني : بثينة بنت المعتمد
-٢٠٩	المطلب الثالث : العبادية
٢١١-٢١٠	المطلب الرابع : أنس القلوب
٢١٢-٢١١	المطلب الخامس: عتبة
-٢١٢	المطلب السادس : غاية المنى
-٢١٣	المبحث الثاني : الشواعر الحرائر
-٢١٤	المطلب الأول: الغسانية
-٢١٥	المطلب الثاني : مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري
-٢١٦	المطلب الثالث : أم العلاء بنت يوسف الحجاري
-٢١٧	المطلب الرابع : أم الكرم
-٢١٨	المطلب الخامس: صفية بنت عبدالله الرببي
٢٢٠-٢١٩	المطلب السادس : قسمونة بنت اسماعيل اليهودي
-٢٢١	المطلب السابع : مهجة بنت التیانی القرطيبة
٢٢٤ - ٢٢٢	المطلب الثامن : نزهون بنت القلاعی
٢٢٧-٢٢٥	المطلب التاسع : ولادة بنت المستكفي
٢٣٠-٢٢٨	: الخاتمة :
٢٣١-٢٣٠	: النتائج والتوصيات
٢٣٩-٢٣٢	: قائمة المصادر والمراجع:
-٢٤٠	: الفهرس الفنية :
٢٤٣-٢٤١	فهرس المحتويات
٢٥٠-٢٤٤	فهرس الأعلام

فهرس الأعلام والشعراء

مسلسل	الاسم	الصفحة
.١	ابن الآبار	.٩
.٢	ابن الاحوال	.١١١، ١١٢
.٣	ابن الازرق	.١٥١
.٤	ابن أبي عامر	.٥٤
.٥	ابن بسام	.٥٦، ٥٩، ١٥٤، ١٦٣
.٦	ابن تلقين	.٥٩
.٧	ابت تومرت	.١٠، ١١
.٨	ابن جعفر	.٤٩
.٩	ابن جهور	.٥٤، ٥٥
.١٠	ابن جواس	.٣٢
.١١	ابن الجياب	.١٣٦، ١٣٠، ١١٢، ١٠٩، ٩٣. ٧٦
.١٢	ابن الحاج	.٢٠٥
.١٣	ابن حزم	.١٨٦، ١٥٤، ١٣١، ٩٤، ٥٤، ١٩، ١٣
.١٤	ابن حمديس	.٥٧، ٤٨، ٢٣
.١٥	ابن حمدين	.٤٧
.١٦	ابن خاتمة	.١٠٣، ١٠٢، ٩٨، ٩٥، ٩٤، ٩٢، ٩١، ٨٣، ٨٠، ٧٨، ٧٥، ٦٩، ٦٨ .١٤١، ١٣٣، ١٣٠، ١٢٧، ١٢٤، ١٠٦
.١٧	ابن الخطيب	.١٢١، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٨، ٩٦، ٨٨، ٨٧، ٧٧، ٧٣، ٧١، ٥٦ .١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٣٨، ١٣٥، ١٣٣، ١٢٩، ١٢٧، ١٢٥، ١٢٢ .١٤٩، ١٤٨
.١٨	ابن خفاجة	.٦٩، ٥٨، ٢٤
.١٩	ابن خلدون	.١٥، ١٤
.٢٠	ابن دراج القسطلي	.٢٣، ٤٩، ٥١، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧. ١٥٧
.٢١	ابن الرومي	.٥٦، ١٦٤، ٢٢١، ١٤٩
.٢٢	ابن زمرك	.٧٨، ٨٣، ٨٢، ٩٣، ١١٣، ١١٧، ١٣٦، ١٤٢
.٢٣	ابن زيدان	.١٤

.٢٤	ابن زيدون	،١٨٢ ،١٨١ ،١٧٩ ،١٧٨ ،١٦٣ ،١٥٥ ،٥٤ ،٢٣ ،٢٢ .٢٣٢ ،٢٢٧ ،٢٢٦ ،٢١٢ ،٢١١ ،١٨٩ ،١٨٨ ،١٨٥ ،١٨٣
.٢٥	ابن السراج	.١٩
.٢٦	ابن سعيد	.٢٢٠ ،٢١٧ ،١٧٤ ،١٧٢
.٢٧	ابن سهل	.٢٢
.٢٨	ابن عباد	.٢٠٥ ،٧
.٢٩	ابن عبد ربه	.٦١ ،٢٢ ،٢٣ ،٢٣ ،٣٨ ،٣٦ ،٣٠ ،٢٦
.٣٠	ابن عذاري	.٣٤
.٣١	ابن عمار	.٢٠٦ ،٢٠٥
.٣٢	ابن فرج الجياني	.٢٢
.٣٣	ابن فركون	،١٠٤ ،٩٨ ،٩٥ ،٩٤ ،٩٣ ،٩٠ ،٨٥ ،٨٤ ،٧٩ ،٧٦ ،٧٢ ،٧٠ ،٦٨ ،١٣٨ ،١٣٤ ،١٣٣ ،١٣٠ ،١٢٧ ،١٢٥ ،١٢٤ ،١٢٣ ،١١٦ ،١٠٥ .١٥٠
.٣٤	ابن القاسم	.٥٨
.٣٥	ابن قتيبة	.٤٨
.٣٦	ابن المعتز	.٨٠
.٣٧	ابن المهند	.٢١٥ ،١٦١
.٣٨	ابن نغرالة	.٢١٩
.٣٩	ابن يحيى	.٤٩
.٤٠	أبو بكر الصديق	.٢٠١
.٤١	أبو بكر المخزومي	.٦٠
.٤٢	أبو تمام	.٢١
.٤٣	أبو جعفر المنصور	.٤
.٤٤	أبو حيان الغرناطي	.٧٢ ،٧٩ ،١١٦ ،١٤٠ ،١٤١ ،١٤٠ ،١٥٠
.٤٥	أبو عامر بن عبدوس	.٢٢٦
.٤٦	أبو العباس المراكشي	.٥٣
.٤٧	أبو العتاهية	.٢١
.٤٨	أبو عثمان بن فتحون	.١٨
.٤٩	إحسان عباس	.٣٣

.٤٤، ٣٩، ٤٢، ٤٤	أحمد بن عبد ربه	.٥٠
.٥	أحمد بن عبد الملك	.٥١
.٦٢	أحمد بن فرج الجياني	.٥٢
.١٧٤	الأصبهي	.٥٣
.٦٦	الأصمسي	.٥٤
.٢٩١، ١٧٤، ٢٧٨، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٣	اعتماد الرميكية	.٥٥
.٢١٦، ٢٠٣، ١٧١، ١٦٩، ١٦٨، ١٥٦	أم العلاء	.٥٦
.٢١٧، ٢٠٣، ١٧٣، ١٥٥، ١٥٤	أم الكرم	.٥٧
.٢١١، ٢٠٣، ٢١٠، ١٩٣، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٢، ١٦٨، ١٥٧	أنس القلوب	.٥٨
.١٨٧، ١٨٣، ١٨١، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٦٧، ١٦٠	بنينية	.٥٩
.٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٣، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٧، ١٩٤		
.٤٨، ٢١	البحترى	.٦٠
.١١٨	البدر النابلسي	.٦١
.٥٤، ٥٣	الجزيري	.٦٢
.٥٤	جعفر المصحفي	.٦٣
.٥٧	جعفر بن أبي حامد الحسين	.٦٤
.٦٠	جعفر بن علي الأندلسي	.٦٥
.٣١	حسام ابن ضرار الكلبي	.٦٦
.٥٦	الحطيبة	.٦٧
.٢١، ١٨	الحكم بن هشام	.٦٨
.١٣٦	خديجة بنت خويلد	.٦٩
.١٧٤، ١٥٧	خيران العامري	.٧٠
.٥٤، ٢٢	الرمادي	.٧١
.٥٠	زریاب	.٧٢
.١٥٠	زمردة بنت أبرق	.٧٣
.٤	سلیمان بن یقطان الإعرابي	.٧٤
.١٤٧	سیف الدوّلۃ	.٧٥

. ١٢٠	شرف الدين الحراثي	.٧٦
. ٥٣	صاعد البغدادي	.٧٧
. ، ١٤ ، ١٣ ، ٢	طارق بن زياد	.٧٨
. ٥٣	طاهر بن مهند	.٧٩
. ٦٣ ، ٥٤	الطليق	.٨٠
. ١١٣	طهمان	.٨١
. ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ١٥٨	العبادية	.٨٢
. ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ١٦٩ ، ١٥٧	عتبة	.٨٣
. ١٧٥	عز الدين إسماعيل	.٨٤
. ١٩٣	غرسيه عومس	.٨٥
. ١٥٣ ، ١٨٣	الحسانية البحانية	.٨٦
. ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٣٦ ، ١١٢ ، ٧٨ ، ٨٠	فاطمة	.٨٧
. ٢٧	القاسم بن الأمير محمد	.٨٨
. ١٤٠	قسطلة " اسم امرأة "	.٨٩
. ١٧٠ ، ١٥٣	قسمونة بنت إسماعيل	.٩٠
. ١٢٤ ، ٨١ ، ٦٨ ، ٧٦	ليلي	.٩١
. ١٤٧ ، ٢١	المتنبي	.٩٢
. ١٨	محمد بن أبي جمعة	.٩٣
. ١٠	محمد بن تومرت	.٩٤
. ٤٣	محمد بن عبد السلام	.٩٥
. ١٢	محمد عبد العزيز الجيني	.٩٦
. ٣٩ ، ٢٧	محمد بن عبد العزيز العتبي	.٩٧
. ١١٦	محمد بن علي	.٩٨
. ١٨	محمد بن مسرة الجيلي	.٩٩
. ١٣٩	محمد محمد حسين	١٠٠
. ١٨	محمد سعيد محمد	١٠١
. ٢٢٥	محمد بن عبد الرحمن	١٠٢
٢١	محمد بن يوسف نصر	١٠٣

١٠٤	المخزومي	.٢٠٤، ١٧٤، ١٧١، ١٦٤، ٦٠، ٥٦
١٠٥	مريم بنت أبي يعقوب الفضولي	.١٦٦، ١٦١
١٠٦	مريم الشلبية	.٢١٥، ١٦١
١٠٧	مريم العذراء	.٢١٥، ١٨٢
١٠٨	مريم الأنصاري	.٢١٥، ٢٠٣
١٠٩	مسلم بن الوليد	.٢١
١١٠	مصطفى الشكعة	.٦٦
١١١	المعتصم بن صمادح	.٢١٧، ٢١٢، ١٥٤، ٥٩
١١٢	المعتضد	.٢٠٩، ١٥٨
١١٣	المعتمد بن عباد	.٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٣، ٢٠٠، ١٧٥، ١٧٣، ١٦٧، ١٦٠، ١٠، ٧
١١٤	المقري	.٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٧، ٢١٦، ٦٩، ٣٤، ١١
١١٥	مهجة القرطبية	.٢٢١، ١٩٦، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٢، ١٨٠، ١٦٣
١١٦	موسى بن نصير	.١٥، ١٤، ٢
١١٧	نزهون	.١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٧٦، ١٧٣، ١٧١، ١٧٠، ١٦٠، ١٥٣، ٦٠، ٢٠٣، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٥، ١٩٣، ١٩٢، ١٨٨، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤
١١٨	هنري بيبرس	.٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢
١١٩	ولادة	.١٩٦
١٢٠	الوهراني	.١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٥، ١٥٤، ٦٠، ٥٥، ٢٢، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٤، ١٦٩، ٢٢١، ٢١٢، ٢١١، ٢٠٣، ٢٠١، ١٩٦، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧
١٢١	يعيى بن ابراهيم الكرالي	.٢٣٠، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥
١٢٢	لينور	.٦٠
١٢٣	يوسف بن تاشفين	.٩، ٨، ٧
١٢٤	يوسف الثالث	.٩٣، ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٤، ٨٣، ٨٠، ٧٨، ٧٥، ٧٢، ٧١، ٦٧، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٢، ١١٦، ١٠٦، ١٠٣، ١٠٢، ٩٧، ٩٦، ٩٤، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٥، ١٣٨، ١٣٢، ١٣٠، ١٢٩